القلزم للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

بالتعاون مع الأتحاد الدولي للمؤرخين

مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية

Al-ghulzum Journal For historical and cultural studies

ISSN: 1858 - 9952

عدد خاص:

المؤتمر العلمي الدولي، بعنوان:

دول حوض البحر الأحمر

(الماض- الحاضر- المستقبل)

معهد الدراسات السودانية والدولية- جامعة الزعيم الأزهري(السودان)

ومركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر (السودان)

المحور التاريخي والحضاري

العدد الثاني (خاص) ربيع الأول 1442هـ- نوفمبر 2020م

مجلة القلزم للدراسات الحضارية والتاريخية

هيئة التحرير

المشرف العام
الأستاذ الدكتور/إبراهيم البيضاني
رئيس هيئة التحرير
د.حاتم الصديق محمد احمد
رئيس التحرير
د. **عوض أحمد حسني شبا**
سكرتير التحرير
د.سلوى التجاني فضل جبر الله
التدقيق اللغوي
أ.الفاتح يحيى محمد عبد القادر
الإشراف الإلكتروني
أ. المعز خلف الله عوض الله
التصميم الداخلي
أ. عادل محمد عبد القادر
تصميم الغلاف
ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الهيئة العلمية و الإستشارية

البروفسير/ حسن أحمد إبراهيم- السودان- رئيساً
البروفسيرة/ سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية - عضواً
البروفسير/ أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان - عضواً
البروفسير/ أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان-عضواً
البروفسير/ أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية- عضواً
البروفسير/ السماني النصري محمد أحمد - السودان- عضواً
الدكتور/ أحمد الياس الحسين - السودان- عضواً
الدكتور/ داود ساغه محمد عبد الله- السودان- عضواً
الدكتور/ سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية -عضواً
الدكتور/ سامي صالح عبد المالك البياض- مصر - عضواً
الدكتور/ محمد أحمد زروق- المغرب- عضواً
الدكتورة/ سعاد عبد العزيز أحمد السودان- عضواً
الدكتور/ أحمد محمد مركز- السودان - عضواً
الدكتور/ باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا-عضواً
الدكتورة/ عزة محمد موسى - السودان- عضواً
الدكتورة/ حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان
الدكتورة/ ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا- عضواً

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة
تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

قواعد النشر
في مجلات القلزم

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التي تخص حوض البحر الأحمر والدول المطلة عليه والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط(Traditional Arabic)بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشار إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الاجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
5. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية
6. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
5. لا تلتزم هئية تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.

* على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف، البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية

الخرطوم - السودان

المحتويات

الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن التاسع عشر 1
أ. د. يوسف فضل حسن

الصراع بين الدول العظمى على البحر الأحمر حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي 23
د. علوية عبد الله خير الله

العلاقات اليمنية الحجازية (طريق الحج اليمني أنموذجاً) 4-5 هـ /ق.م 11-35م 35
د. محمد قايد حسن الوجيه

التنافس المملوكي العثماني على ساحل البحر الأحمر1512-1564م 63
د.حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني

دور اليمن البحري مع دول حوض البحر الأحمر الساحل الغربي خلال المدة 1504-1967م 75
د. خالد عبد الله عبد ربه طوحل

الأهمية الاقتصادية والتجارية لسواحل البحر الأحمر وأثرها على دولة المماليك 648/923هـ /1250/1517م 127
د. نفيسة عبد القادر الحسن- د. نجلاء عبد الله محمد

البحر الأحمر الثروة المتجددة عبر العصور (رؤية اقتصادية من منظور تاريخي) 149
د. نوف بندر البنيان

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا..

القارئ الكريم:

تصدر هذه الأعداد المتخصصة من مجلات القلزم العلمية كنتاج لفعاليات المؤتمر العلمي الدولي الافتراضي الذي أعده مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر (السودان) بالتعاون مع جامعة الزعيم الأزهري- (السودان)، بعنوان: دول حوض البحر الأحمر (الماضي- الحاضر- المستقبل) يومي 24-23 نوفمبر 2020م.

القارئ الكريم:

رأت هيئة تحرير أن تنشر هذه الدراسات المهمة المقدمة في المؤتمر إسهاماً منها في إثراء مكتبة حوض البحر الأحمر ودولها بالدراسات المتخصصة، كما تتقدم بخالص الشكر والتقدير للعلماء والباحثين الذين أسهموا في نجاح هذا المؤتمر العلمي بتقديمهم لأوراق رصينة وطرقهم لقضايا بحثية في غاية من الأهمية.

هيئة التحرير

الصراع حول البحر الاحمر منذ أقدم العصور حتى القرن التاسع عشر

أ.د يوسف فضل حسن جامعة الخرطوم

منذ فتح قناة السويس في سنة زادت اهمية البحر الأحمر كمعبر دولي يتوسط بلاد الشرق الاوسط ذات المضمون الاستراتيجي العظيم في حلبة التنافس بين الدول العظمى، وخلال العقد الاخير كثير الحديث عن أمن البحر الأحمر ورددت كثير من الدوائر العربية شعار أن (البحر الأحمر عربي) وفي نفس الوقت تفاقمت حدة التنافس بين الدول العظمى على كسب ود البلاد المطلة عليه والسعى للسيطرة عليها واخذ هذا التنافس أو الصراع مظاهر مختلفة، منها الثقافي والايدولوجي والاقتصادي والعسكري وحقيقة الأمر أن أهمية البحر الأحمر والصراع المحتدم عليه ليست جديدة بل ترجع إلى عشرات القرون.

بدأت أهمية البحر الأحمر حين استغله قدماء المصريين لبلوغ بلاد البونت أو الصومال لجلب العطور والبخور والاخشاب منذ عشرين قرنا قبل ميلاد المسيح، ثم اخترقه الفراعنة جنوبا حتى بلغوا بلاد الهند بقصد التجارة في العطور والتوابل وغيرها من منتوجات الشرق في الألف سنة الأولى قبل الميلاد وأصبحت الاستفادة من البحر الأحمر في نقل شتى أنواع التجارة من اليمن، والهند وشرقي أفريقيا، والتي تشق طريقها حتى حوض البحر الأبيض المتوسط ثم أوروبا الغربية، السمة الغالبة على مناشطه.

ومع ان مصر قد نجحت في بسط نفوذها السياسي والتجاري على اجزاء كبيرة من سواحل البحر الأحمر لفترات طويلة، إلا أن هذا المعبر المهم كان مسرحا لصراعات حادة بين الممالك المطلة عليه من جهة، وبين القوى الاوربية الوافدة كالبطالمة والرومان الذين سعوا لبسط نفوذهم عليه والتحكم في التجارة التي تنقل عبره منذ عهود مبكرة ومنذ قيام الخلافة الإسلامية ظل المسلمون يسيطرون على هذا الطريق البحري المهم سيطرة تامة امتدت حتى المحبط الهندي، ويحتكرون ما يحمل عليه من تجارة الشرق التي تأخذ طريقها إلى اوربا محققين من ذلك ارباحا كبيرة، ومنذ انتهاء الحروب الصليبية اخذت اوربا تسعى لكسر هذا الاحتكار الإسلامي، واضعاف الدول الإسلامية، وقد تهيأ لها ذلك على يد البرتغاليين الذين دخلوا في صراع طويل

مـع المماليـك حـكام مـصر، ثـم مـع الـدول العثمانيـة التـي آلـت إليهـا السـيادة عـلى المتلـكات المملوكيـة.

عـرف هـذا البحـر بأسـماء متعـددة كالبحـر الفرعونـي، والبحـر الحبـشي، وبحـر القلـزم واخـيرا البحـر الأحمـر والاسـمان الأولان يشـيران إلى أسـماء أمـم غلبـت اجـراء منـه أوكلـه، ويشـير الاسـم الثالـث إلى مينـاء بينمـا تصـف كلمـة الأحمـر لونـه مائـه.

اشـتهر البحـر الأحمـر منـذ زمـن بعيـد بصعوبـة الملاحـة لكثـرة الصخـور والشـعب المرجانيـة التـي تعـترض مجـراه ومـا يهـب عليـه مـن ريـاح واعاصـير، وراجـت بعـض الاسـاطير عـن وجـود صخـور مـن المغناطيـس تتسـبب في تحطيـم السـفن المثبتـة بمسـامير مـن الحديـد وقـد عرفـت هـذه الاسـطورة في العالـم القديـم، ولعـل أول مـن أشـار إليهـا هـو الكاتـب الهنـدي مهوجـا وابـان بروكويـوس خطـل هـذه الاسـطورة ذاكـرا ان سـفن البطالمـة والرومـان المثبتـة بالحديـد كانـت تمخـر عبـاب البحـر الأحمـر دون ان يصيبهـا اي مكـروه، وظلـت هـذه الاسـطورة تثـير الرعـب في نفـوس الملاحـين حتـى عهـود متأخـرة، ولـذا كانـت السـفن تتجنـب الابحـار فيـه ليـلا وعـزا القزوينـي ذلـك إلى (خـوف الملاحـين مـن جبـال المغناطيس). وحتـى يتجنبـوا هـذا الخطـر فانهـم يخيطـون السـفن عنـد صنعهـا بنـوع خـاص مـن الحبـال المتينـة ويصفهـا الادريـسي بقولـه: «ومراكـب هـذا البحـر كلهـا مؤلفـة بالـدسر ومحـروزة بحبـال الليـف مجلفطـة بدقيـق اللبـان ودهـن كلاب البحـر». ويصـف البحـر بقولـه: «والمسـافرين في هـذا البحـر يـأوون منـه في كل ليلـة إلى مواضـع يسـكنون بهـا ويلجـأون إليهـا خوفـا مـن معاطبـه، وينزلـون بهـا ليـلا ويقلعـون عنهـا نهـارا، وهوبحـر مظلـم، كريـه الروائـح، وحـش الجزائـر لا خـير في ظاهـره ولا في باطنـه وليـس كبحـر الهنـد والصـين الـذي في بطنـه اللؤلـؤ النفيـس وفي جبالـه الجواهـر وفي مدنـه اصنـاف الطيـب وفي سـواحله محـلات الملـوك ومدنهـا.

يؤكـد وصـف الادريـسي هـذا حقيقـة مهمـة وهـي ان الطبيعـة القاحلـة لمعظـم سـواحل البحـر الأحمـر لـم تسـاعد عـلى انتـاج صـادرات ذات قيمـة تجاريـة عـدا بـلاد اليمـن كمـا ان عائـد ثروتهـا الطبيعيـة كان قليـلا في ذلـك الوقـت، فـاذا مـا بعدنـا مـن السـاحل نجـد ان منطقـة الظهـير، وبخاصـة في السـاحل الافريقـي، كانـت تمـد الموانـئ القليلـة، التـي انـشيءت في سـاحل البحـر الأحمـر بشـتى المنتوجـات الزراعيـة والمعدنيـة والتـي غالبـا مـا تسـتغل في التجـارة المحليـة إلا أن ثـراء المرافـئ الرئيسـية مثـل عـدن وجـدة وعيـذاب والقلـزم يرجـع اعتمادهـا عـلى التجـارة الهنديـة ولعـل هـذا العامـل الجغـرافي يفـسر قلـة الممالـك التـي يرتبـط تاريخهـا بالبحـر الأحمـر باسـتثناء مـصر واليمـن اللتـين لعبتـا دوراً مهمـا في تجـارة التوابـل

والعطـور وفي هـذا السـياق يمكـن ذكـر الحبشـة التـي ارتبـط تاريخهـا إلى حـد مـا بالبحـر الأحمـر.

كان موقـع مـصر الجغـرافي الممتـاز عـلى سـواحل البحريـن الأحمـر والأبيـض المتوسـط، ومـا نشـأ عـلى ارضهـا مـن حكومـات قويـة سـبباً في اهتمامهـا بالبحـر وارتبـاط تاريخهـا التجـاري والحربـي بتاريخـه فـترات طويلـة ففـي عهـد الملـك رمسـيس الثانـي اسـتولى الاسـطول المـصري عـلى اجـزاء كبـيرة مـن سـواحل البحـر الأحمـر واشـتبك مـع السـفن الهنديـة التـي كانـت تتحـرش بالسـواحل المصريـة وفي عهـد الملكـة حتشبسـوت بلغـت الاسـاطيل التجاريـة بـلاد البونـت ومنـذ ذلـك التاريـخ صـارت السـفن المصريـة تمخـر عبـاب البحـر الأحمـر تحمـل شـتى انـواع المنتوجـات الافريقيـة كالعطـور والعـاج والابنـوس ولتسـهيل مهمـة السـفن التجاريـة شـقت قنـاة في وأدى الطلمـات لتربـط بـين النيـل والبحـر الأحمـر وقـد اعيـد حفرهـا مـرات وكانـت السـفن الحربيـة تحـرس الاسـاطيل التجاريـة في رحلاتهـا.

وبعـد الغـزو الاغريقـي لمـصر سـارت دولـة البطالمـة عـلى نهـج سياسـة الفراعنـة في البحـر الأحمـر، فاهتمـت برعايـة الاسـاطيل التجاريـة التـي كانـت تمثـل مـوردا اقتصأدنـا مهمـا، وكانـت السـفن المصريـة تبحـر حتـى عـدن وربمـا جاوزتها إلى الهنـد ولـم تقـف جهـود البطالمـة عـلى المناشـط التجاريـة وتوسـيع ممتلـكات الدولـة، بـل اهتمـوا بجمـع معلومـات دقيقـة عـن سـواحل البحـر الأحمـر واجـزاء مـن المحيـط الهنـدي وكان مـا جمعـوه مـن حقائـق عـن السـواحل وسـكانها ومـوارد ثروتهـا يمثـل ثـروة علميـة عظيمـة سـاعدتهم عـلى السـيطرة عـلى البحـر الأحمـر وافادتهـم.

تـم انشـاء موانـئ جديـدة مثـل برنيـس، وليوكـوس ليمـون وأدولـيس في السـاحل الغربـي للبحـر الأحمـر، جنـوب مصـوع وارسـينوي عنـد بوغـاز بـاب المنـدب وقـد سـاعدت كل هـذه المـدن في تنشـيط التجـارة وربمـا كان اهتمـام البطالمـة بالكشـف الجغـرافي امتـداد طبيعيـا لعمليـات الاستكشـاف التـي ابتدرهـا الفراعنـة ومـن اشـهر هـذه الرحـلات البعثـة التـي ارسـلها ناخواحـد ملـوك الأسرة السادسـة والعشريـن لاكتشـاف السـواحل الافريقيـة فأبحـرت البعثـة مـن مدينـة القلـزوم وعـادت عـن طريـق جبـل طـارق عـام ق م.

لـم تتحقـق هـذه الزعامـة البحريـة دون صراع شـديد مـع دولـة سـبأ اليمنيـة ق م ق م التـي كانـت تسـيطرة عـلى اليمـن وتتحكـم في مدخـل البحـر الأحمـر الجنوبـي، كمـا ان غـزارة الامطـار وخصوبـة الأرض جعلتهـا مصـدرا مهمـا للعطـور والبخـور كمـا كانـت عـلى صـلات تجاريـة مـع شرق أفريقيـا والهنـد واتـاح

هـذا الموقـع المانـع لليمنيـين السـيطرة عـلى جنـوب البحـر الأحمـر والسـاحل الجنوبي لشـبه الجزيـرة العربيـة والسـاحل الافريقـي المواجـه لبلادهـم ولذلـك تسـنى لهـم احتـكار تجـارة التوابـل والعطـور وغيرهـا مـن السـلع القديمـة التـي يجنـون منهـا ارباحـاً كثـيرة وتجنبـا لمخاطـر البحـر الأحمـر كان التجـار اليمنيـون ينقلـون هـذه السـلع عـلى قوافـل بريـة تسـير محاذيـة لسـاحل البحـر الـشرق عـن طريـق مكـة إلى الشـام ومـصر وكانـوا عـلى صـلات حميمـة مـع دولتـي القوافـل إلمانيـة تتمتـع بحمايـة حـكام تلـك الـدول صـاروا شركاء لهـم في الثـراء الـذي تحققـه تلـك التجـرة فلمـا آل ا لأمـر إلى البطالمـة سـعوا لفـك الاحتـكار اليمنـي للتجـارة الشرقيـة ونجحـوا في كـسر شـوكته لسـيطرتهم عـلى البحـر وممـا سـاعدهم عـلى ذلـك اضمحـلال مملكة سـبأ وانهيارهـا في سـنة ق م، إلا ان اليمـن ظلـت تحـت زعامـة الدولـة الحميريـة ق م م تمثـل محـورا مهمـا في التجـارة الشرقيـة وقـد تبـددت هـذه السـيطرة بدخـول الرومـان حلبـة السـباق.

وفي سـنة ق م اسـتولت الدولـة الرومانيـة عـلى دولـة البطالمة وتبنت سياسـتها الراميـة للسـيطرة عـلى بحـارة البحـر الأحمـر وكان هـدف الامبراطـور اغسـطس ان تنـال رومـا نصيبهـا مـن الثـراء الـذي تحققـه التجـارة الشرقيـة فقـرر كـسر الاحتـكار اليمنـي لتلـك التجـارة وتحويـل مسـارها للموانـئ المصريـة واهتـم بفـرض السـلام الرومانـي عـلى البحـر الأحمـر وتطهـيره مـن القراصنـة الذيـن زاد خطرهـم بتدهـور دولـة البطالمـة كمـا قـرر احـكام قبضتـه عـلى الـدول الواقعـة عـلى البحـر الأحمـر، وبخاصـة ممالـك حمـير والانبـاط والحبشـة وتقليـم اظافرهـا الواحـدة تلوالأخـرى واتبـع الرومـان طرقـا مختلفـة لتحقيـق هـذا الهـدف، وكان ارسـال حمـلات عسـكرية واحـدا منهـا.

بـدأ اغسـطس بدولـة حمـير اليمنيـة، فأرسـل جيشـا كبـيرا بقيـادة جاللـوس وإلى مـصر لغزوبـلاد اليمـن ولارهـاب باقـي العـرب والانبـاط واقلعـت الحملـة مـن مـصر سـنة ق م متجهـة نحوالسـاحل الشرقـي فتابعتـه نحواسـبوعين إلا ان صعوبـة الملاحـة كبدتهـا كثـيرا مـن الخسـائر في السـفن والارواح، ثـم تابعـت الحملـة مسـيرتها عـبر الطـرق الصحراويـة حتـى بلغـت نجـران ثـم سـارت إلى ماريابـا مـأرب وضربت حولهـا حصـارا، ولكـن الجيـش الرومانـي لـم يصمـد طويـلا، بسـبب الخسـائر في الجنـد والعتـاد وقلـة المـؤن ومـا تعـرض لـه مـن مقاومـة شـديدة، وعـادت الحملـة إلى مـصر دون ان تحقـق نـصرا عسـكريا، إلا أن ارسـال ذلـك الجيـش الاوربـي كان بمثابـة مظاهـرة اسـتعراضية لقـوة رومـا العسـكرية في جـزء لـم تبلغـه اوربـا مـن قبـل، وحققـت الحملـة فوائـد عمليـة وسياسـية واقتصأديـة فقـد عـرف الرومـان ذلك الاقليـم وكتبـوا عنـه، كمـا أنهـم عقـدوا بعـض الاتفاقيـات مـع أمـراء تلـك المناطـق،

ومهدت الحملة لزيادة النفوذ الروماني وكسر الاحتكار العربي للتجارة الشرقية.

ومما ساعد ايضا في تحويل التجارة الشرقية للموانئ المصرية، التي قام الرومان بتحسينها وربطها بطرق آمنة، الاستفادة من الرياح الموسمية.

عند استتباب الأمر للرومان في منطقة البحر الأحمر، ومن استقراء الواقع في ذلك الحين نصل إلى أن سياسة الرومان نحوبلاد الحبشة وميناء عدول المنفذ الرئيسي لدولة أكسوم الناشيءة كان يسودها شيء من التفاهم والتعاون الاقتصادي إلا ان الرومان اتبعوا مع بلاد النوبة سياسةمغايرة لتلك التي انتهجت تجاه بلاد الحبشة اذ ان الرومان قاموا باجراءات تأدبية ضد بلاد النوبة لتأمين سير التجارة وبخاثة على المناطق الساحلية.

ونتيجة لكل هذه الانجازات اصبح الرومان يسيطرون على البحر الأحمر ويتمتعون بدخل اقتصأدى كبير، إلا أن السيادة الرومانية لم تدم طويلا فخلال القرنين الثالث والرابع بدأ الضعف يدب في كيان الامبراطورية من الداخل وانتهى بانقسامها إلى شطرين بيزنطة في الشرق، وروما في الغرب وقد ورثت بيزنطة نفوذ الامبراطورية الرومانية في البحر الأحمر، وفي الخارج ظهرت عل مسرح الاحداث قوتان جديدتان الأولى الامبراطورية الساسانية، والثانية مملكة أكسوم المسيحية ففي سنة م نشأت الامبراطورية الساسانية في اعقاب المملكة البارثية واعتبرت نفسها الوريث الشرعي لمملكة الاخمينيين التي هزمها الاسكندر المقدوني منذ ستة قرون، وفي عدها سعت لاحياء حضارة الفرس وقوميتهم التي ذبلت، فركزت نفوذها في منطقة ما بين النهرين، واحيت الصراع التقليدي بين الفرس والرومان في الاقإليم الواقعة بين الامبراطوريتين ونادت بطرد الروم من الشرق كله ومما عمق هذا الصراع ان الفرس يدينون بالزرادشية بينما يعتنق الرومان المسيحية.

وعمل الفرس للفكاك من هيمنة الرومان على التجارة الشرقية في المحيط الهندي فأنشأوا الموانى وتعاونوا مع عرب جنوب شبه الجزيرة العربية في نقل السلع بين الخليج الفارسي والبحر الأحمر ووجد الفرس في عرب اليمن، الذين اعتنقوا إلدهودية، خير معين لهم في صراعهم ضد الدولة البيزنطية وحليفتها دولة اكسوم اما الدولة الثانية فهي اكسوم الحبشية، التي كان البيزنطيون يراقبون نفوذها المتزايد بشيء من الحذر وبخاصة بعد ان غزت بلاد اصدقائهم ملوك مروي، وبعد ان بدأت تساهم في تجارة البحر الأحمر واخذت تطمع في السيطرة على اليمن لزيادة نصيبها من تلك التجارة، ومع ذلك كله فإن البيزنطيون كانوا يعتبرونها خير حليف لهم في ذلك الركن

النائـي، وبخاصـة بعـد ان انتـشرت المسـيحية في ربوعهـا، ومـن ثـم توطـدت الصـلات بـين البلديـن وصـارت اكسـوم تنـوب عـن بيزنطـة في نقـل تجارتهـا وتدافـع عـن سياسـتها في تلـك المنطقـة في نحوسـنة م تمكـن الحمـيرون مـن توحيـد دويـلات جنـوب غـرب شـبه الجزيـرة العربيـة تحـت زعامـة دولـة حمـير الثانيـة، التـي اسـتمرت مزدهـرة إلا مـن غزوحبـشي قصـير، حتـى سـنة م ولـم يقـف الـصراع حـول اليمـن عـلى المجـال الاقتصـادي، بـل وجـد عمقـا عقائديـا فبعـد أن انتـشرت المسـيحية وإلىهوديـة بـين الوطنيـين دخـل اتباعهـا في صراع حـاد اسـتغله كل مـن الفـرس والرومـان لصالحهمـا خـلال القرنـين الخامـس والسـادس ولمـا اعتنـق ذونـواس آخـر ملـوك حمـير إلىهوديـة وسـعى للقضـاء عـلى المسـيحية في نجـران، اسـتنجد المسـيحيون بالامبراطـور جسـتنيان الأول، حامـي الكنيسـة، فأشـارت بيزنطة عـلى نجـاشي الحبشـة بغزوبـلاد اليمـن ففعـل ذلـك سـنة م ولا شـل ان دوافـع هـذا الغزولـم تكـن دينيـة بحتـة، وانمـا كانـت تخفـي وراءهـا مطامـع بيزنطـة لبسـط نفوذهـا السـياسي عـلى القبائـل العربيـة تحـت سـتر التدخـل الحبـشي وان تحـارب بهـم النفـوذ الفـارسي المتزايـد والدليـل عـلى ذلـك أن الأحبـاش لـم يغـادروا البـلاد بعـد نجـدة المسـيحيين بهـا بـل ظلـوا يجثمـون عـلى صدرهـا خمسـين عامـا، ثـارت الجبهـة الوطنيـة ممثلـة في إلىهـود والوثنيـين خلالهـا مـرات ويرجـع بعـض المؤرخين ان الاحبـاش كانـوا يهدفـون إلى انشـاء مركـز دينـي في الجنـوب العربـي يسـتطيع منافسـة مكـة المكرمـة ويجـذب منهـا بعـض الحجيـج الذيـن يهرعـون للكعبـة وفي هـذا الاطـار يمكننـا فهـم بعـض دوافـع ابرهـة لغزوالكعبـة سـنة م.

اسـتنجدت الجبهـة الوطنيـة بقيـادة سـيف بـن يـزن بالعاهـل الفـارسي، كـسرى انـوشروان، فـأسرع الفـرس بارسـال جيـش سـنة م وطـردوا الاحبـاش ولكـن فرحـة عـرب الجنـوب لـم تطـل، اذ ضـم السـيد الجديـد بلادهـم إلى الامبراطوريـة الفارسـية وبذلـك انتهـت دولـة حمـير وتحـول البحـر الأحمـر مـرة اخـرى إلى ميـدان صراع بـين قوتـين عالميتـين فـارس الزرادشـتية في الـشرق وبيزنطـة المسـيحية بالتعـاون مـع الحبشـة في الغـرب وظـل الفـرس يحكمـون اليمـن حتـى سـنة م الموافقـة للسـنة السادسـة مـن الهجـرة النوبيـة حيـث اعلـن بـادان الحاكـم الفـارسي اسـلامه ودخـل اهـل اليمـن الإسـلام افواجهـا واسـدل السـتار عـلى حقبـة طويلـة مـن صراع اخـذ شـكلا اقتصأدىـا بـين ممالـك البحـر الأحمـر ولكنـه سرعـان مـا جذبتـه القـوى العالميـة، فلونتـه بأنمـاط اقتصأدىـة ودينيـة وسياسـية، معتمـدة عـلى اعـوان محليـين يديـرون لهـا معاركهـا ومـا أشـبه الليلـة بالبارحـة.

انتهـت هـذه الحقبـة بظهـور الإسـلام الـذي وضـع حـدا للتدخـل الاجنبـي وانتقـل مركـز الثقـل مـن جنـوب شـبه الجزيـرة العربيـة إلى شـمالها حيـث احتـل

الحجاز مركز الصدارة في المرحلة الأولى وبعد ان دانت شبه الجزيرة العربية لدولة المدينة المنورة خرجت الجيوش الإسلامية صوب الشرق والشمال، والشمال الغربي عبر الصحارى فانتصرت على فارس ودوخت بيزنطة، فأصبح البحر الأحمر بحيرة عربية بعد ان دانت له كل البلاد الواقعة على سواحله الشرقية ومصر كما امتد نفوذ المسلمين حتى عم بلاد الحبشة إلا ان بلاد الحبشة ظلت بعيدة عن السيطرة الإسلامية الكاملة، وبما ان المسلمين الاوائل لم يهتموا بروب البحر سيرا على السياسة الحذرة التي اخطتها الخليفة عمر بن الخطاب في التعامل معه فانهم لم يلتفتوا إلى تسخيره لمصالحهم، واستغل القراصنة الاحباش هذا الضعف فهاجموا ميناء جده سنة م ورد عليهم المسلمون بتخريب ميناء عدول، وعادوا بعد ان فقدوا ثلاثا من سفنهم الاربع وفي سنة م أمر الخليفة سليمان بن عبدالملك باحتلال ارخبيل دهلك لوضع حد لهجماتهم ولما كرر الاحباش هجماتهم على جده سنة م تعقبهم الخليفة ابوجعفر المنصور وفرقهم.

واقتصر دور البحر الأحمر حتى قيام الدولة العباسية على المناشط التجارية وحمل البريد، ونقل الحجيج من الجزء الشمإلى إلى الحجاز، فلما قامت الدولة العباسية انتقل مركز الثقل التجاري من البحر الأحمر إلى منطقة الخليج والهلال الخصيب، وبهذا استرد الطريق الشرقي اهميته بعد الاضمحلال الذي اصابه اثر الحروب التي اجتاحت المنطقة بين الفرس والبيزنطيين، وصارت بغداد حاضرة العالم الإسلامي سياسيا وتجاريا ومن ثم لم يبق لمصر التي تقلصت مكانتها إلى مجرد مقاطعة في الخلافة العباسية، سوى جزء يسير من التجارة الشرقية وسعى الوإلى العباسي، أحمد بن طولون، عند محاولته الاستقلال بادارة مصر لاسترداد جزء من تلك التجارة ولكن دون جدوى فلما آل أمر مصر للدولة الفاطمية نجحت في تحقيق تلك الخطة وكانت التجارة واحدة من الاسلحة التي اتخذ تها تلك الدول الشيعية لمحاربة منافسيها في بغداد بقصد اضعافهم اقتصأدبا ودخل الفاطميون في صلات تجارية وثيقة مع الشرق والغرب واستطاعوا بمساعدة اعوانهم في اليمن الاستفادة من خبراته البحرية في تحقيق هذا الهدف وباحكام قبضتهم على التجارة الشرقية امتدت سيطرتهم على العديد من موانئ البحر الأحمر بما فيها عيذاب ذات الموقع الجيد، وفي وقت وجيز ازدهرت عيذاب حتى صارت من احفل الموانئ الإسلامية وكانت السلع الهندية والصينية تنقل إلى عدن اولا ثم إلى عيذاب حيث تحمل على ظهور الابل عبر الصحراء إلى قوص وقفط، وكان تجار الهند واليمن وزنزبار والحبشة يترددون عليها، وكانت السلع الشرقية تستبدل بالحرير والنحاس والقصدير والكيماويات الواردة من مصر وشمال

أفريقيا واوربا أوبالذهب المستخرج من المعادن الواقعة شرق بلاد النوبة، ومنذ استشراء الخطر الصليبي اصبحت عيذاب ميناء الحجيج الوافد من مصر وبلاد المغرب وبلاد السودان.

كان الاسطول الفاطمي يجوب البحر الأحمر لحراسة السفن التجارية وتطهيره من القراصنة إلا ان تلك الاجراءات لم تردع حاكم مكة من تخريب عيذاب ونهبها سنة م ورد عليه الوزير فاضل الجمإلى بمنع الحجيج ووقف المؤن عن الحجاز وتجهيز جيش لمعاقبته فما كان من حاكم مكة إلا ان عجل بالاعتذار ورد كل ما اغتصبه.

حقق القاطميون هدفيهما الاساسيين، اولا تحويل التجارة الهندية من منطقة الخليج العربي إلى البحر الأحمر مما ادى إلى ضعف الكيان الاقتصادي للخلافة العباسية التي سقطت اخيرا على ايدي المغول وساعدت هذه التغيرات ليستمر البحر الأحمر طريقا رئيسيا للتجارة الشرقية، إلى ان احكم البرتغاليون قبضتهم، على منافذه في أول القرن السادس عشر ثانياً ترتب على هذا كله أن صارت التجارة الشرقية مصدر دخل مهم للدولة الفاطمية وما خلفها من حكومات على مصر وكانت عدن وعيذاب تمثلان محورين مهمين في هذه التجارة.

وفي عهد الايوبي الذي وقع على ملوكه عبء مكافحة الخطر الصليبي صار البحر الأحمر واحدا من جبهات ذلك الصراع فالحروب الصليبية ليست إلا مظهرا واحدا من مظاهر الصراع الطويل الدائر بين الشرق والغرب أوبين اوربا وآسيا وكانت الحروب الفارسية الرومانية واحدة منها، كما كان الاستعمار الاوربي الحديث آخرها ويمثل الغزوالصليبي رد الفعل المسيحي للدين الإسلامي الاسيوي الذي كان في توسع مستمر منذ القرن السابع الميلأدى وكان تزايد نفوذ دولة السلاحقة في اسيا الصغرى وتهديدها للقسطنطينية حاضرة الامبراطورية البيزنطية، السبب المباشر الذي فع الصليبيين إلى دخول هذه الحروب دفاعا عن مصالحهم الدينية وانتقاما من اعدائهم وكانت الحروب الصليبية تهدف لاسترداد القدس من المسلمين ومع أن المظهر الفكري الديني كان غالبا على هذه الحروب فإن الدافع الاقتصادي كان متوفرا ايضا.

نقل الصليبيون المعركة إلى البحر الأحمر عندما قام ارنولد دي شاتيون صاحب الكرك سنة بتشييد سفن حربية في البحر الأبيض المتوسط، ثم نقلها برا إلى البحر الأحمر، حيث اكمل تزويدها بالجند والعتاد الحربي وكان هدف ارنولد دي شاتيون قطع طريق الحج وغزوالحرمين الشريفين.

لكـن ثـراء عيـذاب شـجع ارنولـد دي شـاتيون عـلى غزوهـا فحـرق سـتة عـشر مركبـا واسر سـفينتين قادمتـين مـن اليمـن وصـادر مؤنـا كانـت معدة للشـحن للحجـاز وهاجـم قافلـة الحجيـج بـين قـوص وعيـذاب «وقاتـل الجميـع واحدثـوا حـوادث لـم يسـمع الإسـلام بمثلهـا» وعـلى ضـوء هجـوم ارنولـد دي شـاتيون لمينـاء عيـذاب يمكننـا ان نربـط هجـوم داؤود ملـك بـلاد النوبـة المسـيحية لعيـذاب وتخريبهـا في سـنة بنفـس المخطـط الصليبـي الـذي كان يسـتهدف اضعـاف دولـة الماليـك اقتصأدبـا بحرمانهـا الدخـل الاقتصـادي الكبـير الـذي يـدره مينـاء عيـذاب.

فلمـا سـمع السـلطان صـلاح الديـن الايوبـي بالخـبر وكان في الشـام وجـه نائبـه بمـصر لتعقـب الحملـة الصليبيـة «فـأدرك لؤلـؤة الحاجـب المعتديـن ولـم يبـق بينهـم وبـين المدينـة، عـلى سـاكنها افضـل الصـلاة والسـلام، إلا مسـافة يـوم وكانـوا ثلثمائـة» فأسرهـم وسـاقهم إلى القاهـرة حيـث لاقـوا حتفهـم.

وذكـر القـاضي الفاضـل ان الافرنـج اسـتهدفوا «قطـع طريـق الحـج وضرب العالـم الإسـلامي بغزوالحرمـين الشريفـين والسـيطرة عـلى تجـارة اليمـن واكارم عـدن». وبذلـك يمكنهـم احتـلال ايلـة في الشـمال وقفـل عـدن مـن الجنـوب فتتحقـق لهـم بذلـك السـيطرة عـلى التجـارة الشرقيـة وقفـل البحـر الأحمـر في وجـه اعدائهـم.

وقـع عـلى دولـة المماليـك التـي خلفـت السـلطنة الايوبيـة في مـصر والشـام اعبـاء جسـام وبخاصـة بعـد ان اجتاحـت جحافـل المغـول مدينـة بغـداد وسـقطت الخلافـة العباسـية سـنة وبسـقوط الدولـة العباسـية صـارت مـصر المملوكيـة التـي أوت الخليفـة العبـاسي، مركـز الثقـل السـياسي والحضـاري والاقتصـادي للأمـة الإسـلامية والمدافعـة عـن مقدسـاتها فسـار المماليـك عـلى نهـج الايوبيـين في مقاومـة الصليبيـين والقضـاء عـلى جيوبهـم واخـذوا عـلى عاتقهـم حمايـة الحرمـين الشريفـين ونتيجـة لهـذه التطـورات اخـذت سياسـة مـصر نحوالبحـر الأحمـر ابعـادا ثلاثـة متداخلـة دينيـا وسياسـيا واقتصاديـا.

اولاً: البعـد الدينـي اصبـح البحـر بحـرا مقدسـا اذ حـرم المماليـك عـلى غـير المسـلمين دخولـه حمايـة للحرمـين الشريفـين إلا بـاذن خـاص مـن السـلطات المصرية واضـاف المماليـك التـي القابهـم لقـب «خـادم الحرمـين الشريفـين» وتـولى سـلاطين المماليـك حمايـة قوافـل الحجيـج وترتـب عـلى هـذه المسـؤولية ولأسـباب اقتصأدبـة تتعلـق بمينـاء جـدة ضـم اقليـم الحجـاز لدولـة المماليـك.

ثانيـاً: امـا العامـل السـياسي فينبـع مـن صـلات مـصر مـع دولـة البحـر الأحمـر فالحجـاز والسـاحل الغربـي مـن البحـر الأحمـر حتـى عيـذاب كانـا جـزءا مـن سـلطنة المماليـك ثـم ضـم السـلطان بيـبرس مينـاء سـواكن إلى دولـة المماليـك

خوفا من ان تنافس عيذاب ثم جدة التي آلت إليها الزعامة الاقتصادية ومن بين الاسباب التي حتمت ضم سواكن تلك السياسة التي انتهجها حاكمها الشريف علم الدين اسبعاني، والتي تقضي بمصادرة ممتلكات من يموت من التجار.

وكانت اليمن وامارات الطراز الإسلامي السبع الواقعة على الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر وشرقي أفريقيا تدين بالولاء لسلطنة المماليك بحسبانها القوة الإسلامية الكبرى في ذلك الوقت وكان وضع امارات الطراز الإسلامي) يتأرجح بين التبعية لمملكة الحبشة والاستقلال عنها وقد شهدت المنطقة حروبا بسبب التنافس حول المراكز التجارية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

أما الصلات بين مملكة الحبشة المسيحية ومصر فقد تأرجحت بين الصداقة والعداء نظرا لأن الكنيسة الحبشية كانت تابعة للكنيسة القبطية، وكانت مصر تمد الكنيسة الحبشية بالمطارنة من وقت لآخر وقد تردت علاقات الود هذه إلى تهديدات بسبب وقوف كل بلد مع الاقلية الدينية التي تتبع له وكان الاحباش يلوحون بقتل مسلمي الحبشة أوتحويل مجرى النيل عن مصر كما كانوا يتأمرون مع القوى الصليبية لتطويق مصر ويعتقد بعض المؤرخين ان غارة بطرس لوزجيان على الاسكندرية سنة قد نفذت باتفاق مع الاحباش ليشنوا حربا من الجنوب وبعد احتلال المماليك لجزيرة قبرص اتصل جبرا صقل بملوك اوربا للقيام بحملة مشتركة ضد مصر، وكان الوسيط في هذه الاتصالات التاجر نور الدين على التبريزي، ولكن اكتشاف أمره سنة افسد المشروع.

اتسم العامل الاقتصادي العهد المملوكي باتجاه الدولة نحوضمان سير التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر واحكام قبضة مصر عليها فاهتم المماليك بتطوير ميناء جدة وجعله صالحا لاستقبال عدد كبير من السفن واتخذ هذا القرار على حساب ميناء عيذاب، اذ منع المماليك السفن الهندية من التوقف فيه، على اثر تزايد هجمات الاعراب على قوافل المماليك التجارية ولما تمت سيطرة الدولة على ميناء جدة والحجاز عملت على تركيز كل تجارة البحر الأحمر فيه، وطبقت عليه تنظيمات ادارية ومإلية دقيقة كانت تستهدف احتكار التجارة الشرقية وبما ان اليمن كانت تتحكم في مداخل البحر الأحمر، ويقوم ميناء عدن بدور مهم في نقل التجارة، سعى المماليك لاسترضاء ملوكها وكسب ودهم وبلغت تلك التنظيمات ذروتها عندما احتكرت الدولة في عهد السلطان برسباي تجارة البحر الأحمر وصار سلطان مصر التاجر الرئيسي

لتجارة التوابل وظل هذا النظام معمولا به حتى نهاية دولة المماليك فجنت الدولة أرباحاً طائلة من إحتكار التجارة ومن الضرائب التي تجيبها.

وكان تجار الاسكندرية يبيعون سلعهم إلى المدن الايطإلية التي كانت تحتكر نقل السلع الشرقية إلى اوروبا منذ القرن الثالث عشر، وبما أن هذه التجارة كانت تدر ارباحاً طائلة فكان التنافس عليها شديدا بين تجار تلك المدن وبخاصة بين جنوه والبندقية التي كانت تسيطر على الجزء الاوفر منها وزاد هذا الوضع من حنق جنوه فوضعت كل خبراتها وما جمعته من حقائق عن الشرق امام ملك البرتغال الذي كان يسعى للوصول إلى الهند عبر البحر

لم تنس أوروبا المسيحية ما لحق بها من هزائم انتهت بطرد الصليبيين من العالم العربي، ومنذ ذلك الحين كانت تسعى سعيا حثيثا لايجاد طريق يمكنها من تطويق العالم الإسلامي من الجنوب والسيطرة على التجارة الشرقية مصدر رخائه وقوته وكانت البرتغال ربما بسبب قربها من مسرح الصراع بين المسلمين والمسيحيين في اسبانيا ووقوعها تحت تأثير تجار جنوه اكثر الدول اهتماما بهذا الأمر. وحاولت استغلال فكرة الدوران حول القارة الافريقية التي روج لها الجنويون.

وفي سنة م ابحرت أول رحلة اكتشافية على الساحل الافريقي بتوجيه من الأمير هنري الملاح، المهتم بالكشوف الجغرافية وكبير جماعة المسيح العسكرية وكان البابا قد منحه السلطة الروحية وحرية الاتجار حتى بلاد الهند وفي نفس الوقت ابدى البرتغاليون اهتماما كبيرا بالأخبار المتداولة عن القس يوحنا الذي يحكم منطقة واسعة فيما بين الصين وغامبيا، على ظنهم بقصد التحالف معه ضد المسلمين والراجح ان القس المقصود هوملك الحبشة.

وفي ارسل يوحنا الثاني ملك البرتغال بعثة اكتشافية بقيادة بدرودي كوفلمهم للبحث عن مملكة الحبش وجمع معلومات عن المناطق المنتجة للتوابل والطرق المؤدية لها وزار كلوفلمهم ملك الحبشة لاستقطابه في جهد مشترك وزار الهند ومها عاد إلى ساحل أفريقيا الشرقي واستغل ملك البرتغال المعلومات الثمينة التي ارسلتها هذه البعثة في استئناف الرحلات البحرية الموجهة للهند.

ومع ان التجارة الشرقية كانت سببا مهما في القيام بهذه الرحلات إلا ان المحرك الاساسي كان دينيا بل إن بعض المؤرخين يصفون هذه الرحلات بأنها موجة جديدة في سلسلة الحروب الصليبية، وقد اجمل عمانوثيل الثاني ملك البرتغال الدوافع عند وصفه لأسباب رحلة فاسكودي غاما الأولى للهند بقوله «إن الغرض من اكتشاف الطريق البحري إلى الهند هونشر المسيحية والحصول

عـلى ثـروات الـشرق.

وابحـر فاسـكودي غامـا في يوليـو عـلى رأس اسـطول مكـون مـن اربـع سـفن، وكانـت سـفينته تحمـل مدفعـا وقـد علـق عـلى سـاريتها علـم رسـم عليـه صليـب كبـير وسـار الاسـطول عـن طريـق رأس الرجـاء الصالـح الـذي اكتشـف قبـل عـشرة اعـوام حتـى بلـغ سـاحل أفريقيـا الشرقـي وتمكـن بمسـاعدة المـلاح أحمـد بـن ماجـة مـن الوصـول إلى كإلكـوت اهـم موانـئ ملبـار، السـاحل الغربـي للهنـد، في مايـو ومـع إن فاسـكودي غامـا فشـل في اقامـة علاقـات تجاريـة أوسياسـية مـع السـأمري وحاكـم كليكـوت بسـبب موقـف التجـار المسـلمين، إلا أن الرحلـة قـد حققـت هدفهـا الرئيـسي وهواكتشـاف الطريـق البحـر إلى الهنـد.

في مسـتهل القـرن السـادس عـشر توالـت الرحـلات البرتغاليـة إلى المحيـط الهنـدي فارضـة وجودهـا وسـيطرتها في منطقـة كان النشـاط التجـاري فيهـا قـاصرا عـلى العـرب، وكان البرتغاليـون يعمـدون لابعـاد التجـار العـرب عـن المراكـز التجارية في الهنـد وشرق أفريقيـا وتعقـب سـفنهم واغراقهـا أومصادرتهـا وفي نحوسـنة م عهـد فاسـكودي غامـا إلى اسـطول برتغـإلى صغـير بحراسـة مدخـل البحـر الأحمـر ومهاجمـة السـفن العربيـة ومنعهـا مـن المتاجـرة في المحيـط الهنـدي إلا بتصريـح خـاص منـه وفي الهنـد سـعوا إلى تإلـب الحـكام الهنـود ضـد العـرب والمسـلمين وبفضـل تفوقهـا العسـكري وامتلاكهـا لسـفن مـزودة بالمدافـع والبنـادق التـي لـم تعـرف مـن قبـل في تلـك الاقإلـم تحقـق للبرتغـال في زمـن وجيـز احتـكار التجـارة الشرقيـة والسـيطرة عـلى مصادرهـا في الهنـد، وجنـي البرتغاليـون ارباحـا طائلـة بلغـت احيانـا خمسـة اضعـاف تكلفـة الرحـلات التـي كانـوا يبعثونهـا، وتوجـوا ذلـك كلـه باقامـة أول حكومـة اسـتعمارية أوربيـة في الـشرق الأقـصى لتأمـين هـذه المكاسـب ومنـذ البـدء حـرص البرتغاليـون عـلى التبشـير بالديـن المسـيحي في المناطـق المحيطـة بمراكزهـم التجاريـة.

قـد ادى تحـول التجـارة الشرقيـة إلى طريـق رأس الرجـاء الصالـح إلى اضعاف دور البحـر الأحمـر في تلـك التجـارة وتقليـص الأهميـة الاسـتراتيجية للبـلاد الواقعـة عليـه، وادى ذلـك إلى توجـه ضربـة قاضيـة لإقتصـاد البـلاد العربيـة المسـتفيدة منهـا وبخاصـة مـصر واليمـن وكان هـذا الحـدث فاتحـة لصفحـة جديـدة مـن الـصراع بـين العـرب والنوبـة ... الاسـتعمارية الجديـدة في المحيـط الهنـدي الشرقيـة بعـد أن تحولـت إلى طريـق رأس الرجـاء الصالـح والـذي كان فاتحـة لصفحـة جديـدة مـن الـصراع وفي غضـون تلـك الفـترة ابـدت اليمـن ومـصر اهتمامـاً شـديدا بالغـزو البرتغـالي ولكـن امكاناتهمـا البحريـة كانـت ضئيلـة فالدولتـان لا تملـكان اسـطولا حربيـا يقـوى عـلى مواجهـة الخـط البرتغـالي، وفي سـنة غأمـر السـلطان عأمـر بـن

عبدالوهاب الذي كان مشغولا ببعض الفتن الداخلية، بحملة واحدة مكونة من اربع عشرة سفينة وستمائة مقاتل، بعضهم من الطلاب المتطوعين لحرب البرتغاليين في الهند ولم يعرف شيء عن مصير تلك الحملة ومن قبلهم سعى المماليك لمواجهة البرتغاليين لفك الحصار الذي فرضوه على السفن والتجارة العربية في المحيط الهندي، وتلبية لاستنجاد ملك اليمن بهم، وكانت خطتهم تقوم على تقوية الحكم المملوكي في البحر الأحمر وتحصين سواحله بما في ذلك ميناء جده، وبخاصة بعد ان اعلن البرتغاليون عزمهم على مهاجمة الحرمين الشريفين وتخريبهما وفي سنة بعث السلطان قنصوه الغوري باسطول حربي بقيادة حسين الكردي، فشيد تحصينات جيدة في ميناء جدة، لرفع كفاءتها الدفاعية ثم استولى على سواكن وزار بعض الموانئ اليمنية ثم عدن ثم خرج لمواجهة البرتغاليين حيث اصطدم بهم امام ديووتمكن بمعاونة بعض الامارات الهندية من احراز نصر جزئي لم يدم طويلا، اذ حلت الهزيمة به في فبراير فانسحب إلى البحر الأحمر، تاركا المحيط الهندي تحت سيطرة البرتغاليين الذين زادت جرأتهم.

نقل القائد البرتغالي البوكيرك المعركة إلى السواحل العربية فاحتل جزيرة سقطرة، الواقعة عند مدخل البحر الأحمر، لاحكام اغلاقه امام السفن العربية، كما هاجم وضرب الساحل الممتد من عدن حتى هرمز وفي سنة ارسل حملة إلى عدن اضطرت إلى الانسحاب بعد ان استبسل اهلها استبسإلا رائعا، ومنها اتجه البوكيرك شمإلا نحوباب المندب واستولى على جزيرة كمران واحكم تحصينها وكان هدفه الرئيسي ميناء جدة التي لم يتمكن من الوصول إليها بسبب ريح عاتية فعاد إلى كمران ومنها هاجم ميناء زيلع ورشقها بالمدافع وكرر صنعه هذا في عدن ومنها عاد إلى الهند، ومع ان الرحلة لم تحقق نصرا عسكريا حاسما في البحر الأحمر إلا ان توغل البوكيرك في تلك المنطقة ساعد في التعرف على طبيعتها ورسم خطة العمل فيها لسد مضايق البحر، والسيطرة على عدن وفي عهد البوكيرك تم الاتصال بين الحبشة والبرتغال بقصد تنسيق الجهود ضد المسلمين، وبخاصة المماليك الذي يمدون يد العون للامارات الإسلامية في منطقة الطراز وتوجت هذه الاتصالات بارسال اول سفارة دبلوماسية برتغالية إلى بلاط ملوك الحبشة سنة وكانت استراتيجية ملوك الحبشة تهدف إلى استقطاب الدول الاوربية مثل البرتغال وفرنسا واسبانيا لاحتلال احد المواقع المهمة في البحر الأحمر مثل زيلغ ومصوع وسواكن، ثم الانقضاض منها على المدن الإسلامية المهمة اما البرتغاليون كانوا يرمون إلى اتخاذ الحبشة قاعدة عسكرية، لاستغلال ثرواتها، ثم تحويل الاحباش من المذهب الارثوذكسي إلى المذهب الكاثوليكي، ولما تكشفت هذه النوايا وانهار الحلف عمل الاحباش على

التبرؤ من ارتباطهم مع البرتغاليين والسعي لطردهم وبخاصة بعد ان ظهر الاتراك العثمانيون كقوة اسلامية كبرى في البلاد العربية والبحر الأحمر فخاف الاحباش بأسهم وتمكنوا من طرد البرتغاليين في اوائل القرن السابع عشر.

لما تكررت الاعتداءات البرتغالية على البحر الأحمر استنجد قنصوة الغوري الذي كان يعد العدة لمواجهة اخرى مع البرتغاليين في الهند، بالسلطان العثماني بايزيد الثاني يطلب منه مده بالاخشاب والعتاد، فأمده بايزيد بما يحتجا إليه هدية مضافا إليها نحوالفين من البحارة بقيادة سلمان الريس أوسلمان الرومي للمساعدة في تشييد السفن والمشاركة في حملة الهند وابحرت الحملة المكونة من عشرين سفينة وستة الاف جندي بقيادة سلمان الريس وعند وصولها إلى جدة تولى القيادة نائب السلطان حسين الكردي وقرر المماليك قبل مواجهة البرتغاليين في المحيط الهندي احكام التحصينات الدفاعية على السواحل اليمنية وبخاصة عدن اولا، وانشاء قاعدة بحرية تتحكم في اغلاق البحر امام البرتغاليين ثانيا وعند وصول الاسطول إلى جزيرة كمران بقصد تحصينها طلب المماليك من السلطان عأمر تقديم ما وعد به من عون على هيئة مال ومؤن وتردد السلطان في الاستجابة لذلك الطلب خوفا من ان يكون بداية لسيطرة مملوكية جديدة على اليمن، وأمر ولاته في الساحل بعدم الاستجابة لطلبات المماليك ونزل المماليك إلى الساحل اليمني واخذوا ما يحتاجونه إليه من مؤن واخشاب عنوة ووجد المماليك بعض التشجيع والعون من العناصر المناوئة للسلطان عأمر في منطقة تمهمة وساءت العلاقات بين المماليك والسلطان وتردت إلى حرب سافرة احتل حسين الكردي على اثرها بعض المدن التمهمية مثل زبيد وبعد تعيين الأمر برسباي حاكما على مدينة زبيد وقائدا للجيوش المملوكية في تمهمة، تابعت الحملة سيرها على زيلع، ثم بدأت في مهاجمة عدن التي استبسلت في الدفاع عن نفسها، وردت المماليك عنها مرتين فاضطروا للانسحاب في اغسطس وادى فشل المماليك في احتلال عدن إلى تأجيل حملة الهند واتخذ وا سواحل تمهمة اليمن خط دفاع اول لهم وجعلوا جدة مركز دفاعهم الثاني ولم يطل العهد بحسين الكردي، اذ سقطت دولة المماليك امام جحافل العثمانيين سنة اما المماليك الذين بقوا في زبيد تحت قيادة برسباي فاستمروا في حربهم ضد الطاهرين حتى قتلوا السلطان عأمر في مايوواحتلوا صنعاء وبذلك انتهى الوجود المستقل لدولة اليمن وسارع ممإلك اليمن بالاعتراف بالدولة العثمانية، وهكذا فعل شريف مكة وبدخول العثمانيين القاهرة في ابريل طويت صفحة عهد رائع من انبل العهود الإسلامية، كللت فيها مساعي المماليك بالنصر على المغول والصليبيين ولكنها اخفقت في رد عأدة البرتغاليين، وورث العثمانيون دولة المماليك وتبنوا سياستها في مواجهة الخطر

البرتغـالي والدفـاع عـن البحـر الأحمـر، وحمايـة الحرمـين الشريفـين.

لـم يلتفـت السـلطان سـليمان القانونـي للخطـر البرتغـالي تـوا رغـم تـوإلى هجماتـه، بسـبب اشـتغاله بحـروب البلقـان ومـد النفـوذ العثمانـي في فـارس والعـراق، ولـم يقـم العثمانيـون بجهـد حربـي ضدهـم حتـى عـام م.

في هـذه الاثنـاء واصـل البرتغاليـون حملاتهـم لتحقيـق مطامعهـم في البحـر الأحمـر، ففـي فبرايـر خـرج نائـب الملـك البرتغـالي في الهنـد، لوبوسـوريز عـلى رأس حملـة قاصـدة جـدة وسـارت الحملـة دون ان تتعـرض لعـدن التـي امدتهـا بالمـؤن اللازمـة وببعـض المرشـدين مـن البحـارة اليمنيـين، ليجنبوهـا مخاطـر الشـعب المرجانيـة، وعنـد وصولهـا إلى جـدة فشـلت في احتلالهـا بسـبب مناعـة التحصينـات التـي اعدهـا المماليـك كمـا ان انتقـال السـلطة للعثمانيـين جعلهـم يعجلـون بالرحيـل وتعقبهـم سـلمان الريـس وتمكـن مـن اسر سـفينة برتغإليـة، وكـرر البرتغاليـون صنيعهـم مـرة ثانيـة عـام، إلا ان الريـاح صدتهـم عنهـا ونجحـت نفـس الحملـة في انـزال اول بعثـة دبلوماسـية في الحبشـة كمـا نوهـت مـن قبـل وفي سـنة تعـرض عـدن لقصـف بالمدافـع وحصـار برتغـإلى، وفي فبرايـر تـوج البرتغاليـون محاولاتهـم بفـرض معاهـدة عـلى عـدن ولـذاك اصبحـت عـدن جـزءا مـن امـلاك البرتغـال والتزمـت عـدن بدفـع جزيـة سـنوية، مـع اعطـاء سـفنها حريـة الملاحـة بشرطـة عـدم توجههـا إلى جـدة ولكـن المعاهـدة لـم تـدم طويـلا، اذ بـذل العدنيـون محـاولات جـادة للخـلاص مـن السـيطرة البرتغاليـة واسـتنجدوا بالسـلطان العثمانـي سـليمان القانونـي معلنـين الدخـول في طاعتـه.

وفي عـام بـدأ وإلى مـصر بتوجيـه مـن السـلطان العثمانـي في اعـداد السـفن اللازمـة في السـويس لحملـة بحريـة لاخضـاع اليمـن ولمحاربـة البرتغاليـين وتصاعـد اهتمـام السـلطان سـليمان القانونـي بهـذا الأمـر بعـد فتـح العثمانيـين للعـراق وامتـداد نفوذهـم لسـواحل الخليـج العربـي الشـمالية المجـاورة للنفـوذ البرتغـالي في جنـوب الخليـج، ويـروى ان السـلطان بلغـه ان البرتغاليـين كانـوا عـلى صلـة بالفـرس وانهـم قـد امدوهـم ببعـض المعونـات الحربيـة ولـم تقـف الاسـتنجادات بالعاهـل العثمانـي عـلى العدنيـين ففـي سـنة طلـب سـلطان كجـرات الهنـدي دعمـا عكسريـا حتـى يتمكـن مـن الصمـود في وجـه البرتغاليـين وابحـرت الحملـة مـن السـويس في يونيـو وكان قوامهـا ثمانـين سـفينة وعشريـن الـف مقاتـل بقيـادة سـليمان باشـا الخـادم الـذي كانـت خبرتـه بالبحـر ضيئلـة واجـرى سـليمان باشـا بعـض الاتصـالات مـع أمـراء اليمـن قبـل بـدء الحملـة مسـيرتها ممـا سـهل مهمتـه وتمكـن مـن الاسـتيلاء عـلى مينـاء عـدن، بعـد أن غـدر بحاكمهـا عأمـر بـن داؤود الـذي أحسـن اسـتقباله وقـد اسـاء هـذا الفعـل المشـين بسـمعة العثمانيـين في تلـك

المنطقة وتابعت الحملة رحلتها إلى الهند حيث حاصر قلعة ديوبالتعاون مع جيش كجرات، وبعد شهر رفع سليمان باشا الحصار واقلع نحوالسواحل العربية لاكمال اخضاعها للسيطرة العثمانية، ومت له اخضاع المنطقة الممتدة من الشحر في الجنوب حتى جيزان في الشمال، وفي زبيد ثم نقل السلطة من المماليك إلى موظفين عثمانيين ولكنه لم ينجح في الاستيلاء على المناطق الداخلية التي بقيت تحت حكم الزيديين وظلت تتحدى الخضوع للدولة العثمانية للسيطرة عليها عشرات السنوات.

عاد سليمان باشا إلى مصر دون ان تحقق حملته هدفها في الهند، ولكن في اليمن تم لها السيطرة على عدن وزبيد والسواحل اليمنية وعلى اثر هذه الهزيمة تجرأ البرتغاليين بارسال حملة توغلت حتى مشارف السويس سنة م ولكنها لم تحاول ضرب الاسطول العثماني الموجود فيها، بل اكتفت بتخريب بعض السفن في القصير، وهاجمت سواكن ودهلك ثم عادت إلى الموانئ الحبشية، وترتب على هذين الحدثين، فشل الحملة إلى الهند والتوغل البرتغالي في البحر الأحمر، أن هجر العثمانيون سياستهم الهجومية واكتفوا بالدفاع عن البحر الأحمر واغلاقه امام السفن البرتغالية، بل حرموه على سائر السفن الاوربية خوفا من ان تتسلل إلى البحر بحسبانه الطريق الرئيسي للأماكن المقدسة، وتمكن العثمانيون من تحقيق هذا الهدف بدعم قواعدهم البحرية في اليمن واحكام قبضتهم الادارية عليه ومد نفوذهم إلى السواحل الحبشية.

وفي اليمن قام العثمانيون بخطوات ادارية وحربية لدعم سلطتهم في الاماكن التي خضعت لهم على السواحل، وبدأوا في مد نفوذهم على الاقإليم الداخلية، ومع أن الجيوش العثمانية استولت على اغلب تلك المناطق وتمكن ازدمير باشا من توحيد اليمن تحت السيطرة العثمانية في سنة إلا ان المقاومة اليمنية كانت تطل برأسها من وقت لآخر، وتجمعت المقاومة حول اتباع الامامية الزيدية وتابعت كفاحها حتى انهارت السلطة العثمانية وارسلت الدولة العثمانية حملة كبيرة بقيادة سنان باشا لاسترداد السيطرة العثمانية على اليمن سنة وتتضح اهيمة هذه الحملة من التوجيه الذي اصدره السلطان سليم الثاني لسنان باشا استردادنا لمملكة اليمن وان كان ذلك مما يتعين علينا لأنها ميراث أبينا المقدس، لكن جل قصدنا من ذلك انما هوحفظ ثغر عدن صونا للحرمين الشريفين من الكفار الملاعين وتمكن الجيش العثماني من فرض السيطرة العثمانية مرة ثانية، إلا ان روح المقاومة لم تضعف بل زادت حدة فكثرت الثورات بقيادة الائمة الزيديين حتى نجحوا في اجبار العثمانيين على الجلاء عن اليمن عام وهكذا وقف العرب في وجه الاتراك، وكان اليمن أول

بلـد عربـي ينسـلخ مـن الحكـم التركـي.

في نهايـة القـرن السـادس عـشر بـدأ الوهـن يـدب في اوصـال الامبراطوريتـين العثمانيـة والبرتغاليـة لاسـباب كثـيرة، يكفـي ان نذكـر ان ضعـف اسـاطيل الدولتـين كان اهـم مظاهرهـا ويجـدر ان نذكـر ان البرتغاليـين رغـم نجاحهـم شـبه الكامـل في السـيطرة عـلى الملاحـة في المحيـط الهنـدي فانهـم فيمـا يبـدولي لـم ينجحـوا بنفـس القـدر في السـيطرة عـلى التجـارة الشرقيـة، اذ ظـل جـزء يسـير مـن هـذه التجـارة يجـد طريقـه إلى البـلاد العربيـة وحقيقـة الأمـر ان النشـاط التجـاري في موانـئ البحـر الأحمـر لـم يصـب بالركـود التـام كمـا يظـن البعـض، اذ ان التجـارة المحليـة كانـت تسـير عـلى نمطهـا العـأدى، إلا ان مـا حققـه البرتغاليـون مـن مكاسـب نتيجـة احتكارهـم لهـذه التجـارة دفـع جيرانهـم مـن الـدول الاوربيـة ليجربـوا حظهـم في هـذا المضمـار.

كان أول مـن وصـل إلى ميـاه المحيـط الهنـدي عـن طريـق رأس الرجـاء الصالـح هـم الهولنديـون الذيـن كـسروا ذلـك الاحتـكار في سـنة وتبعهـم الانجليـز في سـنة وكان دخـول هاتـين الدولتـين في المحيـط الهنـدي بدايـة لمنافسـة حـادة للاسـتئثار بتجـارة الـشرق وكان الصـدام المسـلح مـن سـمات هـذه المنافسـة، ومـا أن انتصـف القـرن السـابع عـشر حتـى كانـت البرتغـال قـد فقـدت سـيطرتها عـلي المحيـط الهنـدي وسـواحله ولـم يبـق لهـا منـه سـوى بعضـة جيـوب عـلى السـاحلين الافريقـي والهنـدي.

منـذ بدايـة القـرن السـابع عشر بـدأت هـذه القـوى الجديـدة تطرق سـواحل البحـر الأحمـر بقصـد اقامـة علاقـات تجاريـة مـع موانئـه والاسـتفادة منـه كطريـق تجـاري مهـم وكانـت علاقـات العثمانيـين بالقادمـين الجـدد يشـوبها كثـير مـن الحـذر ففـي البـدء سـمحوا للسـفن الاجنبيـة بالتعامـل مـع ميناء مخـا الواقعـة عـلى السـاحل الشرقـي، ولكنهـم صدوهـا عـن التوغـل في داخـل البحـر الأحمـر، وسـمحوا للسـفن العربيـة بنقـل السـلع التـي تجلبهـا تلـك السـفن للموانـئ الشـمالية وينبـع هـذا الاجـراء مـن سياسـة العثمانيـين، كحمـاة للحرمـين الشريفـين في المحافظـة عـلى البحـر الأحمـر كبحـيرة اسـلامية، ولعـل الضعـف الـذي أصـاب الاسـطول العثمانـي كان سـببا في اصرارهـم عـلى تنفيـذ هـذا الاجـراء.

كان البريطانيـون أول مـن سـعى لاقامـة علاقـات تجاريـة مـع الجزيـرة العربيـة، ففـي عـام طلـب الكابتـن الاسـكندر شـاربي السـماح لـه بالتجـارة في ميناء مخـا، وقـد سـمح لـه حينـا وحـرم حينـا آخـر وارسـلت شركـة الهنـد الشرقيـة البريطانيـةفي العـام التـإلى بعثـة تجاريـة برئاسـة هنـري ميدلتـون لنفـس الغـرض

فـزار عـدن اولا ثـم مخـا وقوبلـت هـذه البعثـة بعـداء واسـتنكار شـديدين مـن السـلطات العثمانيـة التـي ابـدت تعجبهـا مـن جـرأة اولئـك الصليبيـين الذي يسـعون للاقـتراب مـن الاماكـن المقدسـة في الجزيـرة العربيـة وبعـد محـاولات متعـددة مـن الانجليـز لسـمح لهـم في عـام بالمتاجـرة في حريـة تامـة في مخـا والمناطـق الواقعـة إلى الجنـوب منهـا، ولذلـك صـارت بريطانيـا الدولـة الاوربيـة الوحيـدة التـي منحـت هـذا الامتيـاز.

ولعـل ممـا دفـع العثمانيـين لاتخـاذ هـذا الاجـراء تأكدهـم مـن خفـة حـدة التنافـس القائـم بينهـم وبـين البرتغاليـين، ورغبتهـم في تنشـيط التجـارة لتحسـين وضـع اليمـن الاقتصـادي ولا شـك أن قيـام الدولـة الزيديـة بعـد طـرد العثمانيـين سـنة قـد دفـع اليمنيـين لاقتحـام مجـال التجـارة الشرقيـة وشـجعهم عـلى التعـاون مـع الاوربيـين، وفي هـذه الفـترة انتـشرت زراعـة البـن وكثـر الاقبـال عـلى شرائـه حتى صـار مـن اهـم الصـادرات اليمنيـة، وكان البـن سـلعة رائجـة في الـشرق الاوسـط واوربـا وأمريـكا، ومـن ثـم كان يصـدر عـن طريـق البحـر الأحمـر وطريـق رأس الرجـاء الصالـح في وقـت واحـد، وكان لتجـارة البـن اثـر كبـير في انعـاش طريـق البحـر الأحمـر التجـاري.

وجـدت شركـة الهنـد الشرقيـة البريطانيـة، التـي كانـت تحتكـر التجـارة الشرقيـة مجـإلا طيبـا في اليمـن، فأنشـأت عـددا مـن الـوكالات التجاريـة بالتعـاون مـع التجـار الهنـود الذيـن انتـشروا في البـلاد وحققـت ارباحـا طائلـة بعـد ان غـادر الهولنديـون اليمـن في سـنة وصـار الانجليـز يسـيطرون عـلى تجـارة البـن وغيرها من السـلع اليمنيـة، وحرصـت شركـة الهنـد الشرقيـة عـلى مسـاندة الائمـة الزيديـين بعـد انتهـاء الحكـم العثمانـي، ووجـدت فيهـم خـير نصـير لتسـهيل التبـادل التجـاري وكان الـود يسـود هـذه العلائـق رغـم تحذيـرات السـلطان العثمانـي الـذي ازعجـه تزايـد النشـاط الاوربـي التجـاري في الميـاه اليمنيـة.

ولا شـك ان تصديـر جـزء كبـير مـن البـن عـن طريـق رأس الرجـاء الصالـح قـد اضر بدخـل الدولـة العثمانيـة في مـصر فبعـث السـلطان العثمانـي سـفيرا إلى امـام اليمـن سـنة يحـذره مـن الاسـتمرار في التعامـل التجـاري المبـاشر مـع الـدول الأوربيـة ويرجـوه قصـدر تصديـر البـن اليمنـي إلى مـصر فقـط عـن طريـق البحـر الأحمـر، ورفـض الامـام تحقيـق تلـك الرغبـة التـي تـضر بوضـع بـلاده الاقتصـادي، واسـتمر في معاملاتـه التجاريـة مـع الاوربيـين.

في الوقـت الـذي كانـت السـفن الإنجليزيـة تطـرق ابـواب اليمـن تسـلل الهولنديـون بقصـد اقامـة وكالات تجاريـة في اليمـن، وكانـت محاولاتهـم الأولى سـنة

عندما وصل فإن دي بروك إلى عدن متسلحا بتصريح من الباب العالي ليسمح له بالمتاجرة في جميع انحاء الدولة العثمانية ومع انه قد رحب به في اول الأمر إلا ان معارضة التجار المقيمين له، خشية منافسته، لهم اجبرته، على الرحيل، وباءت محاولته في مخاط بالفشل بسبب تخوف الحاكم من تسربهم إلى المدن المقدسة وازاء هذه المعارضة ركز الهولنديون نشاطهم التجاري على الساحل الجنوبي، ولم يحاولوا التوغل في البحر الأحمر لاقامة مراكز تجارية وكانت تجارة البن تمثل جزءا مهما في تعاملهم التجاري مع اليمن فلما نجحوا في نقل زراعة البن إلى جزر الهند الشرقية، وصعب عليهم توسيع دائرة اعمالهم التجارية في اليمن، غادروه عام.

وفي عام م نجحت بعثة فرنسية في عقد معاهدة تجارية مع حاكم مخا سمح لهم بمقتضاها بفتح وكالة تجارية، ورغم اعتراض السلطات العثمانية على تزايد النفوذ الاوربي الذي أشرنا إليه، فإن النشاط الفرنسي زاد اتساعا وجرأة ففي سنة م تمكنت الشركة الفرنسية بعد ان ضربت ميناء مخا، من اقناع حاكمها بتخفيض العوائد الجمركية المفروضة عليها من ٪ إلى اثنين ونصف بالمئة.

وخلال قرن من انحسار النفوذ العثماني في اليمن تمكنت الشركات الأوروبية من تدعيم وجودها التجاري عن طريق الوكالات المنبثة في سواحل البحر الأحمر الجنوبية، ثم اندفعت نحوالجزء الشمإلى لتحقيق أهدافها التجارية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر وشهدت هذه الفترة سباقاً شديداً بين الانجليز والفرنسيين من اجل الانفراد بالوكالات التجارية وكان التنافس على اشده في مصر التي تتحكم في الجزء الشمإلى من البحر الأحمر، فاهتمت شركة الهند الشرقية بالسوق المصرية التي كان الفرنسيون يتمتعون فيها بامتيازات تجارية ففي سنة م عينت انجلترا قنصلا لها في الاسكندرية ومنحهم السلطات مصطفى الثاني امتيازات مماثلة للامتيازات الفرنسية، وازداد الاهتمام البريطاني بمصر وبطريقة البحر الأحمر بعد صلح باريس سنة في محاولة للربط بين مصر والممتلكات البريطانية في الهند ومما مهد السبيل لهذا التطور ان الرسوم الجمركية كانت تمثل جزءا مهما من دخل الدولة وحقيقة الأمر ان حكام المناطق المطلة على البحر الأحمر مثل الائمة في اليمن والاشراف في مكة والمماليك في مصر كانوا يسعون لتشجيع التعامل التجاري مع الأوروبيين حتى يزداد دخلهم من الضرائب التي تجبي من التجار المترددين على موانئها.

وفي مصر عقد محمّد بك ابوالذهب اتفاقية مع الانجليز لتنشيط التجارة بين مصر والهند واثار هذا التصرف المستقل من حكام مصر حفيظة

السلطات العثمانية، خشية من تزايد النفوذ الاوربي، وحذر السلطان العثماني القائمين على أمر مصر من عواقب التمأدى في مثل ذلك الاجراء، وذكرهم بما حدث في الهند التي رحبت بالتجار الإنجليزي ففقدت استقلالها وصارت مستعمرة بريطانية.

ولكن هذه التحذيرات لم تكن لتؤثر على ممإلك مصر بسبب العائد الكبير الذي يجنونه من تلك التجارة وفي السبعينات من القرن الثامن عشر استطاعت السفن البريطانية ان تصل السويس والقصير والطور وفي نفس الفترة توسعت دائرة النشاط التجاري الفرنسي فعقد الفرنسيون سنة م اتفاقية مع مراد بك تبيح للسفن الفرنسية التردد على ميناء السويس، واكتمل لها بذلك حق الملاحة في البحر الأحمر والاتجار في موانيه.

كان التنافس التجاري حول البحر الأحمر، بين انجلترا وفرنسا، يخفي وراءه صراعا سياسيا حادا وكان كل من الدولتين يعرف قيمة البحر الأحمر في الوصول إلى الشرق الاقصى وكان ينظر إلى تحركات الطرق الآخر بحذر شديد وقد أبانت حملة نابليون بونابرت على مصر في مايومادراك الفرنسيين لأهمية البحر الأحمر وباحتلالهم لمصر دخل البحر الأحمر في مرحلة تاريخية حديثة، وكانت انجلترا تخشى ان تستغل فرنسا هذا الطريق المائي القصير للوثوب للهند درج التاج البريطاني.

لم يقف الانجليز مكتوفي الايدي بل رتبوا أمرهم بقف منافذ البحر الأحمر أمام الفرنسيين فاحتلوا جزيرة بريم عند بوغاز باب المندب في سنة م ودعموا ذلك الإحتلال بعقد عدد من معاهدات الصداقة مع سلطان لحج ومشائخ القبائل في جنوب شبه الجزيرة العربية وختموا هذا التدخل باحتلال عدن سنة م وظلت انجلترا تسعى جاهدة لابعاد أي منافس لها في البحر الأحمر الذي اضحى منذ بداية القرن التاسع عشر وادخال السفن البخارية اقصر طريق يلائم الثورة الاقتصادية التي اجتاحت العالم كما ان شدة الصراع السياسي حول المستعمرات الجديدة كان يستلزم اتخاذ قرارات سريعة بالتشاور مع العواصم الاوربية وعليه لم يعد طريق جبل طارق رأس الرجاء الصالح البحري، يواكب كل هذه التطورات.

استرد البحر الأحمر اهميته، كما استردت البلاد الواقعة عليه اهميتها الاستراتيجية مما جعل الدول المتنافسة تهدف لعقد احلاف معها تسعى للسيطرة على منفذه في عدن والجنوب العربي والقرن الافريقي ومصر وكان فتح قناة السويس سنة م احد مظاهر هذا الصراع بين الدول الاوربية الاستعمارية

التـي صعـدت معركتهـا مـن مجـرد تكثيـف نشـاطها التجـاري إلى السـيطرة عـلى مصـادر المـواد الخـام بـل والبـلاد ذاتهـا.

يتضـح مـن هـذه الملاحظـات ان الـصراع حـول البحـر الأحمـر ظاهـرة قديمـة تجـدد عـبر العصـور، ففـي البـدء كانـت بـين الـدول المطلـة عليـه، ثـم دخـل الرومـان وتبعهـم الفـرس، واسـتغل هـؤلاء الـدول المحليـة لتنفيـذ مخططاتهـم، وهكـذا فعـل غيرهـم في عصـور اخـرى.

ثـم آل إلى القـوى الإسـلامية، التـي جعلـت منـه بحـيرة اسـلامية دهـرا طويـلا ولكـن سرعـان مـا نافسـتهم عليـه القـوى الصليبيـة، وفتحـت البرتغـال عهـدا جديـدا مـن الـصراع كانـت السـفن البخاريـة والاسـلحة الناريـة دعامتـه الأولى ووقـف العثمانيـون في وجـه الخطـر البرتغـالي وحرمـوا ارتيـاد البحـر الأحمـر عـلى غـير المسـلمين ولكـن دولا جديـدة دخلـت حلبـة الـصراع وبـدأ فجـر جديـد مـن الـصراع كان امتـدادا المحـاولات اوروبـا القديمـة في السـيطرة عـلى البحـر الأحمـر كمـا كان مسرحـا للتنافـس بـين بعـض الـدول الاوربيـة نفسـها مثـل انجلـترا وفرنسـا.

بافتتـاح قنـاة السـويس تمكنـت اوروبـا مـن احـكام قبضتهـا عـلى منافـذه واسـتطاعت اوربـا خـلال القرنـين الماضيـين ان تبسـط نفوذهـا العسـكري والسـياسي والاقتصـادي والتقنـي والثقـافي عـلى اجـزاء كبـيرة مـن المعمـورة كان البحـر الأحمـر واحـدا منهـا، وصـارت حضـارة الغـرب هـي الحضـارة الطاغيـة في عالـم إلـوم، واخـذ الغـرب يسـعى ليبسـط سـلطانه بـكل الوسـائل سـلمية كانـت أم عسـكرية وكانـت السـيطرة عـلى مصـادر الطاقـة آخـر الوسـائل لتحقيـق هـذا الهـدف، ومـا الحديـث عـن أمـن البحـر الأحمـر إلا رد الفعـل العربـي الإسـلامي، لزحزحـة هـذا الكابـوس.

المصادر والمراجع

١. ابوشـامة عبـد الرحمـن بـن اسـماعيل الروضتـين في اخبـار الدولتـين، بـيروت بـدون تاريـخ ج.
٢. أحمـد رمضـان مـصر والبحـر الأحمـر، نـدوة البحـر الأحمـر، جامعـة عـين شـمس،
٣. الادريـسي محمّـد بـن أحمـد تـاب نزهـة المشـتاق في اخـتراق الآفـاق، نابـولي،
٤. ابـن تغـرى بـردى، ابـو المحاسـن يوسـف، النجـوم الزاهـرة في اخبـار مـصر والقاهـرة.

٥. ابـــن ايـــاس، بدائـــع الزهـــور مـــن وقائـــع الدهـــور، تحقيـــق محمّـــد مصطفـــى، القاهـــرة ج،
٦. محمّـــد زغلـــول عبـــد ربـــه، البرتغاليـــون والبحـــر الأحمـــر، نـــدوة البحـــر الأحمـــر، جامعـــة عـــين شـــمس القاهـــرة.
٧. السيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن، القاهرة.
٨. ســـيد أحمـــد عـــلي النـــاصري الرومـــان والبحـــر الأحمـــر، نـــدوة البحـــر الأحمـــر في التاريـــخ جامعـــة عـــين شـــمس،
٩. عاشـــور، ســـعيد عبدالفتـــاح، بعـــض اضـــواء جديـــدة عـــلى العلاقـــات بـــين مـــصر والحبشـــة في العصـــور الوســـطى، المجلـــة التاريخيـــة المجلـــد.
١٠. عبـــد الرحيـــم عبدالرحمـــن، النشـــاط والتجـــارة في البحـــر الأحمـــر في العـــصر العثمانـــي، نـــدوة البحـــر الأحمـــر، جامعـــة عـــين شـــمس
١١. فـــاروق عثمـــان اباظـــة، التنافـــس البريطانـــي الأمريكـــي في جنـــوب البحـــر الأحمـــر في النصـــف الأول مـــن القـــرن التاســـع عـــشر، نـــدوة البحـــر الأحمـــر جامعـــة عـــين شـــمس،
١٢. فائـــق بكـــر الصـــواف اهميـــة ثغـــر جـــدة في النصـــف الأول مـــن القـــرن العـــاشر الهجـــري م ومصطفـــى محمّـــد رمضـــان نـــدوة البحـــر الأحمـــر، جامعـــة عـــين شـــمس،
١٣. القزويني عجائب المخلوقات القاهرة د ت
١٤. قاســـم عيـــد قاســـم علاقـــات مـــصر بعالـــم البحـــر الأحمـــر في عـــصر ســـلاطين المماليـــك، نـــدوة البحـــر الأحمـــر، جامعـــة عـــين شـــمس، القاهـــرة
١٥. محمّـــد أحمـــد انيـــس الدولـــة العثمانيـــة في الـــشرق العربـــي، القاهـــرة بـــدون تاريـــخ
١٦. محمّـــد أمـــين صالـــح تجـــارة البحـــر الأحمـــر في عـــصر المماليـــك الحراكـــة نـــدوة البحـــر الأحمـــر، جامعـــة عـــين شـــمس،
١٧. المسعودي علي بن أحمد مروج الذهب ج، باريس
١٨. المقريـــزي، عـــلي بـــن أحمـــد الإلمـــام عمـــا بـــأرض الحبشـــة مـــن ملـــوك الإســـلام، القاهـــرة
١٩. كتاب السلوك في معرفة دول الملوك ج، القاهرة،

الصراع بين الدول العظمي على البحر الأحمر حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي

د. علوية عبدالله خير الله

كلية العلوم الإنسانية - قسم التاريخ
جامعة بحري - مارس ٢٠٢٠م

مستخلص

ادركت الدول العظمي الأهمية الاستراتيجية و الاقتصادية التي يشكل البحر الأحمر، مما دفعها إلى تطوير اساطيلها البحرية و قوتها العسكرية من اجل السيطرة عليه وعلى موانيه ومنافذه.

هدفت هذه الدراسة للوقوف على طبيعة الصراع بين الدول العظمي على البحر الأحمر عبر التاريخ .و استخدم المنهج التاريخي في هذه الدراسة لجمع المعلومات والحقائق لتوافقه مع طبيعتها.

وتوصلت الدراسة إلي عدة نتائج منها:

١. أن ارتياد البحر الأحمر في الماضي كان من اجل التجارة ، و تطور فيما إلى صراع ومنافسة بين الدول العظمى.
٢. الدافع الرئيسي للقوى المتصارعة على البحر الأحمر هو خدمة مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية .
٣. وجود القوى الأجنبية في البحر الأحمر خلق مشاكل اقليمية و عنصرية للدول المطلة عليه ظلت مستمرة حتى الوقت الراهن.

وقد أوصت الدراسة بإجراء المزيد من البحوث والدراسات عن البحر الأحمر للاستفادة المميزات الضخمة التي يتمتع بها ، لخدمة الشعوب المطلة عليه.

Abstract

The Conflict between the Great Powers over the Red Sea until the end of the 19th century

Realizing the strategic and economic importance of the Red Sea, the Great Powers develop their naval fleets and military power in

order to control the Sea and its ports.

In this study, light is shed on the nature of the conflict between the great nations on the Red Sea throughout history. The historical method is deemed appropriate for data collections in this study.

The study comes up with the following findings:

1. The Red Sea was used for trade in the past; then it has turned gradually into a competitive zone and conflict area between the Great Powers.
2. The main motivation of the forces fighting over the Red Sea is to serve their own strategic and economic interests.
3. The presence of foreign powers in the Red Sea has created regional and national problems for the bordering countries.

The study recommends further research and studies on the Red Sea to reveal its huge treasures to its bordering countries.

مقدمة :

شكل البحر الأحمر منذ القدم أهمية اقتصادية، وسياسية ، واستراتيجية كبيرة مما جعل الدول المطلة عليه والدول العظمي تتصارع من اجل السيطرة عليه ، ومتى ما برزت أي منهما يبدأ الصراع ، ولكن تظل الأهمية الاقتصادية و الاستراتيجية هما أكبر عوامل للصراع . ففي العصور القديمة ارتاد الفراعنة البحر الأحمر من أجل جلب التوابل والبخور من بلاد بنط ، وخلفهم البطالمة ، والرومان الذين احكموا سيطرتهم على البحر الأحمر، ثم احتدم التنافس بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الفارسية العصور وفي العصور الوسطي ، و بعد الكشوف الجغرافية في القرن الخامس عشر، ووصول البرتغاليون إلي المحيط الهندي عن طريق الغرب زادت أهمية البحر الأحمر ، وعمل البرتغاليون على ابعاد القوى الإسلامية من منافذ البحر الأحمر.

وصل الصراع ذروته في القرن التاسع عشر حيث جرت بين القوى الأوربية الحديثة مواجهات عسكرية من اجل السيطرة على البحر الأحمر ، انتهت بتقسيم الدول المطلّة عليه فيما بينهما واعتبارها مناطق نفوذ لكل منهما.

مشكلة الدراسة :

إن الصراع بين الدول العظمي على البحر الأحمر ظاهرة امتدت عبر التاريخ ، ولكن في الوقت الحاضر، اصبح واقعاً ماثلاً ، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، والحرب الباردة وظهور القوى العظمي الحديثة التي تتنافس من أجل السيطرة على المواقع الاستراتيجية في العالم ، كما أن طبيعة الصراع على البحر الأحمر قديما و حديثا له ابعادها السياسية و الثقافية والاجتماعية، والحضارية ، التي يجب النظر إليها من خلال البُعد التاريخي لهذا الصراع.

اهداف الدراسة :

هدفت الدراسة إلى تبيان طبيعة الصراع على البحر الأحمر بين الدول العظمي في الماضي واثرها على الشعوب المطلة عليه ، وكذلك توضيح الوسائل التي استخدمتها تلك الدول لفرض نفوذها والسيطرة على البحر الأحمر.

أهمية الدراسة :

دراسة تاريخ الصراع بين الدول العظمي على البحر الأحمر، يساهم في وضع تصور للصراعات الإقليمية و الدولية المحتملة ، وخاصة أن مؤشرات الصراع متزايدة ومتباينة في الوقت الراهن.

فروض الدراسة :

أن المصالح الاقتصادية والاستراتيجية للدول العظمي هي الدافع الأول للصراع على البحر الأحمر، وأن تلك الدول استخدمت كافة الوسائل من اجل فرض نفوذها وسيطرتها على البحر الأحمر والدول المطلة عليها.

منهج الدراسة :

استخدم المنهج التاريخي الوثائقي ، لجمع المادة العلمية وتحليلها ، وهذا المنهج يتوافق مع طبيعة الدراسات التاريخية .

حدود الدراسة :

تناولت الدراسة الصراع بين الدول العظمي على البحر الأحمر منذ الفترة القديمة حتى نهاية القرن التاسع عشر.

جغرافية البحر الأحمر:

يبلغ طول البحر الأحمر من السويس إلى باب المندب حوالي ١٢٠٠ميل ، ويتفاوت عرضه بين ٢٥٠ميلاً في القسم الجنوبي إلى ١٣٠ميلاً في القسم الشمالي، ويعتبر البحر الأحمر

بمثابة حوض ضيق مستطيل من المياه . حيث يفصل هذا البحر سواحل شبه الجزيرة العربية عن السواحل الأفريقية ، ويتفرع في الشمال إلى خليجي السويس والعقبة وتفصلهما شبه جزيرة سيناء كما يتصل البحر

الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق قناة السويس ، ويتصل بخليج عدن طريق باب المندب[١] .

مميزات البحر الأحمر :

يتميز البحر لأحمر بمزايا عديدة ، فمن الناحية الجغرافية فهو ممر مائي ضيق يمتد من باب المندب في جنوبه حتى خليج السويس في شماله ، وتطل عليه عدد من الدول العربية والإفريقية، اما الناحية الاقتصادية فقد كان البحر الأحمر وما زال حتي اليوم يلعب دوراً كبيراً في حركة التجارة الدولية فهو الممر الرئيس للسفن التجارية القادمة من الغرب إلى الشرق ، ومن الناحية الاستراتيجية البحر الأحمر يتوسط قارات العالم الثلاث آسيا وإفريقيا وأروبا كما يجاور الشرق الأوسط منطقة الأوسط مركز الحضارات ومهد الديانات السماوية ، ويشكل حلقة وصل بين بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط ، كما تشكل الجزر الواقعة فيه قيمة استراتيجية عظيمة . كل هذه المميزات جعلت من البحر الأحمر محورا للصراع بين الدول العظمى قديما وحديثا [٢].

التسمية :

سمى البحر الأحمر بعدة مسميات وفقاً لموقعه من السواحل أو المدن التي تطل عليه ، فسمي ببحر القلزم نسبة لموقعه من مدنية القلزم الواقعة عند نهاية خليجه الغربي ، ومرة أخري ببحر أيله عند مدنية أيله ، وعرف ايضاً بالبحر الحجازي، ومرة أخرى ببحر عيذاب ، ويسميه ابن جبير بالبحر الفرعوني، ابن رسته بحر جدة عند ساحل مكة ، بينما يسميه الهمداني بساحل بحر الحجاز عند ساحل المدينة ، وبحر اليمن عند ساحل اليمن [٣].

اما الجغرافيون القدامى من اغريق و ورمان فقد اطلقوا على البحر الأحمر اسماء كثيرة عليه، فالمؤرخ الإغريقي اغاثار خيدسAgathar Chides) (اطلق عليه كلمة ((اريثريان)) (اريتريا الحالية) التي كان يومها كانت إسماً للبحر الأحمر، تعنى بالفارسية ((بحر الملك الأحمر)) ، وتذكر اسطورة فارسية قصة الملك الأحمر ، ذلك الملك الفارسي الذي حكم إمبراطورية فارسية قديمة[٤] ،

---

(١). عبد الحميد ، عبداللطيف بن محمد : البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني ،خلال الحرب العالمية الأولى ، ص١١

(٢) . الحجار، محمد صبحي الحجار : الصراع على البحر الأحمر حقبة ما قبل ١٩٨٠م ، الموقع الرسمي للجيش اللبناني

(٣). سالم . السيد عبد العزيز : البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٣م ، ص ٣

(٤). السلطان ،عبدالله عبد المحسن :البحر الأحمر والصراع العربي ألإسرائيلي التنافس بين استراتيجيتين،

وكذلك تعزى تسميته بالأحمر إلى لون الشعب المرجانية التي تكثر فيه.

الصراع على البحر الأحمر ما قبل عام ١٤٩٧م:

اتسم الصراع في هذه المرحلة من أجل السيطرة على الطرق التجارية، فقد شكل البحر الأحمر أهمية كبيرة عند العرب. وبحكم كونه طريقاً تجارياً فقد فرض عرب اليمن منذ العصور القديمة سيطرتهم على خطوط القوافل التجارية في منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندي ، واحتكروا الملاحة بين الهند وشبه الجزيرة العربية ، وكانت البضائع التي يجلبها العرب اليمنيون تشحن عن طريق البحر الأحمر ،ومن ثم تؤخذ مع القوافل عبر الساحل الشرقي إلى عرب الشمال [١].

اما بالنسبة لمصر فقد كان البحر الأحمر أعظم طرق المواصلات البحرية لها في العصور القديمة ، فقد اتخذ المصريون منذ عصر الدولة القديمة البحر الأحمر معبراً مائياً لسفنهم لنقل أشجار البخور والورس والكافور واللادن والأبنوس والعاج والقرفة وبعض الحيوانات من بلاد بونت (الصومال واليمن) [٢].

ويعتبر اسطول ساحورع أول رحلة دونت اخبارها على الآثار المصرية، ويليها في الشهرة رحلة اسطول الملكة حتشبسوت سنة ١٤٩٠ ـ ١٤٦٩ق.م . التي دونت اخبارها كذلك على معبد جدران الدير البحري بالأقصر وعنها تقول نقوش الملكة : أن الحملة ناجحة وموفقة وقد عادت محملة بعجائب بلاط بنط[٣] . وعندما انقطعت السفن المصرية من ارتياد هذا البحر في العصر المتأخر وتعرضت البلاد للسيطرة الأجنبية . تولت السفن المعينية والنبطية نقل السلع إلى مصر وسورية [٤].

وبعد أن جاء الإسكندر الأكبر إلى الشرق عمل على اقامة إمبراطوريه واسعة ذات منافذ على البحر الأحمر، و بالفعل سيطر على طريق التجارة القادم من الهند إلى الخليج الفارسي وجعل الموارد كلها في يد اليونان[٥].

و قد ورث البطالمة خلفاء الإسكندر في مصر الخبرة الفرعونية في ارتياد البحر الأحمر والاهتمام بموانيه ، فقد طوروا بناء السفن وبذلوا جهوداً كبيرة في اكتشاف سواحل البحر الأحمر الغربية والشرقية ، وأرسل بطليموس عدد من

مركز دارسات الوحدة العربية بيروت، ص٦

(١). السلطان ،عبدالله عبد المحسن :المرجع نفسه ص٣٩

(٢).سالم ، السيد عبدالعزيز، مرجع سابق ص٥

(٣). حافظ ، صلاح الدين : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،١٩٨٢م ،ص١٩

(٤). سالم ، السيد عبد العزيز، مرجع سابق،ص٦

(٥).حسن ،محمد إبراهيم :البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ـ١٩١٨م عين للدراسات والبحوث الانسانيةوالإجتماعية،مصر،١٩٩٨م،ص١٩

المكتشفين في تلك الأنحاء ، وخلفه بطليموس الثاني الذي حفر قناة تربط بين النيل والبحر الأحمر كما اهتم بإنشاء وتطوير الموانئ الهامة على الساحل المصري، ونشطت التجارة بين شمال وجنوب البحر الأحمر . ومن أعظم ما قام به البطالمة هو اكتشافهم الرياح الموسمية سنة ١١٦ق.م [١].

واصل البطالمة جهودهم الكشفية منها ما قام به (اسرطبون) الرحالة المشهور بدراسة احوال البحر الأحمر والشعوب المطلة عليه ، بتكليف من قائد الأسطول المصري فقد قدم تقرير إلي الملك ذكر فيه ذكر شعوب البحر الأحمر من بيهم قوم (ثمود) [٢] .

ولفرض البطالمة سيطرتهم على البحر الحمر قاموا بمحاصرة سفن الأنباط وتدميرها في معركة ساحقة ٢٧٨ ـ٢٧٧ق.م . وبذلك انتهت منافسة الأنباط التجارية لهم [٣].وبذلك يكونوا قد سيطروا البحر الأحمر سيطرة كاملة إلى أن حل محلهم الرمان.

استولى الرومان على مصر سنة ٣٠ ق.م ، واحكموا السيطرة على البحر الأحمر، وكان هدف الإمبراطور أغسطس القضاء احتكار اليمنيين للتجارة وتحويل مسارها إلى الموانى المصرية ، وبالفعل تمكن من فرض نفوذه على الممالك المطلة على ساحلي البحر الأحمر الشرقي والغربي . ففي سنة ٢٤ق.م قرر اغسطس إرسال آليوس جاليوس ثاني ولاته في مصر على رأس حملة إلى اليمن ، وقد حشد هذا الوالي عشرة آلاف جندي وبعض القوات المساعدة من مصر ، وبنى (٨٠) بارجة و(١٣٠) سفينة للنقل الجنود ،كما حشد الملك النبطي حليف الرومان حينذاك قوة أخرى ، خرج من ميناء كليو باتريس (بالقرب من السويس) وأتجه الى ميناء ليو كومي النبطي ، وكان الهدف من وراء هذا الاتجاه القيام بمظاهرة عسكرية استعراضية للقوة الرومانية في الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وذلك لإرهاب الأنباط واليمنيين معاً. وقد خسرت الحملة بعض سفنها والكثير من رجالها حتى وصلت إلى نجران . استغرقت رحلة العودة إلى مصر ستين يوماً بينما استغرقت رحلة الذهاب ما يقرب ستة أشهر [٤] .

وبعد وفاة الإمبراطور الروماني أغسطس ورث خلفاؤه إمبراطورية كانت ذات سيادة فعلية على البحر الأحمر وتنعم بدخل اقتصادي كبير . ولكن هذه السيطرة والقوة لم تستمر . اذ جاء بعد ذلك أباطرة ضعاف، ولذلك منذ القرن الثالث الميلادي ضعف الرومان سياسياً واقتصادياً واستمر الحال على

(١). سالم ، سيد مصطفي ، البحر الأحمر والجزر اليمنية ، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م،ص١١- ١٢

(٢). حسن ، إبراهيم محمد ، مرجع سابق ، ص٢٠

(٣). حسن ، إبراهيم محمد ، نفسه، ص٢١

(٤). سالم ، سيد مصطفي ، نفسه ، ص١٣

ذلك حتى القرن السادس عشر. و بالتالي اخذت التجارة تضعف في البحر الأحمر . وفي نفس الوقت اصاب الانحلال والتدهور بلاد العرب الجنوبية فقد أرسل أكسوم حملة بحرية سنة ٥٢٥م الى بلاد اليمن ولم يكن لدى (ذي نواس) حاكم حمير سطولاً يصد به هجمات العدو في البحر ، ولذلك استطاع الأحباش الاستيلاء على اليمن [١].

و بعد انحسار قوة الرومان تحول الصراع على البحر الأحمر لقوتين جديدتين الإمبراطورية الساسانية (الفرس) والإمبراطورية البيزنطية (الروم)، وتشير النقوش اليمنية إلى أن أبرهة عندما قام بترميم سد مأرب في سنة ٥٤٢م وصل وفد من ملك الروم ، و وفد من قبل كسرى فارس من ضمن الوفود التي قدمت الي مأرب مع تلك السنة ، وقدوم هؤلاء الرسل الى عاصمة سبأ القديمة يوضح الصراع القائم بين الروم والفرس لضم اليمن والسيطرة على البحر الأحمر فكان كل منهما يعمل على ابعاد الأخر من المحيط الهندي والبحر الأحمر[٢].

وفي أواخر القرن السادس الميلادي اكمل الفرس سيطرتهم على اليمن كما قضوا عل التجارة العربية في الخليج العربي باحتلالهم البحرين واصبحت الإمبراطورية الساسانية كبرى القوى في الشرق .ومع ظهور الإسلام ، وما عقبه من فتوحات استعاد البحر الأحمر مكانته وأصبح البحر الأحمر افضل طريق بحري يصل يبن الشرق والغرب . وخاصة في عهد الدولة الأموية حيث نشطت الحركة التجارية بسبب اهتمام الخلفاء الأمويين ، اما بعد قيام الخلافة العباسية وتحول مركزها إلى بغداد تحولت تبعاً لذلك تحولت مراكز التجارة من البحر الحمر وعدن الى الخليج .[٣] في فترة الدولة الطولونية ، و الإخشيدية ، والأيوبية ، ودولة المماليك نشطت الحركة التجارية مرة أخرى و ازدهرت موانئ البحر الأحمر [٤].

الصراع على البحر الأحمر من ١٤٩٧ م إلى ١٨٩٩م:

اما المرحلة التاريخية الحاسمة في الصراع على البحر الأحمر ،بدأت في سنة ١٤٩٧م بوصل البحارة البرتغالي برثلمو دياز إلى رأس الرجاء الصالح ، وفي سنة١٤٩٨م تمكن فاسكودى جاما من الوصول إلى الهند عن طريق الغرب. و مع صول البرتغاليون إلى المحيط الهندي ، فقد المماليك سيطرتهم على البحر الأحمر ،كما تعرضت الأماكن المقدسة للخطر، حينت عين البوكرك حاكماً على الهند في سنة ١٥٠٩م ، فقد رسم مشروعه الصليبي في اتجاهين الأول الوصول

(١). حسن ، إبراهيم محمد ، مرجع سابق، ص٢٦

(٢). سالم ، السيد عبد العزيز، مرجع سابق،ص٩

(٣) . سالم ، السيد عبد العزيز، نفس المرجع ،ص١٣

(٤). ـ سالم ، السيد عبد العزيز، نفس المرجع ،ص ٨٩

إلى الأماكن المقدسة ، والثاني تحويل مياه النيل إلى البحر الأحمر ولما فشل في تحقيقه شن حملات تخريبية ضد موانى البحر الأحمر . وبالرغم أن البرتغاليين فشلوا في الحاق الضرر بالأماكن المقدسة ، لكنهم تمكنوا من دراسة اوضاع البحر الأحمر وبالأخص شاطئه الغربي الذي يضم الحليف التقليدي لهم وهم الأحباش[١].

وبين ١٥٠٧ ـ ١٥١٠ استمر الصراع البحري في مياه المحيط الهندي بين المصريين والبرتغاليين ، ففي في سنة ١٥٠٧م احتل البرتغاليون جزيرة سوقطرة ، وفي سنة ١٥٠٨م لقوا هزيمة على يد الأسطول المصري في شول(Chaul) جنوب بومباي، ثم واجهوا هزيمة مرة في سنة ١٥٠م قرب ديو (Diu) بالقرب من الهند ، وما كان منهم الا أن تحولوا نحو عدن هاجموها في سنة ١٥١٣م ، مضرمين النار في السفن العربية وبحارتها ، ولكن ما لبثوا أن منيوا بخسائر فادحة فغادروا البحر الأحمر ، ولكن عادوا من جديد في سنة ١٥١٧م وهزموا مرة اخرى وانسحبوا انسحاب كامل من البحر الأحمر[٢].

وبحلول سنة ١٥١٧م تغيرت الموازين الدولية حيث ظهر على مسرح الأحداث في البحر الأحمر قوة جديدة وهي الدولة العثمانية حيث تمكن السلطان العثماني سليم الأول من احتلال سورية و مصر في سنة ١٥١٧م ، و إيران في سنة ١٥١٤م ، ومن ثم بسطت الدولة العثمانية سيطرتها على الحجاز ، وعسير ، ثم سواحل البحر الأحمر كلها، وقطع السلطان العثماني عهداً بعدم السماح لأي سفينة اجنبية باجتياز مياهه ، و من هنا عزم العثمانيون على احتلال عدن ، ولكن لقوا هزيمة من السكان المحليين ،و استولوا عليها اخيراً في سنة ١٥٣٩م إلا انهم هزموا مرة اخرى في البحر الأحمر على يد البرتغاليين، فلم يتم إخضاعها إلا في سنة ١٨٤٧م ، احتلوا في ١٥٥٧م ميناء مصوع وتعاون معهم أهل البلاد في طرد البرتغاليين من المنطقة و شواطئ البحر الأحمر [٣]، ولم يتوقف الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين الا في سنة ١٥٨٠ م عندما ضعفت البرتغال بسبب مشاكلها الداخلية وبدأت شمسها تميل إلى المغيب ، وظهر نجم انجلترا على ميدان الأحداث في البحر الأحمر [٤].

دخلت انجلترا المحيط الهندي والبحر الأحمر وكان هدفها الأساسي حماية تجارتها مع الهند، وبخاصة حينما سعي ملك فرنسا لويس الخامس عشر في سنة ١٧٤١م لتجديد معاهدة الامتيازات التي سبق أن عقدها في سنة

---

(١). الرمال ، غسان على محمد : صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر خلال القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، رسالة ماجستير ، جامعة عبد العزيز، ص١٠٦ـ١٠٧

(٢) . السلطان ،عبدالله عبد المحسن :المرجع نفسه ص٤٩

(٣) مصطفى ، أحمد عبد الرحيم : في أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٣م ص٩٨.

(٤). السلطان ،عبدالله عبد المحسن :نفسه ص٥٠.

١٥٣٥م ، مع الدولة العثمانية التي أصبح بمقتضاها لفرنسا حماية المسيحيين الكاثوليك في سائر أرجاء الدولة العثمانية ، وبذلك خشيت انجلترا من ازدياد النفوذ الفرنسي في بلاد الشرق ، و أن تستغل فرنسا طريق البحر الملاحي وتهدد مصالحها في الهند، ولذا فإن انجلترا سعت منذ ذلك الوقت لإحياء طريق البحر الأحمر[١].

وفي سنة ١٧٧٣م نجحت إنجلترا في عقد اتفاقية مع علي بك الكبير فتح بموجبها السويس لمراكبهم ، حتى أصبح العلم البريطاني ، أول الأعلام الأجنبية التي رفرفت في البحر الأحمر ، ولكن سرعان ما دخل الفرنسيون منافسين للإنجليز للاستفادة من التجارة عبر مصر و طريق البحر الأحمر ، فعقدوا اتفاقية مع مراد بيك في سنة ١٧٨٥م حصلت بمقتضاه فرنسا أفضل من مما حصل عليه الإنجليز ، كما اتفقت فرنسا مع كبير ملتزمي الجمارك في مصر ومع بعض شيوخ العربان لنقل التجارة بين السويس والقاهرة ، بموجب هذه الاتفاقية أصبح الفرنسيون سادة البحر الأحمر ، و أنهم بإمكانهم أن يهددوا المصالح الإنجليزية ، و خرجت نوايا فرنسا نحو البحر الأحمر من حيز التفكير الى حيز التنفيذ ، في ارسالها حملة نابليون على مصر في سنة ١٧٩٨م، وهذه الحملة نبهت انجلترا إلى خطورة المخطط الفرنسي في البحر الأحمر و وضرورة الوقوف ضدة ، ولذلك سعت إلى اخراج الفرنسين من مصر وبالفعل تم ذلك في سنة ١٨٠١م[٢].

وبعد خروج فرنسا من مصر عملت انجلترا فرض سيطرتها على البحر الأحمر بكافة الوسائل العسكرية و الدبلوماسية حيث قامت شركة الهند الشرقية بنشاط واسع للسيطرة على المراكز الاستراتيجية في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، للوقوف في وجه أي محاولة للوصول إلى الهند، ، وسنة ١٨٠٢م عقدة معاهدة مع سلطان لحج لفتح ميناء عدن امام السفن التجارية الإنجليزية، ومعاهدة أخرى مع إمام صنعاء في سنة ١٨٢١م كفلت الوكيل البريطاني في ميناء مخا أن يكون بمثابة المندوب السامي ، و أكثر من هذا عملت على اخضاع ميناء عدن واحتلته في سنة ١٨٣٩م [٣].

وبلغت المنافسة بين انجلترا وفرنسا ذروتها عندما حصلت فرنسا في سنة١٨٥٦م على موافقة محمد سعيد باشا والي مصر بحفر قناة السويس ، ومن شروط العقد جعل القناة وموانئها على الحياد، وأن الملاحة حرة للسفن

---

(١).عبد الرحيم ، عبدالرحيم عبد الرحمن :تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دار الكتاب الجامعي،القاهرة،٢٠٠٠م ،ص ١٩٢ .

(٢) . عبد الرحيم ، عبد الرحمن عبد الرحيم ، نفس المرجع ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٣). حسن ، إبراهيم محمد ، مرجع سابق، ص٣٩ ـ ٤٠

التجارية[١].
بقي هذا الحياد محترماً بين الدول إلى أن وقعت أحداث الثورة العرابية في مصرفي سنة ١٨٨١م ، وقامت انجلترا باحتلال مصر في سنة ١٨٨٢م ، كما احتلت مينائي الصومال زيلع وبربرة في سنة ١٨٨٤م[٢].
اما فرنسا فقد احتلت مينائي أوبوك وتاجورا في سنتي ١٨٨٤ و١٨٨٥م وميناء جيبوتي في سنة١٨٨٨م، وبالنسبة إلى إيطاليا فدخلت في التنافس التجاري والبحري في البحر الأحمر فظهروا للأول مرة في سنة ١٨٦٩م، وفي سنة ١٨٨٥م استعمرت عصب، و ونفس السنة احتلت مصوع[٣] .
ثم واصلت بريطانيا في توسيع نطاق سيطرتها على البحر الأحمر واحتلت السودان سنة ١٨٩٨م، وعملت في نفس العام على ابعاد فرنسا منه بالقوة.[٤]
هكذا مع نهاية القرن التاسع عشر أصبح البحر الأحمر بشواطئه وموانئه الممتدة من خليج السويس إلى باب المندب بأكمله تحت السيطرة الأجنبية، وخاصة الإنجليزية.

نتائج الدراسة :

وبعد استعراضنا في الصفحات السابقة لتاريخ الصراع على البحر الأحمر نخلص إلى النتائج التالية :

١. الموقع الاستراتيجي للبحر الأحمر بكونه طريقاً للتجارة هو الذي لفت أنظار القوى العظمي قديما وحديثا للسيطرة عليه.
٢. هدف القوى العظمي من السيطرة على البحر الأحمر خدمة مصالحها التجارية والسياسية.
٣. وجود القوى الأجنبية في البحر الأحمر خلق مشاكل اقليمية و عنصرية وثقافية ظلت تعاني منها الدول المطلة عليه حتى الوقت الراهن.
٤. الصراع على البحر الأحمر، نتج عنه الهمينة والسيطرة على الدول المطلة عليه .
٥. التباين الاثني والثقافي بين دول البحر الأحمر استغلته الدول العظمي لتنفيذ اجندتها في البحر الأحمر .
٦. على الرغم من المزايا الضخمة التي يتمتع بها البحر الأحمر إلا ان دول المطلة عليه لم تتمكن من الاستفادة منها.
٧. غياب القوة الإقليمية ساهم مساهمة كبيرة في سيطرة الدول العظمي على

(١). حسن ، إبراهيم محمد ،نفس المرجع، ص٤٢
(٢). حسن ، إبراهيم محمد ،نفس المرجع، ص٥٤
(٣) . حسن ، إبراهيم محمد ،نفس المرجع، ص ٥٥ ـ٥٦
(٤) . حسن ، إبراهيم محمد ،نفس المرجع، ص ٤٤

البحـر الأحمـر ودولـه.

٨. الـصراع عـلى البحـر الأحمـر حقـق أغـراض أوربـا في نـشر المسـيحية في بعـض دول أفريقيـا والـشرق الأقـصى.

٩. ٩ . الـصراع بـين الـدول العظمـي عـل البحـر الأحمـر أدى إلى مواجهـات عسـكرية بينهما .

١٠. ١٠. سـيبقى البحـر الأحمـر، لمـا يتمتـع بـه مـن خصائـص مصـدرا محتمـلا الـصراع والمواجهـة العسـكرية في المنطقـة في الحـاضر.

التوصيات :

١. امـن البحـر الأحمـر يتوقـف عـلى التعـاون بـين دول البحـر الأحمـر. و عليـه لابـد مـن تكويـن منظومـة إقليمـه تقـوم تضـم الـدول المطلـة عليـه .

٢. إجـراء المزيـد مـن البحـوث والدراسـات عـن البحـر الأحمـر. حتـى تتمكـن دول المطلـة مـن الاسـتفادة منـه وحـل المشـاكل التـي تهددهـا .

المصادر والمراجع

١. أبوبكـر، محمـد عثمـان :المثلـث العفـري في القـرن الأفريقـي، المكتـب المـصري، للتوزيـع ،القاهـرة١٩٩٦م .

٢. إبراهيـم، أحمـد نـصر الديـن، و إجـلال محمـد رأفـت، القـرن الأفريقـي الداخليـة المتغـيرات الداخليـة والصراعـات الدوليـة ، دار النهضـة العربيـة ، القاهـرة ، ١٩٨٥م .

٣. الحميـد ، عبـد اللطيـف بـن محمـد: البحـر الأحمـر و الجزيـرة العربيـة في الـصراع العثمانـي البريطانـي خـلال الحـرب العالميـة الأولى ١٣٣٢ـ ١٣٣٧هـ / ١٩١٤ ـ١٩١٨م، الريـاض١٩٩٤م.

٤. السـيد ، محمـود : أفريقيـا والأطمـاع الغربيـة ، الإسـكندرية ، مؤسسـة شـباب الجامعـة ، ٢٠٠٩م .

٥. العمايـرة :خالـد محمـد سـالم ، موانـي البحـر الأحمـر وأثرهـا في تجـارة المماليـك ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ١٥١٧م، رسـالة دكتـوراه ، جامعـة اليرمـوك ، ٢٠٠٤م .

٦. السـلطان، عبدالله عبـد المحسـن :البحـر الأحمـر والـصراع العربـي الإسرائيـلي، التنافـس بـين اسـتراتيجيتين ، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة ،١٩٨٨م .

٧. بيركـت، سـيلاسي، الـصراع في القـرن الأفريقـي ،(ترجمـة) عفيـف الـرَزاز، المكتبـة الإرتيريـة ، مؤسسـة الأبحـاث العربيـة ،بـيروت، ١٩٨٠م.

٨. حسـن، إبراهيـم محمـد ، البحـر الأحمـر في الحـرب العالميـة الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨م،عـين للدراسـات و البحـوث الإنسـانية والاجتماعيـة ، الهـرم، ج.م م، ١٩٩٨م.

٩. حافظ ، صلاح الدين : صراع القوى حول القرن الأفريقي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،١٩٨٢م.
١٠. سالم . السيد عبد العزيز : البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٣م .
١١. سالم ، سيد مصطفي :البحر الأحمر والجزر اليمنية، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م.
١٢. الرمال ، غسان علي محمد :صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري ـــ السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبدالعزيز،١٩٨٠ ـ ١٩٨١ م.
١٣. مصطفى ، أحمد عبد الرحيم : في أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٣م .
١٤. موريس ، روزيتا :من البحر الأحمر للنيل الأزرق (مغامرات في الحبشة) (ترجمة) صبري محمد حسن، دار الجمهورية للصحافة، رمسيس،٢٠١٠م.
١٥. عاشور ، سعيد عبد الفتاح : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٩٦م .
١٦. عبد الرحيم ، عبدالرحيم عبد الرحمن :تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دار الكتاب الجامعي ،القاهرة ،٢٠٠٠م .
١٧. عبد الرحيم ، عبدالرحيم عبد الرحمن :التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، دار الكتاب الجامعي ،القاهرة ،١٩٩٥م .

العلاقات اليمنية الحجازية «طريق الحج اليمني أنموذجاً» ق٥-٤هـ/ق١١-١٠م.

د. محمد قايد حسن الوجيه

- قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة بيشة - المملكة العربية السعودية

الملخص:

تناول البحث العلاقات اليمنية الحجازية خلال القرنين الرابع والخامس الهجري/العاشر والحادي عشر الميلادي، مركزاً على طريق الحج اليمني أنموذجاً، وما شمله هذا الطريق من علاقات بين اليمن والحجاز سواءً عبر مواسم الحج أو التجارة أو رحلات طلب العلم، شمل البحث ثلاثة محاور، الأول: العلاقات اليمنية الحجازية في الجانب الديني (شعيرة الحج)، مراحل طريق الحج اليمني، الثاني: العلاقات اليمنية الحجازية في الجانب التجاري ودور طريق الحج اليمني في ذلك، الثالث: العلاقات اليمنية الحجازية في الجانب العلمي (رحلات طلب العلم الفردية أو الجماعية) ودور طريق الحج اليمني في ذلك.

توصل البحث للعديد من النتائج منها: ساعد طريق الحج اليمني في إقامة العلاقات الدينية بين اليمن والحجاز في فترة البحث عبر محطات الحجاج المنتظمة لدى الجانبين، وساهم في إقامة العديد من العلاقات التجارية عبر الأسواق المنتظمة وتبادل السلع التجارية لدى الطرفين، كما عَبَرَ طريق الحج اليمني العديد من طلاب العلم بقصد الحج أو الجوار أو طلب العلم.

الكلمات المفتاحية: العلاقات- اليمنية – الحجازية- طريق الحج اليمني- ق٤-٥هـ/ ١٠-١١م.

The Yemeni–Hejazi Relations: the Yemeni Pilgrimage Route as an Example (The 4th and 5th centuries AH / the 10th and 11th centuries AD)

Dr. Mohammed Qaid Hasan Alwajeeh

The Abstract

The current research tackled with the Yemeni–Hejazi relations during the fourth and fifth centuries AH / the tenth and eleventh centuries AD, focusing on the Yemeni pilgrimage route as an example, and the relations between Yemen and Hejaz that were included on this road, whether through the pilgrimage seasons, or through trade or journeys seeking knowledge. The research included three axes. The first axis dealt with the Yemeni–Hejazi relations on the religious side (the Hajj ritual) and the stages of the Yemeni pilgrimage route. The second discussed the Yemeni–Hejazi relations on the commercial side and the role of the Yemeni pilgrim route in that side. The third axis clarified the Yemeni–Hejazi relations on the scientific side (Individual or group journeys seeking knowledge) and the role of the Yemeni pilgrimage route in that side.

The research revealed many results. The most important result was that the Yemeni pilgrimage route helped establish religious relations between Yemen and Hejaz during the research period through regular pilgrim stations on both sides. Besides, it contributed in establishing many commercial relations through regular markets and the exchange of commercial goods between the two states. Moreover, many knowledge seekers crossed the Yemeni pilgrim route of knowledge with the intention of either Hajj, neighborhood, or seeking knowledge.

Keywords: the Yemeni–Hejazi relations – the Yemeni pilgrimage route – the 4th and 5th centuries AH / the 10th and 11th centuries AD

أهمية البحث:

العلاقات بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها قائمة منذ ما قبل الإسلام(١)، وزادتْ متانةً في العصر الإسلامي عن طريق مواسم الحج والتجارة ورحلات طلب العلم، عبر «طريق الحج اليمني»(٢)، ولعل أهمية البحث تكمن في تركيزه على العلاقات اليمنية الحجازية في القرنين الرابع والخامس الهجري/العاشر والحادي عشر الميلادي، زمن الدولة الزيادية(٣)، والدولة النجاحية(٤)، التي

ورثتهـا في الحكـم.
قـام حـكّام الدويـلات السـنية في اليمـن ببنـاء محطـات الحجيـج اليمنـي، وتوفـير كل مـا تحتاجـه قوافـل الحجـاج، ابتـداءً مـن عواصـم الدويـلات المسـتقلة في اليمـن في فـترة البحـث حتـى مكـة المكرمـة، فأمنـتْ الطـرق، ممـا أنعـش الأسـواق التجاريـة عـلى طـوال طريـق الحـج اليمنـي، وسـاعد عـلى تعـدد رحـلات طلـب العلـم إلى مكـة المكرمـة، الأمـر الـذي سـاهم بشـكل كبـير في تنـوع العلاقـات اليمنيـة الحجازيـة في فـترة البحـث.

أهداف البحث:

- تَتَبُّـع العلاقـات اليمنيـة الحجازيـة في الجانـب الدينـي (شـعيرة الحـج) ومعرفـة مراحـل طريـق الحـج اليمنـي.
- تَتَبُّـع العلاقـات اليمنيـة الحجازيـة في الجانـب التجـاري ودور طريـق الحـج اليمنـي في ذلـك.
-

تَتَبُّـع العلاقـات اليمنيـة الحجازيـة في الجانـب العلمـي (رحـلات طلـب العلـم الفرديـة أو الجماعيـة) ودور طريـق الحـج اليمنـي في ذلـك.

محاور البحث:

- العلاقـات اليمنيـة الحجازيـة في الجانـب الدينـي (شـعيرة الحـج)، مراحـل طريـق الحـج اليمني.
- العلاقـات اليمنيـة الحجازيـة في الجانـب التجـاري ودور طريـق الحـج اليمنـي في ذلـك.
- العلاقـات اليمنيـة الحجازيـة في الجانـب العلمـي (رحـلات طلـب العلـم الفرديـة أو الجماعيـة) ودور طريـق الحـج اليمنـي في ذلـك.

منهج البحث:

سـيتبع الباحـث المنهـج التاريخـي الاسـتقرائي مـن خـلال تتبـع واسـتقراء المـادة العلميـة للبحـث وجمعهـا ثـم دراسـتها تاريخيـاً وتحليلهـا وفـق معطيـات البحـث ومباحثـه، وكذلـك المنهـج التاريخـي الوصفـي.

الدراسات السابقة:

١. عامـر، محمـد عـلي: قافلـة الحـج اليمنـي خـلال العهـد العثمانـي، مجلـة كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية، جامعـة صنعـاء، ع١٣، ١٩٩١م، صفحـات(٣٧٩-٣٥٥).
٢. الحربـي، عـلي إبراهيـم: طريـق الحـج اليمنـي في أرجـوزة الرداعـي، ١-، دار اليمامـة، مـج٣٢، ع٣، ٤، فبرايـر ١٩٩٧م، صفحـات٢٣٤-٢٢٧).
٣. الحربـي، إبراهيـم بـن إسـحاق: المناسـك وأماكـن طـرق الحـج ومعالـم الجزيـرة،

تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤. بعض هذه الدراسات تناول موسم الحج خارج فترة الدراسة مثل الدراسة الأولى، والبعض الآخر تتبع مراحل طريق الحج اليمني اقتباساً من ارجوزة الرداعي، مثل الدراسة اللثانية، والبعض الآخر تناول ذكر المناسك وطرق الحج بشكل عام، مثل الدراسة الثالثة، غير أنها جميعاً لم تبين دور طريق الحج اليمني في تطور العلاقات بين اليمن والحجاز الدينية والتجارية والعلمية، وهو ما حاول البحث الوصول إليه.

٥. التمهيد:

٦. قُسِّمَت الجزيرة العربية من قبل المؤرخين والجغرافيين إلى خمسة أقسام: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن(٥)، وعن تسمية الحجاز بهذا الاسم يقول ابن الفقيه: « .. إنما سمي الحجاز حجازاً لأنه يحجز بين تهامة ونجد، .. والحجاز ما يحجز بين تهامة والعروض وما بين اليمن ونجد...».(٦)

٧. استمرتْ علاقة اليمن بالحجاز طوال التاريخ الإسلامي عبر العديد من الوسائل منها: مواسم الحج والعمرة، ومواسم التجارة، غير أن انتقال الخلافة إلى دمشق وبغداد في العهد الأموي والعباسي جعل اليمن من الولايات البعيدة عن عاصمة الخلافة، مافاعتمدتْ نظام الإنابة في تعامل ولاتها مع إقليم اليمن، حيث استقر ولاة اليمن في مكة، وتولى نوابهم تنفيذ المهام الموكلة إليه من ولاتهم في مكة(٧)، وهناك الكثير من الشواهد الدالة على ذلك(٨).. ولم تلبث أن تحولتْ هذه الخطوة الإدارية إلى ظاهرة مارسها الكثير من الولاة(٩)، ولا شك أن أخبار اليمن كانت تصل للوالي أول بأول من قبل نائبه عبر طريق الحج اليمني العليا أو الساحلي، كما كانت تصل إلى الحجاز الرسائل الهامة والزكاة والأموال والخراج عبر نفس الطريق.

٨. تغيرتْ سياسة الخلافة العباسية تجاه اليمن في عهد الخليفة المأمون العباسي(ت ٢١٨هـ/٨٣٣م) ، الذي قام بعزل اليمن عن الحجاز، كما فصل المناطق الجبلية اليمنية عن الداخلية فيه (١٠)، وبناءً على هذه السياسة الجديدة أَسْنَدَ الخليفة المأمون ولاية المناطق التهامية إلى محمد بن زياد, وما استولى عليه من الجبال(١١)، بينما ظلت السياسة العامة للخلفاء العباسين تجاه اليمن تتسم بربطها بمكة المكرمة طول عصر الولاة.(١٢)

٩. المحور الأول: العلاقات اليمنية الحجازية في الجانب الديني (شعيرة الحج)، مراحل طريق الحج اليمني.

حاولتْ الدول الإسلامية المتعاقبة عبر العصور الإسلامية المختلفة توفير ما يحتاجه الحجيج من خدمات مختلفة ابتداءً من انطلاقهم من ديارهم حتى وصولهم إلى الديار المقدسة، وعلى راس هذه الأولويات تكليف أميراً للحج(١٣)، مهمته محددة بموسم الحج(١٤)، ومتحققه فيه الشروط المعتبرة لذلك.(١٥)

اتبعتْ قوافل الحجيج الخارجة من أقاليم العالم الإسلامي نظام دقيق من بداية تحركها من بلدانها إلى أن تنتهي من أداء مناسح الحج وحتى عودتها، اختلف هذا النظام من إقليم لأخر حسب عادات وظروف كل بلد، ولعل قوافل الحج اليمني لم تخرج عن ذلك، مع مراعاتْ ظروف اليمن الذي عانى من إهمال من قبل الخلافة لبعده عن عاصمتها، ما زاد من عدد الولاة القادمين إليه بتكليف من الخليفة، والذين استقر الكثير منهم في مكة واكتفوا بنظام الإنابة، ما جعل اليمن يفقد الاستقرار في أغلب مراحله التاريخية، ومع ذلك فقد كلف الوالي أو نائبه أميراً على قافلة الحج، سمي بأمير القافلة، مهمته إدارة القافلة ذهاباً وإياباً، ومن شروطه: الشجاعة والهيبة والرأي السديد، والدراية بالواجبات المناطة به(١٦)، ومن مهامه: الحرص عليهم من قطاع الطرق والمفسدين(١٧)، وترتيبهم في المسير والنزول فلا يظل عنهم منقطع(١٨)، إلى جانب مهام كثيرة أخرى.(١٩)

خرجتْ قوافل الحجيج اليمني كل حسب ظروفها وتهيئها، فتعددتْ ولم تنتظم في قافلة واحدة كما كان الحال عليه في أقاليم العالم الإسلامي الأخرى، ولعل أبرز المناطق التي خرجتْ منها قوافل الحج اليمني (صنعاء- عدن- حضرموت)، ينظم لأياً منها حجاج المناطق الداخلية مراكز أو قرى، لأن موعد انطلاق القوافل كان محدداً، والاستعداد لمن يرغب الالتحاق بها كان مبكراً قبل عدة أشهر من موسم الحج لتجهيز الزاد أو الراحلة(٢٠)، ولكنه لم يكن منظماً كما هو الحال في بعض مناطق العالم الإسلامي التي كان التنبيه لحجاجها قد يصل حد إعلامهم بعدم إمكانية حج هذا العام لسبب القحط أو الخوف.(٢١)

طريقة توديع قوافل الحج اليمني: تبدأ زيارة منزل الحاج والسلام عليه والاحتفال به قبل اسبوعين من سفره والتحاقه بقافلة الحجيج(٢٢)،التي يكون انطلاقها في شهر شوال لتقطع المسافة إلى مكة في أقل من شهرين(٢٣)، غير أن قوافل الحجيج في اليمن تعددتْ ربما لتعدد المذاهب الدينية والثارات القبلية فيه، مما زاد من معاناتْ الحجاج اليمنيين، وهو أمر لا يوجد له مثيل إلا في المغرب الإسلامي(٢٤)، وقد نتج عن ذلك تشكيل قوافل حج خاصة بكل منطقة، واتخاذ مقرات للإقامة خلال فترة الحج متباعدة عن بعضها البعض، ما دفع شريف مكة لعدم القيام بمراسيم استقبالهم عند وصولهم مكة المكرمة كما هو معتاد لاستقبل حجاج كل إقليم من أقاليم العالم الإسلامي(٢٥)، ومع ذلك فقد كان الخروج للحج ضمن قوافل، وقل من خرج منفرداً، حيث

لـن يحصـل عـلى الحمايـة، وسـيكون أكثـر عرضـة للنهـب مـن قطـاع الطـرق.(٢٦)

طريق الحج اليمني:

ظهرت ثلاثاً من الطرق اليمينة لقوافل الحج اليمني برية وبحرية كالتالي:

١. الطريـق العليـا: أو الطريـق الجبـلي ويبـدأ مـن عـدن إلى الجـوة ثـم الجنـد حتـى مدينـة إب(٢٧)، ومنهـا إلى النقيـل ثـم ذمـار وصـولًا إلى صنعـاء(٢٨)، ثـم ريـدة، وأثافـت(٢٩)، وخيـوان(٣٠)، والمهجـرة(٣١) ومنهـا إلى صعـدة (٣٢)، وسروم الفيـض(٣٣)، ثـم يبـدأ الطريـق بـاراضي الحجـاز والتـي أولهـا كتنـة(٣٤)، ثـم يبمبـم(٣٥) ثـم بنـات حـرب(٣٦)، وجسـداء(٣٧) وبيشـة بعطـان(٣٨)، وتبالـة(٣٩) وكـرى(٤٠)، وتربـة(٤١) والصفـن(٤٢)، وفتـق(٤٣)، ورأس المناقـب وصـولًا إلى قـرن المنـازل(٤٤)، وهـو ميقـات أهـل نجـد ومـن يأتـي مـن طريقهـم ومنهـم أهـل اليمـن، وصـولاً إلى مكـة.

٢. الطريـق السـاحلي: يبـدأ هـذا الطريـق مـن عـدن حتـى المخنـق فعـبرة فالسـقيا وصـولا إلى بـاب المنـدب فالمخـا ثـم الأهـواب فغلافقـة(٤٥)، لتكمـل القوافـل طريقهـا بعـد ذلـك حتـى الزرعـة فالشرجـة، فالمغجـر والقنديـرة ثـم عثـر(٤٦)، ثـم بيـض ودويمـة وحمضـة وذهبـان وحـلى(٤٧)، ثـم السريـن(٤٨) ثم ملـكان(٤٩) وصـولاً إلى جـدة(٥٠) ومنهـا إلى مكـة المكرمـة.

٣. الطريـق البحـري: يبـدأ سـكان المناطـق الداخليـة بركـوب القوافـل البريـة للوصـول إلى الموانـئ البحريـة (عـدن- المخـا- حـردة)، ومـن مينـاء حـردة عـلى سـاحل البحـر الأحمـر حتـى السريـن عـبر المراكـب البحريـة، ومـن السريـن يواصـل الحجـاج طريقهـم حتـى الشـعيبة ثـم جـدة ومنهـا الى مكـة.(٥١)

خدمـات طريـق الحـج اليمنـي: بذِلَـتْ كثـير مـن الجهـود لإصـلاح طريـق الحـج اليمنـي وإقامـة الخدمـات اللازمـة في محاطاتـه المختلفـة مـن آبار واسـتراحات للحجـاج ودوابهـم، لتخفيـف معانـات السـفر لديهـم، وقـد بَـذَلَ هـذه الجهـود الكثير مـن حـكام اليمـن والحجـاز في فـترة البحـث.

أبـرز هـذه الجهـود مـا قـام بـه الحاكـم الزيـادي الحسـين بـن سـلامة(ت٤٠٢هـ) (٥٢)، الـذي اتصـف بحسـن السـيرة حتـى شـبهه البعـض بالخليفـة عمـر بـن عبـد العزيـز(٥٣)، حيـث اهتـم بتوفـير سـبل الراحـة للحجيـج عـبر بنـاء اسـتراحات عـلى طـول طريقهـم إلى بيـت اللـه الحـرام، يقـول عمـارة اليمنـي: «أنشـأ الجوامـع الكبـار، والمنـارات الطـوال... وحفـر الآبـار الرويـة والقلـب العاديـة في المفـاوز المنقطعـة، وبنـى الأميـال والفراسـخ والـبرد عـلى الطرقـات، فمـن ذلـك مـا رأيتـه عامـراً ومسـتهدماً، ومنهـا مـا رواه النـاس روايـة إجمـاع...»(٥٤)، وكل محطـة تشـمل جامـع وبـئر ومئذنـة(٥٥)، كمـا قـام ببنـاء أو ترميـم العديـد مـن المسـاجد للحجـاج

ابتداء من عدن والجند التي بنا فيها جامعاً يماثل جامع أحمد بن طولون في مصر(٥٦)، وجدّد مسجد ذي أشرق الذي بُنِيَ بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز(٥٧)، وفي صنعاء بَنَى مسجدا نُسب إليه فسمي مسجد ابن الحسين(٥٨) كما بنى مسجداً في مكة المكرمة في جبل الرحمة بعرفات، وكان فيه: «... طاقاً كبيرا يضعون فوق قبته كثيراً من القناديل والشموع ليلة عرفة ويومه، فيرى نورها من مسافة فرسخين».(٥٩)، ولعل أي إصلاح في الحرم كان يُقابَل بمعارضة شديدة من شريف مكة في ذلك الوقت محمد بن جعفر بن أبي هاشم، ولا يقبل إلا إذا حصل على مبلغ من المال، فقد استلم من الحسين بن سلامة مبلغ ألف دينار قبل أن يسمح له للقيام بإصلاحاته.(٦٠)

تم إصلاح طريق الحج وتوفير السلامة للسائرين عليه، من ذلك توسيع عقبة الطائف وتسمى (كرا) وهي مسافة يوم للطالع ونصف يوم للهابط، وكانت ضيقة تعرقل سير قوافل الحجيج، فوسعها الحسين بن سلامة فمشتْ في عرضها ثلاثة جمال بأحمالها.(٦١)

مخاطر طريق الحج اليمني وجهود حكام اليمن والحجاز التغلب عليها:

واجه حجاج اليمن العديد من المخاطر في طريقهم إلى مكة، وقد بذل حكام اليمن والحجاز جهوداً كبيرة للتغلب عليها، وأهمها:

الأول: العطش وعدم الحصول على الماء: من المحاولات التي بذلها حكام اليمن والحجاز للتغلب على ذلك: حفر العديد من الآبار على طول مراحل قافلة الحج اليمني من قبل الحسين بن سلامة، والتي يذكر عمارة اليمني بأنه قد زار العديد من هذه العيون وشرب منها عند مروره بهذا الطريق ومنها: في بلاد اليمن: بئر المخنق وطولها ثلاثون باعاً، وبئر السقيا وطولها أربعون باعاً، وفي بلاد بلاد عسير والحجاز: وبئر الرياضة، وبئر سبخة الغراب، وبئر الخبت وبئر يلملم، وهو ميقات أهل اليمن(٦٢)، كذلك بئر أدم، وبئر روية، وبئر البيضاء وبئر وادي رخم(٦٣)، وقد امتدتْ الإصلاحات حتى مكة المكرمة، ومنها محاولة الحسين بن سلامة مَدَّ ماء عين نعمان من جبل عرفات إلى مكة المكرمة، وصرف لذلك مالاً طائلاً، كما حُمل الماء إلى صحراء عرفات، وعُملتْ أحواض تملئ بالماء أيام الحج(٦٤)، وقد أوضح الأستاذ الزيلعي أن ماء عين نعمان التي أقامتها السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد كانت نتتهي عند نقطة معينة على جبل الرحمة، وأن الحسين بن سلامة عمل على إيصالها إلى جبل الرحمة ثم إلى صحراء عرفات(٦٥)، كما «...أنشأ مجرى للماء تحت الأرض وأنفق عليها أموالاً كثيرة، يُسقى منه ما على حافتيه من شجر في عرفات، وقد حبس هذا الماء هناك، حيث غُرست الحدائق، فلا يصل قرب مكة منه إلا القليل»(٦٦)، وبالجملة فقد حُفِرتْ الآبار العديدة في المفاوز المنقطعة، بحيث لا

ينقطع الماء عن المسافرين سواءً في المناطق المعمورة أو المقفرة.(٦٧)
الثاني: اللصوص وقطاع الطرق: حاول حكام اليمن والحجاز توفير الأمان من خلال تأديب قطاع الطرق والمجرمين وحماية وتأمين الحجيج، ولعل أخطر قطاع طرق الحجيج في ذلك الوقت قبيلة بني شعبة التي كانت تسرق أمتعتهم وتسلب أموالهم وتغير عليهم، حتى قال عنهم ابن المجاور: «... لم يكن في جميع العالم أضل من هؤلاء القوم ولا أجسر منهم في أخذ مال الحجاج»(٦٨)، وقد يلجأ بعض زعماء القبائل لتصدر حماية الحجيج في مناطقهم مقابل الدفع لهم، مثل أمير منطقة القرين ويسمى هاشم، جهز حِصْناً في أكمة في القرين وجعل له ثلاثة عشر برجا وفرسان لحماية الحجيج مقابل دفعهم عن كل جمل ديناراً(٦٩)، كما قد يُطَالب الحجاج بدفع الأموال بعد قطعهم مسافات طويلة، ولما يعجزون يعودون إلى بلادهم بدون حج، فلما طلب شريف جازان(٧٠) أموالا باهضة من حجيج اليمن، لم يتمكنوا ما اضطرهم للعودة إلى بلادهم.(٧١)، مما جعلهم يفضلون السفر للحج مع الأمراء المشهود لهم بتقديم المساعدات وحماية الطريق، ومن ذلك ما صنعوه من مرافقة الأميرة الحرة علم -حاكمة الدولة النجاحية بزبيد (ت٥٤٥هـ/ ١١٥٠م)- للحج، فقد كانت كثيرة الحج تحمي من حج معها من قطاع الطرق ومن المكوس.(٧٢)
الثالث: عدم وضع معالم على طريق الحج ترشد السائرين فيه: ومن الجهود التي بذلها حكام اليمن والحجاز في هذا الجانب وضع علامات ونقاط تحدد معالم الطريق واتجاهاته، وتساعد على تصحيح مسار قوافل الحج وتتبع مراحل الطريق(٧٣)، ومن ذلك وضع العلامة بعد كل ميل، ووضع الأعلام، والمنارات التي يوقد عليها النيران أثناء الليل لِتُصَحِّح القوافل مسارها ولا تضل الطريق.(٧٤)، ومن ذلك ما ذكره ناصر خسرو عند خروجه من مكة مغادراً بعد انتهاء موسم حج سنة (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) متجهاً إلى الطائف، بأنه وجد مرجاً -سهلاً- جميلاً بعد سبعة فراسخ من مكة وفيه بئر اسمها بئر الحسين بن سلامة وبجوارها قرى ومساكن.(٧٥)
العلاقات المتبادلة بين اليمن والحجاز عبر طريق الحج اليمني:

علاقة أشراف الحجاز بالقوى اليمنية: قَبْلَ توجه الإمام القاسم العياني(ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م) إلى اليمن أرسل عدداً من أنصاره(٧٦) من الحجاز لليمن، ليحثوا الناس على نصرته وَلْيُخْرجُوا إليه الأنصار حتى يكونوا حماية له في الطريق إلى اليمن، وقد خرجوا بالفعل حيث تحدد المصادر عددهم بثلاثمائة رجل(٧٧)، غير أن هذه المصادر لا تشير إلى نوع الخطر، وإن كان بلا

شك قطاع الطرق، فقد وصل هذه العدد من اليمن إلى الحجاز في المحرم من سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م[٧٨]،وذلك عدداً كبيراً مقارنة بعدد من كان يخرج للحج من بعض المناطق في اليمن في تلك الفترة، فقد ذكرتْ بعض المصادر أن عدد القافلة المتجهة للحج وصل عددها ٣٠٠ حاج.[٧٩]

علاقة القوى اليمينية الإسماعيلية مع أشراف الحجاز:

أرسل علي بن محمد الصليحي العديد من رسائل التهديد والوعيد[٨٠] لوالي مكة شكر بن أبي الفتوح الحسني الذي قطع الخطبة للفاطميين، ولما لم يجد ذلك نفعاً إلى مكة سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٣م، وبسط سيطرته عليها، وطرد شريفها[٨١]، وأعاد الخطبة للفاطميين، وولى عليها الشريف محمد بن جعفر[٨٢]، وأمدَّه بالكثير من الأموال والسلاح.[٨٣]

ولما خرج شريف مكة هاشم محمد بن جعفر عن طاعة الصليحيين والفاطميين معاً، قرر علي الصليحي التوجه لتأديبه، فخرج في موسم الحج عبر طريق الحج اليمني الساحلي، متجهاً من صنعاء في ذي القعدة سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م[٨٤]، حتى تهامة، وفى ظاهر المهجم فى ضيعة تعرف باسم الدهيم وبئر أم معبد[٨٥]، تم اغتياله بها من قبل أمراء بني نجاح.[٨٦]

مما سبق يتبين لنا عمق العلاقات اليمينية الحجازية طوال فترة البحث، وتداخلاتها، سواءً من رحل من أهل اليمن إلى الحجاز، أو العكس، والجميع كان يمر عبر طريق الحج اليمني سواء الأعلى أو الساحلي، مما وثق من العلاقات بين الطرفين أحياناً أو أججها في أحيان أخرى.

المحور الثاني:

العلاقات اليمنية الحجازية في الجانب التجاري ودور طريق الحج اليمني في ذلك.

موقع اليمن الجغرافي له أهمية في الجانب التجاري، فهي تقع في أقصى الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية، يحدها الحجاز من الشمال، والبحر الأحمر من الغرب، وتشرف على باب المندب[٨٧]، وقد شكلتْ اليمن همزة وصل بين جزيرة العرب وبقية بلدان العالم في آسيا وأفريقيا وأوروبا، غير أن بلاد الحجاز شكلتْ حجز الزاوية في العلاقات مع اليمن، التي نقل إليها اليمنيون كل السلع المستوردة لأسواقهم عبر القوافل التجارية[٨٨]، والتي عبرتْ من طرق الحج اليمني الأعلى أو الساحلي.

ارتبط اليمن بالحجاز تجارياً عبر عدد من الأسواق التجارية الموسمية المعروفة زماناً ومكاناً، وانقسمتْ إلى أسواق دائمة واسواق موسمية، فأما الدائمة فمنها ما سمي باسم مؤسسها مثل: سوق صفوان بن أمية في

مكـة(٨٩)، وسـوق هشـام في المدينـة(٩٠)، وسـوق ابـن عقيـل في اليمـن(٩١)، وأمـا الموسـمية فمنهـا مـا سـمي باسـم اليـوم الـذي تعقـد فيـه، مثـل سـوق الخميـس والجمعـة وغيرهـا مـن أيـام الأسـبوع التـي كانـت تعقـد في بـلاد اليمـن(٩٢)، حيـث كانـتْ الجزيـرة العربيـة تضـم سـت وعشريـن سـوقاً تجاريـة(٩٣).

بـرز العديـد مـن هـذه الأسـواق مثـل: سـوق الشـحر في المهـرة التـي قصدهـا التجـار مـن كل مـكان(٩٤)، وسـوق مدينـة عـدن التـي تحكمـتْ بطـرق مـرور القوافل التجاريـة البحريـة عـبر سـيطرتها عـلى المدخـل الجنوبـي للبحـر الأحمـر(٩٥)، فتوفرتْ في أسـواقها البضائـع والسـلع مـن كافـة الأقطـار والأمصـار(٩٦)، فميناء عـدن: «ترده المراكـب الواصلـة مـن الحجـاز... ولا يخلـو أسـبوع مـن عـدة سـفن وتجـار واردين عليهـا وبضائـع شـتى، ومتاجـر متنوعـة، والمقيـم بهـا في مكاسـب وافـرة وتجائـر مربحـة»(٩٧)، فالتجـار يتدافعـون عـلى مينائهـا وبشـدون لهـا الرحـال، وأهلهـا مـا بـين تجـار وحمالـين وصيادين للسـمك، وللتجـار منهـم أمـوال عظيمـة(٩٨).

ومـن هـذه الأسـواق سـوق مدينـة صنعـاء التـي احتلـتْ موقعـاً اسـتراتيجياً هامـاً سـواء عـلى طريـق القوافـل التجاريـة داخـل اليمـن أو خارجـه، أو عـلى طريـق الحـج لبيـت اللـه الحـرام(٩٩)، عبرطريـق الحـج اليمنـي العليـا، وقـد وُصِفَـتْ بـأن «...بهـا أسـواق جليلـة ومتاجـر كثـيرة»(١٠٠)، وسـوق مدينـة زبيـد، التـي احتلـتْ مكانيـة كبـيرة في التجـارة، حتـى عدهـا البـض ثانـي أهـم مدينـة بعـد صنعـاء «وليـس باليمـن بعـد صنعـاء أكـبر مـن زبيـد ولا أغنـى أهـلاً ولا أكثـر خـيراً...»(١٠١)، وقـد ورد إليهـا التجـار مـن الحجـاز والحبشـة ومـصر(١٠٢)، وسـوق الجنـد(١٠٣)، التـي اشـتهرتْ بخصوبـة الأرض ووفـرتْ الإنتـاج الزراعـي(١٠٤)، وسـوق صعـدة التـي كانـت «مجتمـع التجـار والأمـوال»(١٠٥)، وبهـا صناعـة الأدم الـذي بـه فاقـتْ غيرهـا مـن المـدن اليمنيـة الأخـرى(١٠٦)

كانـتْ الأسـواق التجاريـة تمتـد عـلى طـول طريـق الحـج اليمنـي حتـى الحجاز،ومـن هـذه الأسـواق: سـوق مدينـة الطائـف(١٠٧)، التـي تعـد من أهـم مصادر تمويـل الغـذاء لأسـواق أهـل مكـة(١٠٨)، وسـوق جـدة(١٠٩)، الـذي كان محطة للسـفن التجاريـة القادمـة مـن اليمـن والبحريـن ومـصر والحبشـة والهنـد والصـين.(١١٠)

وسـوق المدينـة المنـورة التـي تعـد مـن أهـم مـدن الحجـاز(١١١)، وتقـع في الشـمال الغربـي مـن الجزيـرة العربيـة، إلى الشـمال من مكـة المكرمـة(١١٢)، اشـتهرتْ بانتـاج التمـور، حيـث تعـد مـن أعظـم مـدن الجزيـرة العربيـة إنتاجـا فيـه، مـا جعـل أسـواقها مزدهـرة(١١٣)، كمـا كانـت محطـة رئيسـية للحجـاج والمعتمريـن، أو المجاوريـن وطـلاب العلـم.

أمـا سـوق مكـة المكرمـة التـي تعتـبر مـن أهـم مـدن الحجـاز، لامتلاكهـا موقعـاً جغرافيـاً متميـزاً، أحاطهـا بالجبـال مـن كل الاتجاهـات، مـا عـدى ثلاثـة منافـذ يصـل أحدهـا باليمـن(١١٤)، والثانـي يربطهـا بسـاحل جـدة(١١٥)، والثالـث

يربطها ببلاد الشام(١١٦)،ولا شك أن المنفذ الأول يمر منه طريق الحج اليمني عبر ميقات أهل اليمن (يلملم)(١١٧)، وقد كان لموسم الحج دور فاعل في ازدهار التجارة في مكة وأسواقها، باعتباره معرضاً كبيراً للسلع المختلفة سواءً التي يجلبها الحجيج أو يشترونها، ما نتج عنه ازدهار أسواق مكة المتعددة(١١٨)، وقد شجع الخلفاء أو من يقوم مقامهم التجار في موسم الحج، فكانوا يشترون منهم العديد من السلع التجارية وبكميات كبيرة، ثم يقومون بتوزيعها على الناس كهدايا خاصة وهبات في مواسم الحج(١١٩)، كما أقاموا في هذه الطرق التجارية علامات لتسهيل مرور الحيوانات التي تحمل السلع(١٢٠)، وحموها من اللصوص وقطاع الطرق(١٢١)، ومن هذه الطرق التجارية الطريق الذي يربط الحجاز باليمن، فقد كانت القوافل لا تنقطع عن هذه الطُرُق، وخاصة طريق الحج اليمني العليا (الجبلية)، التي تتصل شمالاً ببلاد الشام، وكانت تسمى بطريق البخور.(١٢٢)

نشطتْ التجارة بين اليمن والحجاز بفعل اهتمام الولاة بإقامة مراكز على طول الطريق بين الإقليمين، فقد حرصوا على توفير القوت والماء ومحطات البريد بين مكة والمدينة واليمن مزودة بالبغال والإبل(١٢٣)، وهذه الأسواق لم تكن تعني بالحركة التجارية فقط، بل شملتْ كل ما يهم القبائل العربية، من إعلان الحرب أو إيقافها، أو إشهار قصيدة شعرية، أو تَحَاكُم، أو فَضّ خصومات، أو خلع أحد أبناء القبيلة، أو إعلان إجارة أحد.(١٢٤)

اخترقتْ طُرُق القوافل التجارية اليمن شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً(١٢٥)، حتى تصل إلى الحجاز حاملة معها العديد من السلع التجارية، ومن السلع التي يجلبونها معهم الزبيب الأسود والأحمر، والعسل، واللوز والحنطة، وقصب السكر، والسمن، والذرة والدخن(١٢٦)، كما استورد التجار الحجازيون من بلاد اليمن البرود والدروع السلوقية، والسيوف التي اشتهرتْ اليمن بصناعتها(١٢٧)، والتمر والدخن والذرة والسمن والعسل واللوز والزيت الذي يصدر إلى مكة المكرمة(١٢٨)، إضافة للجلود(١٢٩)، والبخور والثياب وأنواع الحرير والأقمشة السباعية.

اعتمد المسافرون في طريق الحج اليمني على نوع من الخبز يعرف بالمَلَّةُ والكشك، وهو عبارة عن خبز يابس يستمر لفترة طويلة، وكان يستفيد منه المسافرون، خاصة الحجاج، فيتناولوا في نصف الطريق الأول خبزا طرياً، وفي النصف الثاني يأكلون الخبز اليابس الذي يُدق ويُدهن بالسمن ثم يُأكل(١٣٠).

المحور الثالث: العلاقات اليمنية الحجازية في الجانب العلمي (رحلات طلب العلم الفردية أو الجماعية) ودور طريق الحج اليمني في ذلك.

ظهرتْ الروابط العلمية بين اليمن والحجاز بشكل فاعل من خلال الرحلات بين الإقليمين، والتي ساهمتْ في بلورتْ الثقافة وتدعيم النشاط العلمي

بينهما، فقد احتلتْ مكة والمدينة مكانة مرموقة لدى اليمنيين، سواء حكام أو محكومين، مما دفعهم لإقامة علاقات دائمة معهما، والالتقاء بعلمائهما، والتتلمذ عليهم، حيث زادتْ المدارس العلمية في مكة عن احدى عشرة مدرسة(١٣١)، اهتمتْ بتدريس المذاهب وأصول الدين(١٣٢).

برز في علم الحديث العديد من اليمنيين مثل: القاسم بن فياض الصنعاني الذي كان يحدث عن الحجازيين(١٣٣)، وفي علم القراءات رحل العديد من طلاب العلم من أهل اليمن إلى مكة ودرس على علمائها مثل: السلام بن يزيد الذي درس القرآن على القاسم بن عبد الواحد المكي وعلي بن أبي موسى(١٣٤)، حتى وصف بأنه قارئ صنعاء في زمانه(١٣٥)، وممن برز في القراءة بكر بن عبد الله بن الشرود الذي تتلمذ في مكة على عيسى بن وردان الحذّاء(١٣٦)، أما في المدينة المنورة فقد تتلمذ أبو قرّة موسى بن طارق اللحجي على مقرئي المدينة وأخذ عنهم(١٣٧)، وكان له «تواليف في الفقه انتزعها من فقه مالك وسفيان الثوري وابن عيينة وأبي حنيفة».(١٣٨)

أما في علم الفقه: فقد تتلمذ العديد من طلاب اليمن على علماء الحجاز، وكتبوا وروو عن ابن جريج وسفيان بن عيينة والشافعي(١٣٩)، ولعل أبرزهم أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي، والذي وصف بأنه «إماماً لمعرفة السنن والآثار»، روى عن علماء الحجاز ومنهم مالك بن أنس وابن جريج(١٤٠)، يقول ابن سمرة: «...وأكثر ما يتفقه به أهل اليمن في صدر الإسلام وما بعده إلى وقت ظهور تصانيف الشافعية(١٤١) بفقهاء مكة والمدينة...»(١٤٢)، ويُبيّن حال اليمن المذهبية عند دخول الزيدية إليه على يد يحي بن الحسين الرسي: بأن الناس انقسموا إلى صنفين، الأول فُتِن وتشيع، والثاني تمسك بالشريعة وكانوا إما أحناف أو مالكية.(١٤٣)

وصل إلى اليمن العديد من علماء المالكية وتنقلوا في كثير من مدنها، وعملوا على نشر المذهب المالكي فيها، فقد كان البعض منهم يتردد بين الجند ولحج وعدن وزبيد.. وفي كل واحدة من هذه البلاد له رواية وأصحاب(١٤٤)، كما دخل إلى اليمن المذهب الشافعي في المائة الثالثة للهجرة(١٤٥)، ومع أن الإمام الشافعي قد دخل إلى اليمن سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م وخرج منها ١٤٨هـ/ ٨٠٠م(١٤٦)، إلا أن مذهبه لم ينتشر في اليمن إلا على يد فقهاء الشافعية في القرن الثالث الهجري ومنهم: موسى بن عمران المعافري، وتلميذه عبد العزيز بن يحي(١٤٧)، ومع ذلك فقد كان انتشار الشافعية في اليمن في هذه الفترة ضعيفاً مقارنة بالمالكية أو الحنفية، وفي ذلك يقول ابن سمرة: «وكانت الشفعوية وكتبها وشيوخها قبل القاسم بن محمد القرشي وأصحابه غير مشهورة في اليمن»(١٤٨)، والذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.(١٤٩)

عندما وصل صعدة القاسم بن علي العياني قادماً من بلاد الحجاز(١٥٠)،

سنة ٣٨٨هـ/٩٩٧م[١٥١]، أسهم في نشر العلوم المختلفة، حيث كان»راعياً حرمة أهل العلم»[١٥٢]، داعياً للاجتهاد، مما أدى إلى التحاق العديد من علماء الزيدية به ومساندتهم له أمثال: أبي العباس رزين بن أحمد[١٥٣]، والقاسم بن الحسين الزيدي[١٥٤]، والحسين بن أحمد بن يعقوب[١٥٥] ،وغيرهم، ولما استكمل نفوذه على بلاد صعدة وما جاورها[١٥٦]، راسل العلويين في الحجاز يطلب هجرتهم إليه ومساعدته في حكم المناطق اليمنية التي يسيطر عليها[١٥٧]، فاستجاب له العديد منهم.[١٥٨]

ظهر العديد من القضاة الحجازيين في اليمن، ومارسوا القضاء في فترة الدولة الزيدية، ومنهم: القاضي أبو عبد الله اليوسي، عاصر الإمام يوسف الداعي(ت٤٠٣هـ/١٠١٢م) وولِّي القضاء في صنعاء[١٥٩]، والقاضي الحسين بن أحمد بن يعقوب الذي تولى القضاء للإمام القاسم العياني وكتب سيرته[١٦٠] ،والقاضي رُدَيْن بن أحمد العلوي الذي تولى القضاء للإمام القاسم العياني في الحجاز[١٦١]، والقاضي إسحاق بن عبد الباعث الذي عاصر الإمام أحمد بن سليمان(ت٥٦٦هـ)، وكان من أنصاره وكان له تصانيف كثيرة[١٦٢]،وممن دَرَسَ بسناع من شيوخ الزيدية أحمد الحجازي، وكان من العلماء العباد[١٦٣].

كما قدم إلى مكة الفقيه عيسى بن محمد الكرندي -كان حياً سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م- في عهد أمير مكة هاشم بن فليته ، وعندما وجد أن خدم هذا الأمير وأعوانه قد كلفوا الحجاج فوق طاقتهم، وغالوا عليهم بدفع المكوس – الضريبة- دخل الفقيه على الأمير وقال له: «ما أنت عليه وخدمك من الظلم يدل على أنك لست من آل رسول الله –صلى الله عليه وسلم- لأنك لم ترث منه شيئاً من عدله ورحمته»[١٦٤] ،وما زال يعضهُ حتى بكى, وأمر برفع ما فرض على الحجيج.

كما رحل العديد من العلماء الحجازيين إلى اليمن ونهلوا من علمائها، وتتلمذوا على أيديهم، حيث تحول اليمن إلى مركز علمي، وبرز العديد من علمائه[١٦٥].

التأثيرات الفكرية بين اليمن والحجاز عبر حركة التنقل عبر طريق الحج اليمني:

استخدام طريق الحج اليمني وسيلة لنشر الأفكار العقدية: استخدم طريق الحج اليمني وسيلة لتحقيق أغراض الفرق الشيعية، فعندما رجع علي ابن الفضل(ت٣٠٣هـ) من العراق إلى اليمن مع زميله الإسماعيلي ابن حوشب، كانا متخفيين مع قوافل الحج اليمني الساحلي لإبعاد أي شكوك حولهما، حتى وصلا زبيد أول سنة٢٦٨هـ.[١٦٦]، وعملا على نشر مذهب الإسماعيلية وفكرها في اليمن.

كما تولى علي بن محمد الصليحي(ت٤٥٩هـ) قيادة قافلة الحج اليمني

الأعلى لما يقارب خمسة عشرة سنة، مستتراً غير مظهراً لمذهبه الإسماعيلي، متخذاً للورع والتقوى وسيلة للوصول إلى قلوب العامة، حتى شاع ذكره وعظمتْ شهرته(١٦٧)، فاستغل موسم الحج للاجتماع بأنصاره من الإسماعيلية ليتدارسوا إمكانية الجهر بدعوتهم الإسماعيلية في اليمن.(١٦٨)

تبادل الزيارات وطلب النصرة بين حكام الإقليمين: وصل وفداً من الحجاز لمقابلة الإمام القاسم العياني، الذي التقاهم في صعدة يوم الثلاثاء خمس خلون من شهر صفر سنة ثلاثمائة وتسعين(١٦٩)، فطلبوا منه الخروج معهم إلى تهامة الشام للسيطرة عليها، ولكنه لم يستطع تلبية طلبهم، لكثرتْ الخارجين عليه.(١٧٠).

كما وصل وفداً آخر لليمن قادماً من المدينة المنورة بقيادة أحد ولاتها من الحسنيين من بني مسلم يدعى الحسين بن أبي الحسن ابن مسلم، يطلب النصرة والعون من الإمام القاسم العياني على ابن عمه المهنَّا بن أبي هاشم الذي حاز البلد دونه(١٧١)، غير أن الإمام لم يستطع إعانته، أو يقدم له شيئاً سوى أن « بَرَّهُ .. وأنزلهُ خير منزل»(١٧٢).

بالمقابل نجد بعض القوى اليمنية تطلب النصرة من العلويين في الحجاز، عند ضعفها في مواجهة قوى أخرى في اليمن، فبعد حصار علي الصليحي للشريف الفاضل في حصن الهَرَّابَة سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، وتضييق الخناق عليه أرسل إلى شريف مكة شُكر بن أبي الفتوح الحسني يطلب منه النجدة والعون ضد علي الصليحي، إلا أنه لم يتلقَ أي نجدة سواءً من مال أم رجال(١٧٣)، ولعل إحجام أشراف مكة عن مساعدة زيدية اليمن في هذه الفترة يرجع لقوة علي الصليحي واتساع نفوذه، حيث أشار البعض لسيطرته على كافة اليمن.(١٧٤)

لم يكتفى أشراف مكة بذلك بل مدوا تعاونهم مع بعض القوى اليمنية على حساب القوى الأخرى، فها هو الشريف الفاضل يصل مكة حاجاً سنة ٤٤٥هـ/١٠٦٤م فَيُجبر على الخروج منها، لأن أشرافها يومئذ موالون لعلي الصليحي(١٧٥)، مما اضطره للتوجه إلى ترج ومنها هم بالخروج إلى اليمامة بعدما وصلته الأخبار بقدوم علي الصليحي إلى مكة(١٧٦)، وما كان ليخرج من ترج إلا لأن الأخبار قد وصلته بقدوم علي الصليحي عبر طريق الحج اليمني الأعلى، والتي تعد ترج أحد محطاتها، وإن كانت المصادر لم تبين ذلك، ورغم هذا فإن استقرار الشريف الفاضل في ترج فترة من الزمن يؤكد وجود العديد من العلاقات الاجتماعية بين اليمن والحجاز، ومع ذلك لم يثبت انتشار الفكر الزيدي في مجتمع ترج وخثعم، وإن ثبت حسن الاستقبال والوفادة للأشراف النازلين فلأنهم من سلالة العلويين فقط، حيث ظل الشريف الفاضل في ترج فترة من الزمن متفرغاً للعبادة وطلب العلم(١٧٧)، واعتزل الناس.

لم يلبثُ أن خرج الشريف الفاضل من ترج مكرهاً، ولم تبين سيرته أسباب ذلك، وإن أشارتْ لعزمه الخروج إلى العراق[١٧٨]، فقد واعد أحد أصحاب القوافل العراقية، إلا أنه تركه ورحل[١٧٩]،فقرر التوجه إلى مكة، التي ظل خائفاً بها لهيمنة الأشراف الموالين لعلي الصليحي عليها، وعندما أراد مقابلة شريف مكة محمد بن جعفر بن أبي هاشم رفض مقابلته[١٨٠]، فتوجه إلى المدينة المنورة، في وقت كان أميرها في مصر، فقابل نائبه الأمير الحسين بن المهنا الحسيني، الذي لم يُحسن ضيافته[١٨١]، فانتظر قدوم أمير المدينة، وعند وصوله قام بقطع ما أقره لهم نائبه[١٨٢].

لم يَجِد الشريف الفاضل في المدينة ما يشجعه على البقاء بها، فقد كان يخاف من تربص أعين الصليحيين به[١٨٣]، فقَرَّرَ التوجه إلى اليمن[١٨٤]، إلا أنه لم يجد زاداً ولا راحلة تُعينُهُ على سفره، فعاد إلى أمير المدينة الذي لم يُعينُهُ إلى طلبه[١٨٥]، فاستعان على ذلك بالعديد من الأشراف العلويين في المدينة[١٨٦]، ثم توجه في طريقه إلى اليمن متجنباً طريق مكة التي وصلها وزير علي الصليحي مقدمةً لوصوله إليها[١٨٧] ،في خروجه سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م.

ظل الشريف الفاضل ينتظر لعل الأحداث تتغير، والظروف تتبدل[١٨٨]، ولم يبدأ موسم حج ٤٥٩هـ/١٠٦٦م، حتى تم اغتيال علي الصليحي أثناء توجهه إلى مكة، وصلت هذه الأخبار إلى الحجاز حيث سمع بها الشريف الفاضل أثناء عودته من الحجاز في طريقه إلى اليمن[١٨٩]، حيث وصله: «كتاباً يُعَرِّفُه بقتل الصليحي وقيام الشريف حمزة بن الحسن[١٩٠]...فعزم الخروج على المكرم، لكن لم تمض أيام قليلة حتى وصل إليه الخبر بمقتل الشريف حمزة، فاغتم لذلك غماً شديداً وتوجع، وانكسر شأوه عن تلك النية، وعزم على إغفال القيام بالكلية لما يعرفه من ضعف همم كثير من الناس».[١٩١]

نتائج البحث: توصل البحث للعديد من النتائج منها:

- ساعد طريق الحج اليمني على إقامة العلاقات الدينية بين اليمن والحجاز في القرنين الرابع والخامس الهجري، عبر محطات الحجاج المنتظمة في فترة الحج لدى الجانب اليمني أو الحجازي.
- ساهم طريق الحج اليمني في إقامة العديد من العلاقات التجارية في القرنين الرابع والخامس الهجري بين اليمن والحجاز، عبر الأسواق المنتظمة التي أُقيمتْ في فترة مواسم الحج، والتي عبرتْ خلالها قوافل الحج اليمني، وساهمتْ في إنعاشها، وتبادل السلع التجارية لدى الطرفين.
- عَبَرَ طريق الحج اليمني العديد من طلاب العلم عبر الرحلة العلمية الفردية أو الجماعية من اليمن إلى الحجاز ومكة المكرمة بقصد الحج والجوار وطلب العلم.
- ظهرت العديد من التأثيرات الفكرية بين اليمن والحجاز عبر حركة التنقل عبر طريق الحج اليمني: إما باستخدام طريق الحج اليمني وسيلة لنشر

الأفكار العقدية،أو تبادل الزيارات وطلب النصرة بين حكام الإقليمين، أو الهجرة لأحد الإقليمين والاستقرار فيه نتيجة نتيجة للصراع السياسي أو الديني.

توصيات البحث:

١.أن يَطَّلع المثقفون والأكاديميون على هذه الدراسة، للوقوف على أهمية العلاقات اليمنية الحجازية «طريق الحج اليمني»، في القرن ٤-٥هـ/ ١٠-١١م.

٢. أن تُعقد ندوات فكرية عامة وتخصصية لتوضيح أهمية العلاقات اليمنية الحجازية «طريق الحج اليمني» في القرن ٤-٥هـ/ ١٠-١١م.

٣. التوثيق لحلقات علمية مدروسة تتناول متانة العلاقات اليمنية الحجازية عبر «طريق الحج اليمني» في القرن ٤-٥هـ/ ١٠-١١م، في جوانبها الدينية والتجارية والعلمية.

حواشي سفلية

١ – انظر: تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى ،عبد الرحمن الشجاع: ص٤٢.
٢ – انظر: طريق الحج اليمني في أرجوزة الرداعي، ، علي إبراهيم الحربي، صفحات٢٣٤-٢٢٧.
٣ – حكمتْ من سنة ٢٠٣هـ حتى ورثتها دولة نبي نجاح سنة ٤١٢هـ، انظر: تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ابن عبد المجيد اليماني، ص٣٠.
٤ – حكمتْ من سنة ٤١٢هـ حتى سنة ٥٥٣هـ انظر: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، عمارة أبي الحسن الحكمي اليمني، ص٨٣-٨٥، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن، ابن عبد المجيد:، ص٢٩-٣٠.
٥ – صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، ص٨٥.
٦ – كتاب البلدان ،أبي عبد الله أحمد بن إسحاق ابن الفقيه، ص٨٤.
٧ – انظر: The Political History of The Islamic Yemen Down to the First Turkish In-yaion (1-945/622-1538), G.Rex Smith, P.130.
٨ – عن ذلك انظر: تاريخ اليمن، الشجاع، ص١٢٧.
٩- عن ذلك انظر: تاريخ اليمن، الشجاع، ص١٢٧.
١٠ – الاتجاهات المذهبية في اليمن، محمد عيسى الحريري، ص٤٢.
١١ – بهجة الزمن، ابن عبد المجيد: ،ص٣٠، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحي بن الحسين،جـ١،ص١٥٠.
١٢ – انظر: قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، عبدالرحمن بن علي ابن الديبع، جـ١،ص١٧٥، هامش٣.
١٣- عن مهام أمير الحج انظر: (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلشندي،، جـ١، ص٢٥٢).
١٤ – تبدأ من اليوم السابع إلى الثالث عشر من ذي الحجة. (الأحكام السلطانية والولايات الدينية،، علي بن محمد الماوردي، ص١٧٤).
١٥ – عن شروط أمير الحج انظر: (الأحكام السلطانية، الماوردي، ص١٦١، ١٧٤).
١٦- الأحكام السلطانية، الماوردي، ص١٧١.
١٧ – الأحكام السلطانية، الماوردي، ص١٧٤.
١٨- الأحكام السلطانية، المارودي، ص١٧١.
١٩ – منها: أن يسلك بهم أوضح الطريق وأوسعها، ويريحهم في أوقات الحر المفرطة، ويوفر لهم الماء في المنازل، ويحرسهم إذا نزلوا ، ويمنع عنهم من يقاتلهم من العربان. (الأحكام السلطانية، الماوردي، ص١٧١-١٧٢).
٢٠ – – انظر: سفرنامه، ناصر خسرو، ص١٠٩.
٢١ – من ذلك عندما نودى في مصر بعدم إمكانية حج سنة ٤٠٤ هـ ١٠٤٨م لما أصاب الحجاز من القحط. انظر: سفرنامه، ناصر خسرو، ص١٢٨.
٢٢ – قافلة الحج اليمني خلال العهد العثماني، محمد علي عامر، ص٣٦٣.
٢٣- قافلة الحج،عامر، ص٣٦٣.
٢٤ – قافلة الحج، عامر، ص٣٥٨.
٢٥ – قافلة الحج، عامر، ص٣٥٨.
٢٦ – قافلة الحج، عامر، ص٣٦٠ ، ٣٦٢ بتصرف.
٢٧- تاريخ اليمن، عمارة اليمني، ،ص ٧٢، ٧٤.
٢٨- – بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، الحسين بن أحمد، العرشي،

ص١٣٧-١٤٢. تبعد صنعاء عن مكة حالي ٤٢٠ ميلًا. انظر: صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص٣٣٨.
٢٩ - أثافت: بلدة في بلاد حاشد، شرقي مدينة خمر، وهي خربة الان. (معجم البلدان والقبائل اليمنية، إبراهيم المقحفي، جـ١، ص٢٤).
٣٠ - - خيوان: بلدة مشهورة شمال شرق حوث، تبعد عن مدينة صنعاء ١٣٤كم. انظر: (معجم البلدان، المقحفي، جـ١، ص٥٩٣).
٣١ - المهجرة: قرية عامرة من أعمال صعدة، كثيرة العيون. انظر: (معجم البلدان، المقحفي، جـ٢، ص١٦٧١).
٣٢ - صعدة: صَعْدَة: بالفتح ثم السكون، مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً(غاية الأماني، يحي بن الحسين، جـ١،ص١٤٩،هامش١).
٣٣ - سروم الفيض: (سروم راح) قرية كبيرة شمال مدينة صعدة، بها وادي باسمها يقع بين مجز وباقم. انظر: صفة جزيرة العرب، الهمداني، ، ص٣٣٩، معجم البلدان، المقحفي، ١/ ٧٨٧.
٣٤ - وادي كبير أحد روافد هرجاب، فيه قرية بهذا الاسم، انظر: المسالك والممالك، ، عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة، ص١١٨، يبعد عن صنعاء ١٨ ميلا. انظر: صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص٣٣٩.
٣٥ - يبمبم: اسم موضع قريب من تبالة عند بيشة، وهو أحد روافد وادي تثليث. انظر: معجم البلدان، الحموي، ٥/ ٤٢٧-٤٢٨.
٣٦- بنات حرب: جبال حمر، تقع شرق بيشة, وفيها وادي مليئ بالنخيل. انظر: معجم البلدان، الهمداني، ص٣٧٩.
٣٧- جُسداء: (الجُداء) منهل ماء يقع بالقرب من بيشة بُعطان، لا توجد فيها منازل وسكن. انظر: صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص٣٧٩.
٣٨- مدينة عامرة تقع بين اليمن ومكة، كثيرة النخل والزرع، تبعد عن أبها حوالي ٢٦٠كم في منطقة عسير. صفة، الهمداني،ص٣٣٩-٣٤٠، معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله لحموي، جـ١، ص٥٢٩.
٣٩ - تبالة: واد كبير تكثر به المياه والنخيل، يقع جنوب شرق الطائف على بعد ٢٠٠كم، ويعد أحد روافد وادي بيشة. انظر: (معجم البلدان، الحموي، جـ٢،ص٩).
٤٠- كرى: واد عميق تكثر فيه شجر النخيل، وبه عيون تصب في الجهة الشرقية من وادي تربة. انظر: صفة، الهمداني، ص٣٨٣).
٤١- تربة: واد من أودية الحجاز الشرقية الطويلة، به بلدة عامرة تقع شرق الطائف على مسافة ٢٠٠كم، تعرف بتربة البقوم. انظر: معجم البلدان،٢/ ٢١).
٤٢- صفن: منهل تأتيه الأمطار ناحية الطائف، وبه قرية تعرف اليوم بالصفينة. انظر: (المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ،إبراهيم بن إسحاق الحربي، ص٣٧٠.
٤٣- الفتُق: من قرى الطائف القديمة، وهي الان خربة، (معجم معالم الحجاز، ، عاتق بن غيث البلادي، ج٤، ص٣٩.
٤٤- قرن المنازل: من مواقيت الحج، ميقات أهل نجد، ويعرف باسم السيل الكبير، يبعد عن مكة ٨٠كم، يمر على الطائف. انظر: (معجم البلدان، الحموي،جـ٤، ص٣٣٢، صفة، الهمداني،ص٣٤٠-٣٤١).
٤٥- غلافقة: قرية تهامية تقع على ساحل البحر الأحمر، وهي مرسى زبيد، وتقع في شمالها الغربي. انظر: (معجم البلدان، المقحفي، جـ٢،ص١١٨٢، تاريخ اليمن، عمارة، ص٧٦).
٤٦ - تاريخ اليمن، عمارة، ص٧٨.
٤٧ - حلى: مدينة باليمن على ساحل البحر، بينها وبين السرين يوم واحد، وبينها وبين مكة ثمانية أيام، تقع شمال مدينة الشحر. انظر: (معجم البلدان، الحموي، جـ٢، ص٢٩٧، تاريخ اليمن، عمارة، ص٧٨،

معجم البلدان، المقحفي، جـ١، ص٤٩٤).
٤٨- السرين: ميناء ومدينة على ساحل البحر الأحمر الشرقي، تقع اليوم جنوب بلدة الليث بنحو ٤٣كم. انظر: (المسالك والممالك، عبد الله بن عبد العزيز البكري، جـ١، ص٢٩٢).
٤٩ - ملكان: وادي من أكبر أودية مكة المكرمة، يمر بجوار عرفة من جهة الجنوب. وهو من أهم المحطات التي يستريح بها المسافرون للتزود بالماء. انظر: (معجم البلدان، الحموي، جـ٥، ص١٩٤).
٥٠- تاريخ اليمن، عمارة، ص٧٨.
٥١ - للمزيد عن الطريق الساحلية: انظر: تاريخ اليمن، عمارة، ص٧٦-٧٨.
٥٢- وصف بأنه «... حازماً عارفاً شريف النفس عالي الهمة..» انظر: (تاريخ ثغر عدن، أبو محمد عبد الله الطيب، أبو مخرمة، جـ٢، ص٥٩).
٥٣- تاريخ اليمن، عمارة، ص٧٠.
٥٤- تاريخ اليمن، عمارة، ص٧١.
٥٥- تاريخ اليمن، عمارة، ص٧١.
٥٦- تاريخ اليمن، عمارة، ص٧٢.
٥٧ - مكتوب على أحجاره: «... هذا ما أمر به عمر بن عبد العزيز بن مروان». انظر: (تاريخ اليمن، عمارة، ص٧٤).
٥٨- تاريخ اليمن، عمارة، ص٧٤، مساجد صنعاء الحجري، محمد بن أحمد: ، بيروت، مطبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ، ص٤.
٥٩ - سفرنامه، ناصر خسرو، ص١٣٦، تاريخ اليمن، عمارة، ص٨١، واثنان فرسخ تساوي عشرة كيلو متر تقريباً.
٦٠- مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١-٤٨٧هـ، أحمد عمر الزيلعي، ص١٢٣.
٦١- - تاريخ اليمن، عمارة، ص٧٦.
٦٢ - يلملم: واد مشهور يبعد عن مكة بنحو ١٠٠ كم، وهو ميقات أهل اليمن، ومن أتى على الطريق التهامي، وكان يسمى بالسعدية، انظر: (صبح الأعشى، القلشندي، جـ٥،ص١٤، تاريخ اليمن، عمارة، ص٧٦-٨٠، معجم معالم الحجاز، البلادي، جـ١٠، ص٢٩-٣٠).
٦٣- عمارة: تاريخ اليمن، ص٨٠.
٦٤ - سفرنامه، ناصر خسرو، ص١٣٦.
٦٥- مكة وعلاقاتها الخارجية، الزيلعي،ص١٣٢.
٦٦ - سفرنامه، ناصر خسرو، ص١٢٣-١٢٤.
٦٧ - تاريخ اليمن، عمارة، ص٧١.
٦٨ - صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، ، جمال الدين يوسف ابن المجاور، جـ١،ص٥٢.
٦٩- صفة بلاد اليمن،ابن المجاور، جـ١،ص٤١.
٧٠ - جازان: مدينة مشهورة من المحطات الحضارية على طريق حجاج أهل اليمن، تبعد بنحو ٧ كم عن مدينة أبي عريش حالياً. انظر: (معجم البلدان، الحموي، جـ٢، ص٩٤).
٧١- قرة العيون، ابن الديبع، جـ٢، ص٨٤.
٧٢- تاريخ اليمن، عمارة، ص٢١٠.
٧٣- تاريخ اليمن، عمارة، ص٧١ بتصرف.
٧٤- الإجراءات الأمنية للخلافة العباسية لتأمين طريق العاصمة مكة المكرمة ١٣٢-٣٣٤هـ، نزار حبيب

الخاقاني،ص٩٩.
٧٥ – سفرنامة، ١٣٧.
٧٦ – منهم من ذُكر في سيرة القاسم العياني أمثال: عمار بن أحمد الجعدي، وأحمد بن خالد بن صبيح.(سيرة الإمام القاسم العياني، الحسن بن يعقوب، ص١٩، ٢٠، ٢١).
٧٧ – انظر: سيرة الإمام القاسم، الحسن بن يعقوب، ص١٩، ٢٠، ٢١.
٧٨ – سيرة الإمام القاسم، الحسن بن يعقوب،ص٢١، ٢٤.
٧٩ – قافلة الحج اليمني، عامر، ص٣٦٠.
٨٠– المخلاف السليماني، محمد بن أحمد العقيلي، ص١٥٤.
٨١ – شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تقي الدين محمد الفاسي، جـ٢،ص ٣٣٥، المخلاف السليماني، العقيلي، ص١٥٤.
٨٢ – هو أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. انظر: (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، الفاسي، ص١٧١).
٨٣ – المخلاف السليماني، العقيلي، ص١٤٥.
٨٤ – قـرة العيـون، ابـن الديبـع، ص٢٥٠. انظـر أيضـاً: Women In Muslim History, Charis Waddy.P.94.
٨٥ – المهجم: بفتح وسكون، أحد المدن التهامية، بينها وبين زبيد ثلاثة أيام، وهى مقابلة لساحل اللحية، وهى اليوم مقفرة فى وادى سردد، غرب مدينة الزيدية. (دراسات وبحوث في تاريخ اليمن الإسلامي، محمد عيسى الحريرى، ص١٨٤، هامش٣، أم الدهيم: موضع قرب المهجم (غاية الأماني، يحيى بن الحسين: ، ج١، ص ٢٥٦، هامش٣).
٨٦ – الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، عبد الرحمن ابن الديبع، ص٥٧.
٨٧ – اليمن والبحر الأحمر، حسين علي لحبيشي، ص٣٠-٣١.
٨٨ – ملامح من النظم الإدارية والسياسية في اليمن قديمه وحديثه، عبد الرحمن سيف إسماعيل، ص٥٣-٥٧.
٨٩ – أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، محمد بن اسحاق الفاكهي، جـ٣،ص٣٤٢.
٩٠– نسبة إلى مؤسسها الخليفة هشام بن عبد الملك. انظر: أخبار المدينة، محمد بن الحسن زبالة، ص٢٤٢.
٩١– تاريخ صنعاء اسحاق بن يحي الصنعاني، ص١٩٣.
٩٢ – تاريخ صنعاء، الصنعاني، ص١٢٣.
٩٣ – تاريخ اليمن في الإسلام، الشجاع، ص٤١-٤٢.
٩٤ – آثار البلاد وأخبار العباد، محمد بن محمود القزويني، ص٤٧.
٩٥ – معجم البلدان، المقحفي، جـ٢، ص١٠٢٦.
٩٦ – آثار البلاد، القزويني، ص١٠١.
٩٧ – صبح الأعشى، القلقشندي،جـ٥،ص٩.
٩٨ – رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ، أبو عبد الله محمد ابن بطوطة، ص٢٥٨.
٩٩ – المناسك، الحربي، ص٣٩٣-٣٩٥.
١٠٠ – الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، ا، الحسن بن أحمد لمهلَّبي، ص٢٦.
١٠١ – المسالك والممالك، البكري، جـ١، ص٢٨٠.

١٠٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن محمد الإدريسي، جـ١، ص٥٢-٥٣.
١٠٣- تاريخ اليمن، الشجاع، ص٤١-٤٢.
١٠٤- المسالك، البكري، ، جـ١، ص٢٨٠.
١٠٥ - المسالك والممالك، الاصطخري، ص٢٦.
١٠٦ - المسالك والممالك، الاصطخري، ص٢٦.
١٠٧ - تقع في سفوح جبال السراة، بارتفاع ١٦٣٠م عن سطح البحر، وبينها وبين مكة ٩٩ كم، حيث تقع إلى الجوب الشرقي منها، وتعد مصيف أهل مكة منذ الجاهلية، انظر: معجم معالم الحجاز، البلادي، جـ٥، ص٢١٩.
١٠٨ - أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، عزام بن الأصبغ السلمي،ص٤٥٠.
١٠٩- تعد من المراكز الهامة في الحجاز وتقع على ساحل البحر الأحمر، وتبعد عن مكة بنحو ٧٣كم. انظر: الرحلة الحجازية، محمد لبيب البتوني، جـ٢، ص١٣١.
١١٠- عن ذلك انظر: فتوح مصر والمغرب، عبد الرحمن ابن عبد الحكم،، ص٢١٨.
١١١- معجم معالم الحجاز، البلادي، جـ١٠/١٣-١٤.
١١٢- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة في صدر الإسلام، نورة عبد الملك آل الشيخ، ص١٩.
١١٣- المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد محمد شراب، جـ١، ص٤٣.
١١٤- المناسك، الحربي، ص٣٩٧-٣٩٩.
١١٥- جدة: فرضة مكة على البحر، والميناء الرئيس للحجاز، تبعد عن مكة بحوالي ٧٣كم. انظر: الجواهر المعدة في فضائل جدة، أحمد بن محمد الخضراوي، ص١٧-١٨.
١١٦- الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر البغدادي، ص٨٥.
١١٧ - يلملم: واد وبه ميقات من جاء من الجنوب مستطرقاً الوادي، ومن جاء يريد النسك فلا يجوز له مجاوزة الوادي بلا إحرام سواء كان طريقه من أول الوادي أو من وسطه أو منتهاه، وحينما يحرم مما يلي ضفته المبينة فقد أحرم من الميقات نصاً لا محاذاة. انظر: تحديد موقع يلملم الميقات المكاني للحجاج القادمين من جنوب مكة، ناصر عبد الله الراجحي، ص٦٠.
١١٨- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، عبد القادر محمد الجزيري، جـ٢، ص١٢١٤.
١١٩- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أحمد بن محمد ابن مسكويه، جـ٣، ص١٥٤.
١٢٠- أخبار القضاة، محمد بن خلف وكيع، جـ٣، ص٢٥٤.
١٢١ - صبح الأعشى، القلشندي، جـ٣، ص٥١٦.
١٢٢ - طريق البخور القديم، هادي ناصر العمري ،ص ٥٥-٥٦.
١٢٣ - البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر ابن كثير، جـ١٠، ص١٥٨.
١٢٤ - تاريخ اليمن، الشجاع، ص٤٢.
١٢٥ - تاريخ اليمن، الشجاع، ص٤٧.
١٢٦ - تاريخ المستبصر، ، ابن المجاور، ص٢٧.
١٢٧- تاريخ المستبصر، ابن المجاور، ص ٢٧.
١٢٨ - تاريخ المستبصر، ابن المجاور، ص٨٩.
١٢٩ - تاريخ المستبصر، ابن المجاور، ص٨٩.
١٣٠ - الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة٤٢٩هـ/١-٣٧م،

محمد عبده السروري، ص٣١٥.
١٣١- شفاء الغرام الفاسي، جـ١، ص٥٢٣-٥٢٥.
١٣٢ - شفاء الغرام، الفاسي، جـ١، ص٥٢٣-٥٢٧.
١٣٣- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن أحمد التميمي ابن حبان، ، جـ٢، ص٢١٣.
١٣٤ - تاريخ مدينة صنعاء أحمد عبد الله الرازي، ص٣٠٢.
١٣٥- تاريخ مدينة صنعاء، الرازي، ص٣٠٥.
١٣٦ - تاريخ مدينة صنعاء، الرازي، ص٣٠٧.
١٣٧ - طبقات فقهاء اليمن، ابن سمرة، الجعدي، ١٩٨١م ، ص٦٩.
١٣٨ - طبقات فقهاء اليمن، ابن سمرة، ص٦٩.
١٣٩ - التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، جـ١، ص١١٣.
١٤٠ - السلوك في طبقات العلماء والملوك، أبي عبد الله بهاء الدين الجندي، جـ١، ص١٤٠.
١٤١- ظهرتْ تصانيف الشافعية في اليمن في القرن الثالث للهجرة.
١٤٢ - طبقات فقهاء اليمن، ابن سمرة، ص٧٩.
١٤٣ - طبقات فقهاء اليمن، ابن سمرة، ص٧٩.
١٤٤ - طبقات فقهاء اليمن، ابن سمرة, ص٦٧.
١٤٥ - - السلوك، الجندي،جـ١، ص١٤٩.
١٤٦- آداب الشافعي ومناقبه، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ص٢٥.
١٤٧- طبقات فقهاء اليمن، ابن سمرة، ص٨٠-٨١.
١٤٨- طبقات فقهاء اليمن، ابن سمرة، ص٨٠.
١٤٩- طبقات فقهاء اليمن، ابن سمرة، ٨٨-٨٩.
١٥٠ - كان الإمام القاسم العياني مقيماً في منطقة تورج من بلاد خثعم.
The Sirat Al-Amirayn Al-Ajallayn Al-Sharifayn Al-Fadilayn Al-Qasim Wa-Mohammad Ibnay Jafar Ibn Al-Imam Al-Qasim B. Ali Al-Iyani As A Hiatorical Source, .Wilferd Madelung,P.69

١٥١- The Sirat Al-Amirayn ,Wilferd Madelung, P.69.
١٥٢ - الحدائق الوردية، المحلي،جـ٢،ورقة٦٢.
١٥٣ - أبو العباس رزين بن أحمد أحد علماء الزيدية الذين جمعوا بين وظائف الأمراء والعلماء، حيث لحق بالإمام القاسم العياني فأسند إليه الولاية والقضاء في أكثر من بلد من البلاد التابعة له.(مطلع البدور ومجمع البحور، أحمد بن صالح ابن أبي الرجال،جـ٢، ورقة١٠٤).
١٥٤ - القاسم بن الحسين الزيدي: أحد الزيدية الكبار الذين قدموا من الحجاز (الطائف) جماد أولى ٣٨٩هـ/٩٩٨م، حيث ساهم في نشر الفكر الزيدي في العديد من المناطق اليمنية، خاصة في صنعاء وعنس وذمار. (مطلع البدور، ابن أبي الرجال،جـ٤،ورقة٥٢، سيرة الإمام القاسم، الحسين بن يعقوب، ص٥٢).
١٥٥ - الحسين بن أحمد بن يعقوب: هو من أكثر علماء الزيدية اتصالًا بالإمام القاسم العياني، حيث صنف سيرة الإمام القاسم العياني، وتولى له القضاء، وقاتل معه في أغلب حروبه، وسجل انتصارات الإمام فيها في كثير من أشعاره. (مطلع البدور، ابن أبي الرجال، جـ٢،ورقة٥٧، ٥٨).
١٥٦- انظر: (سيرة الإمام القاسم، الحسين بن يعقوب، ص٢٨ ،٢٩).
١٥٧- أصول الهجرة اليمنية، ويلفرد مادلوينغ، ص١٦، ١٧.
١٥٨- سيرة الإمام القاسم، الحسين بن يعقوب، ص٥٢، ٥٣، بهجة الزمن، ابن عبد المجيد،ص٤٧.
١٥٩- طبقات الزيدية الصغرى، يحي بن الحسين بن القاسم، ص٦٧.

١٦٠ – نظام القضاء عند الزيدية، دراسة مقارنة بالمذاهب الأربعة وقانون السلطة القضائية في اليمن، يحي النونو،، ص١٠٠.
١٦١– سيرة الإمام، الحسين بن يعقوب، ص ١١– ١٦، مقدمة المحقق.
١٦٢– طبقات الزيدية الصغرى، يحي بن الحسين،ورقة١٢٨.
١٦٣– أخبار الأئمة من أهل البيت وشيعتهم باليمن، مسلم بن محمد اللحجي،الجزء الرابع، ورقة٦٦، ٧٧.
١٦٤– أخبار الأئمة، اللحجي،ورقة٣١٦، ٣١٧.
١٦٥– تاريخ اليمن في الإسلام، الشجاع، ص٢٥٨–٢٥٩.
١٦٦– كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، محمد بن مالك الحمادي، ص٤٢.
١٦٧– – تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدن، ج٤، ص٢٥٧.
١٦٨ – الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من ٢٦٨ حتى ٦٢٦هـ ، حسين بن فيض الله الهمداني، ص٦٥.
١٦٩ – سيرة الإمام القاسم ،الحسين بن يعقوب، ص١٣٠.
١٧٠– غاية الأماني، يحي بن الحسين،جـ١،ص٢٣١.
١٧١ – سيرة الإمام القاسم، الحسين بن يعقوب،ص١٥١.
١٧٢ – سيرة الإمام القاسم، الحسن بن يعقوب، ص١٥١.
١٧٣ – سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني، نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري، مفرح أحمد، الربعي، ص١٠٤.
١٧٤ – The Ismailis Their History and Doctrines, Farhad daftery,P.207.
١٧٥ – انظر: سيرة الأميرين، الربعي،ص١٢٦– ١٢٧.
١٧٦– سيرة الأميرين، الربعي،ص١٢٧– ١٢٨.
١٧٧– عاد الشريف الفاضل إلى ترج واشتغل بالزارعة، ويبدو أنه ورث كثير من الصناعات من جده القاسم بن علي, وقد منحهُ رئيس ترج أرض وبئر من ملكهِ الخاص لأن الأرض التي كانت لِجَدِّهِ كانت تحت الزراعة. انظر: The Sirat Al-Amirayn, W.Madelung, P.73.
١٧٨ – انظر: سيرة الأميرين، الربعي،ص١٣٦.
١٧٩ – سيرة الأميرين، الربعي، ص١٢٧، The Sirat Al-Amirayn, W.Madelung,P.73.
١٨٠ – انظر: الربعي: سيرة الأميرين،ص١٣٥ ،١٣٦، ١٣٧.
١٨١– يذكر مادلونج أن الشريف الفاضل عندما لم يُحسن نائب المدينة استقباله قرر السفر إلى العراق ومنها إلى القدس، إلا أن ذلك لم يتحقق بسبب وصول الأنباء بمهاجمة اللصوص للقافلة التي سافرت إلى العراق عندها قرر الانتظار حتى قدوم أمير المدينة الذي بوصوله تبين له ولمن معه أنه أبخل من نائبه. انظر: The Sirat Al-Amirayn, W.Madelung, P.74.
١٨٢ – انظر: سيرة الأميرين، الربعي،ص١٣٨.
١٨٣ – يقول صاحب سيرة الأميرين:».. وقد كان [الشريف الفاضل] لَّما عظمت عليه المخافة يأمرنا باستبطان السكاكين، وبالصلاة في المسجد مُجتمعين، يقول: إن عدا علينا عاد أخذ كل منا بنفسه»، انظر: سيرة الأميرين، الربعي،ص١٣٨.
١٨٤– سيرة الأميرين، الربعي،ص١٣٩.
١٨٥ – أمر له أمير المدينة بجملين غير أنهما كانا مريضين، «وجه إليه بشارفين من الإبل لا يُخرجان ثمناً ولا يَحملان راكباً، فأمر [الشريف الفاضل] ..ببيعهما فلم يُخرجا إلا ديناراً واحداً» ، « فعاد بهما إلى

بـاب أمير المدينة فأربطهما هنالك» انظر: (سيرة الأميرين، الربعي،ص١٣٩).

١٨٦ - أمثال الشريف الحسين بن مهناً الذي بعث إليه بثوبين حجازيين، والشريف أبي هجري سليمان بن محمد بن علي الذي أرسل إليه بمثقالين.(سيرة الأميرين الربعي، ،ص١٣٩).

١٨٧ - سيرة الأميرين، الربعي،ص١٤٢.

١٨٨ - في ذلك يقول صاحب سيرة الأميرين: «... فقال الشريف [الفاضل]: كم لله من أمر إلى حَوْل قابل! فلعل الموسم يأتي وقد هلك أحد الثلاثة إما صاحب اليمن[أي علي الصليحي] أو صاحب مكة أو هلكتُ! فأفضتُ إلى الراحة! ...» انظر: سيرة الأميرين الربعي، ص١٢٦.

١٨٩ - غاية الأماني، يحي بن الحسين،جـ١،ص٢٥٣.

١٩٠ - هو حمزة بن أبي هاشم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (بلوغ المرام، العرشي،ص٣٧).

١٩١ - سيرة الأميرين، الربعي، ص١٤٢، ١٤٣.

مصادر البحث:

المخطوطات:

- اللحجـي، مسـلم بـن محمـد: أخبـار الأئمـة مـن أهـل البيـت وشـيعتهم باليمـن، مخطـوط مصـور لـدى الباحـث عـن صـورة لـدى الدكتـور/ عبـد الرحمـن الشـجاع، الجـزء الرابـع.
- ابـن أبـي الرجـال، أحمـد بـن صالـح: مطلـع البـدور ومجمـع البحـور، مخطـوط مصـور لـدى الباحـث عـن مخطـوط مصـور لـدى الدكتـور/ عبـد الرحمـن الشـجاع.
- يحـي بـن الحسـين بـن القاسـم: طبقـات الزيديـة الصغـرى، مخطـوط مصـور لـدى الباحـث عـن مخطـوط مصـور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.

المصادر:

- لإدريـسي، محمـد بـن محمـد: نزهـة المشـتاق في اخـتراق الآفـاق، مكتبـة الثقافـة الدينيـة، القاهـرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- البتوني، محمد لبيب: الرحلة الحجازية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م
- البخـاري، محمـد بـن إسـماعيل: التاريـخ الكبـير، تحقيـق: السـيد هاشـم النـدوي، دار الفكـر، د.ت.
- بـن بطوطـة، أبـو عبـد اللـه محمـد بـن إبراهيم:رحلـة ابـن بطوطـة المسـماة تحفـة النظـار في غرائـب الأمصـار وعجائـب الأسـفار، دار الكتـب العلمية، بـيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- البغـدادي: قدامـة بـن جعفـر: الخـراج وصناعـة الكتابـة، الطبعـة الأولى، دار الرشـيد، بغداد،١٤٠٢هـ/١٩٨١م.
- البكـري، عبـد اللـه بـن عبـد العزيـز: المسـالك والممالـك، تحقيـق: جمـال طلبـة، الطبعـة الأولى، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- الجزيـري، عبـد القـادر محمـد: الـدرر الفرائـد المنظمـة في أخبـار الحـاج وطريـق مكـة

المعظمة، تحقيق: حمد الجاسر، الطبعة الثانية، دار اليمامة، الرياض، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- الجندي، أبي عبد الله بهاء الدين: السلوك في طبقات العلماء والملوك، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م
- ابن حبان، محمد بن أحمد التميمي: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- الحربي، إبراهيم بن إسحاق: المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، الطبعة الثالثة، دار اليمامة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- الحسن بن يعقوب: سيرة الإمام القاسم العياني، تحقيق: عبدالله الحبشي، الطبعة الأولى، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ١٩٩٦م.
- الحمادي، محمد بن مالك: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٦م
- الحموي: ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، تحقيق: محمد مخزوم، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،
- الخضراوي: أحمد بن محمد: الجواهر المعدة في فضائل جدة، تحقييق: علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- ابن خلدن، عبد الرحمن ابن محمد: تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي: قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي :الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق:يوسف شلحد، الطبعة الأولى، مركز الدراسات والبحوث اليمني،صنعاء،،١٩٧٩م.
- الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم: آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- الرازي، أحمد بن عبد الله بن محمد: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، الطبعة الثانية، صنعاء، ١٩٨١م.
- الربعي، مفرح أحمد: سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني، نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري، تحقيق: عبد الغني عبد العاطي، ورضوان السيد،دار المنتخب، بيروت،١٩٩٣م.
- زبالة، محمد بن الحسن: أخبار المدينة، تحقيق: صلاح عبد العزيز سلامة، الطبعة الأولى، مركزبحوث ودراسات المدينة، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ابن سمرة، الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م.

- السلمي، عزام بن الأصبغ: أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق: عبد السلام هارون، نُشر ضمن نوادر المخطوطات، المجموعة الثامنة، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- الصنعاني، اسحاق بن يحي: تاريخ صنعاء، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة السنحاني، صنعاء، د.ت.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن عبد الله: فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي،القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
- العرشي، الحسين بن أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام، نشر: الأب أنستاس الكرملي، القاهرة، ١٩٣٩م.
- عمارة، الحسن الحكمي اليمني: تاريخ اليمن، تحقيق:محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
- الفاسي، تقي الدين محمد: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: مصطفى محمد الذهبي، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٩٩٩م.
- الفاسي، تقي الدين محمد: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، السنة المحمدية، القاهرة،١٩٥٩م.
- ابن الفقيه، أبي عبد الله أحمد بن إسحاق: كتاب البلدان،تحقيق:يوسف الهادي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.
- الفاكهي، محمد بن اسحاق: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك دهيش، الطبعة الرابعة، مكتبة الأسدي، مكة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- القزويني، محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
- القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق:د.يوسف علي طويل، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ،١٩٨٧م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الماوردي، علي بن محمد: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب: تاريخ المستبصر، طبعة بريل، ١٩٣٦م.
- ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، تحقيق: أوسكار لوفغرين، مطبعة بريل، لندن، ١٩٥١م.
- أبو مخرمة، أبو محمد عبد الله الطيب: تاريخ ثغر عدن، تحقيق أوسكار لوفغرين، مطبعة لايدن، مطبعة المثنى، بغداد، ١٩٣٦م.
- ابن مسكويه، أحمد بن محمد: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- المهلَّبي، الحسن بن أحمد: الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، تحقيق: تيسير خلف، ، الطبعة الأولى، التلوين للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

- ناصر خسرو: سفرنامه، تحقيق: د.يحي الخشاب، الطبعة الثالثة،دار الكتاب الجديد،بيروت، ١٩٨٣م.
- الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب،تحقيق:محمد بن علي الأكوع، الطبعة الأولى،مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٠م.
- وكيع، محمد بن خلف: أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز المراغي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.
- اليماني، ابن عبد المجيد: تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: مصطفى حجازي، ، الطبعة الثانية، دار الكلمة، صنعاء، ١٩٨٥م.
- يحي بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، جـ١.

المراجع

- إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، طبعة ١٩٨٥م.
- أحمد عمر الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١-٤٨٧هـ، الطبعة الأولى، مطابع جامعة الرياض،الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- حسين علي الحبيشي: اليمن والبحر الأحمر، الطبعة الثالثة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- حسين بن فيض الله الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من ٢٦٨ حتى ٦٢٦هـ، دار المختار، دمشق، ١٩٥٥م.
- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، الطبعة الأولى، دار مكة للطباعة والنشر، مكة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- عبد الرحمن سيف إسماعيل: ملامح من النظم الإدارية والسياسية في اليمن قديمه وحديثه، الطبعة الأولى، دار نجاد ، صنعاء، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- عبد الرحمن الشجاع: تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى، الطبعة الثامنة، مكتبة الإحسان، صنعاء، ٢٠١٣م.
- محمد بن أحمد الحجري: مساجد صنعاء، ، الطبعة الثانية، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- محمد بن أحمد العقيلي: المخلاف السليماني، الطبعة الثانية، دار اليمامة،الرياض، د.ت، جـ١.
- محمد عبده السروري: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة٤٢٩هـ/١-٣٧م، إلى ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- محمد محمد شراب: المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- محمد عيسى الحريري: الاتجاهات المذهبية في اليمن، عالم الكتب،بيروت،١٩٩٧م.
- محمد عيسى الحريرى: دراسات وبحوث في تاريخ اليمن الإسلامي، الطبعة الأولى،عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨م
- نورة عبد الملك آل الشيخ: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة في صدر الإسلام،

الطبعة الأولى، دار تهامة، جدة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م
- هادي ناصر العمري: طريق البخور القديم، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- يحي النونو: نظام القضاء عند الزيدية، دراسة مقارنة بالمذاهب الأربعة وقانون السلطة القضائية في اليمن، الطبعة الأولى، دار الكتب،صنعاء، ٢٠٠٤م.
- الدوريات
- علي إبراهيم الحربي: طريق الحج اليمني في أرجوزة الرداعي، دار اليمامة، مج٣٢، ع٣، ٤، فبراير ١٩٩٧م، صفحات٢٣٤-٢٢٧.
- محمد علي عامر: قافلة الحج اليمني خلال العهد العثماني، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، ع١٣، ١٩٩١م، صفحات(٣٧٩-٣٥٥).
- نزار حبيب الخاقاني: الإجراءات الأمنية للخلافة العباسية لتأمين طريق العاصمة مكة المكرمة ١٣٢-٣٣٤هـ، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مج٤١، ع١، ٢٠١٦م، صفحات (٩٥-١١٠).
- ناصر عبد الله الراجحي: تحديد موقع يلملم الميقات المكاني للحجاج القادمين من جنوب مكة، مجلة العرب،مج١٨، ع١,٢، شعبان، مايو، ص٥٧-٦١، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٨٣م.
- المراجع الأجنبية المعربة:
- ويلفرد مادلوينغ: أصول الهجرة اليمنية، مجلة دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي،ترجمة:نهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية،صنعاء،٢٠٠٢م، صفحات(١٢-٣٨).

المراجع الأجنبية :

- Charis Waddy, , Women In Muslim History, Artists Impressions Lynda Saltmarsh, Longman,London and New York.
- Farhad daftery, The Ismailis Their History and Doctrines, London,Cambridge University Press, 1992
- G.Rex Smith, The Political History of The Islamic Yemen Down To The First Turkish Invasion(1-945/622-1538), Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Aravia Felix, at The Staatilches Musesm Fur Volkerkunde Munchen(25 April 1987 to 5 April 1988), Published by Pinguin-verlag, InnsbruckUmschau-Verag, Franlkfurt/Main,PP.129-139.
- Wilferd Madelung, The Sirat Al-Amirayn Al-Ajallayn Al-Sharifayn Al-Fadilayn Al-Qasim Wa-Mohammad Ibnay Jafar Ibn Al-Imam Al-Qasim B. Ali Al-Iyani As A Hiatorical Source, Studies In The History of Arabia, Proceedings of First Intirnational Symposium on Studies in The History of Arabia.23 rd.-28 tu of April.1977, Sponsored By The Department of History, Faculty of Arts.University of Riyadh, Saudi Arabia, Volume.1.Part.1.PP.69-87.

التنافس المملوكي العثماني على ساحل البحر الأحمر(١٥١٢ ـ ١٥٦٤م)

د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
جامعة نيالا ـــ كلية التربية ـقسم التاريخ

مستخلص

تسعى الورقة إلى إبراز دوافع المماليك والعثمانيون للتنافس حول ساحل البحر الأحمر مع توضيح كيفية استيلاء العثمانيين على سواكن في العام (١٥١٧م) أي في نفس العام الذي دخلوا فيه مصر حيث أصبحت سواكن تابعة إداريا لهم ، لذا عندما تقدمت فتوحات محمد علي باشا في السودان استأجر سواكن و مصوع من العثمانيين حتى يتمكن من ربط مصر بفتوحاته بالسودان عن طريق البحر الأحمر أما أهمية الورقة تتمثل في إحاطة القارئ بقدر من المعلومات التاريخية الموثقة عن طبيعة علاقة المماليك بمصر والسودان عبر ساحل البحر الأحمر باعتبار أهميتها الاقتصادية وموقعها المميز اللذان دفعا الدولة المملوكية والعثمانية للاهتمام بها بجانب التحقيق والتمحيص في الوثائق التاريخية وصولا للحقائق المتعلقة بالأطماع العثمانية على الموانى السودانية ، كما تكمن أهمية هذه الورقة في محاولتها للتعرف على وضع السودان آنذاك من حيث التبعية غير المباشرة للسلطة لعثمانية لاستبعاد الزعم بأحقية مصر في السودان تاريخيا . اتبعت الدراسة منهج السرد والتحليل أملا لبلوغ الهدف والتوصل إلى نتائج أهمها إثبات عدم وجود الحقوق التاريخية لمصرفي السودان وان الزحف المملوكي العثماني على سواحل البحر الأحمر تعبر عن رغبة مصر لاستغلال موارد السودان حتى تتوفر لهما البيئة المناسبة للاستعمار الاقتصادي السياسي كما أن للورقة محورين المحور الأول محاولة التعرف على كل من الدولة المملوكية والعثمانية ثم المحور الثاني هو محور التنافس ما بين الدولتين على الموانى السودانية ،ثم الخاتمة وبعض النتائج والتوصيات ثم أخيرا قائمة المصادر و المراجع .

Abstract

This scientific paper seeks to highlight the motives of the Mamluks and the Ottomans to expand on the Red Sea coast, while explaining how they seized Swakin in the year ١٥١٧, the same year in which they took over Egypt. where Swakin became administratively attached to them. So when Muhammad Ali's conquests progressed in Sudan, he rented Suakin and Massawa from the Ottomans so that he could link Egypt to his conquests in Sudan.The importance of the research is to inform the reader with some historical documented information about the nature of the Mamluk relationship with Egypt across the Red Sea coast for its economic importance and its distinctive location that pushed the Mamluk and Ottoman states to take care of them along with investigation and scrutiny in historical documents to reach the facts related to the Ottoman ambitions on Sudanese ports, The importance of this scientific paper also lies in clarifying the facts about the situation of Sudan at that time in terms of indirect dependence on the Ottoman authority to exclude the claim of Egypt's right to Sudan historically.The study followed the method of narration and analysis to reach the goal and reach results, the most important of which was to demonstrate the lack of legal rights for Egypt in Sudan and that the Ottoman encroachment on the Red Sea coasts expresses Egypt's desire to exploit Sudan's resources until the appropriate political environment is available for economic colonization.The paper has two axes, the first is to get acquainted with each of the Mamluk and Ottoman states, and the second is to highlight the competition between them over the Sudanese ports, then the conclusion, results, recommendations, and a list of sources and references.

أهداف الورقة

١. التعرف على دولة المماليك تلك الدولة الفتية التي أرقت مضجع الدولة العثمانية .
٢. تمليك الباحثين بعض المعلومات التاريخية عن نشأة وتكوين الدولة العثمانية .
٣. أن يتعرف الباحثين على أهمية ساحل البحر الأحمر بالنسبة للدولة

المملوكيـــة والعثمانيـــة .

أهمية الورقة

تكمـن أهميـة الورقـة في محاولـة إلقـاء المزيـد مـن الضـوء العلمـي حـول حقيقـة التنافـس المحمـوم بـين المماليـك والعثمانيـين حـول سـاحل البحـر الأحمـر .

أسئلة الورقة

تتمثـل أسـئلة الورقـة في سـؤالين همـا لمـاذا التنافـس حـول سـاحل البحـر الأحمـر كبـيرا بـين المماليـك والعثمانيـين .

ثم ما هي الأهمية التي تمثلها ساحل البحر الأحمر للدولتين .

منهج الورقة

تتبع الورقة منهج السرد التاريخي مع الوصف والتحليل .

محـاور الورقـة (المـكان والزمـان) الزمـان مـا بـين (١٥١٢ ـ ١٥٦٤م) أمـا المـكان الدولـة العثمانيـة ودولـة المماليك .

مقدمة

يعتبر عصر المماليك في مصر من العصور المهمة في تاريخ العالم الإسلامي تلك الدولة التي

اسـتطاعت أن تمـد نفوذهـا مـن بـلاد مـصر إلى بـلاد الشـام والشـمال الشرقـي لإفريقيـا ومـن ثـم بلغـت

بتوسـعها أرض الحجـاز واليمـن في الجنـوب والجنـوب الغربـي لقـارة آسـيا حكمـت حـوالي قرنـين

ونصـف مـن الزمـان مـا بـين مرحلتـين هامتـين في تاريـخ الدولـة الإسـلامية حيـث تاريـخ الخلافـة

العباسـية إبـان غـزو بغـداد (١٢٥٨م) (٦٥٦هـ) أمـا المرحلـة الثانيـة عندمـا ظهـرت دولـة الخلافـة

العثمانيـة في الوطـن العربـي(١٥١٧م) لـذا أن تاريـخ وأحـداث دولـة المماليـك جـاء مضطربـا ومتداخـلا

لأنهـا عاشـت وهـي تخـوض صراعـات وتنافـس مـع عـدة قـوى دوليـة . مثـال تنافسـها مـع الدولـة

العثمانيـة عـلى سـاحل البحـر الأحمـر الـذي يعتـبر عـلى مـر التاريـخ مـكان اهتمـام العالـم نظـرا لأهميتـه

الاقتصاديـة وموقعـه المتميـز ، جـاء اهتمـام المماليـك بسـاحل البحـر الأحمـر لمـا تمثلـه لهـا مـن أهميـة

تجاريـة لربـط التجـارة بـين الـشرق والغـرب ، ثـم ظهـرت الدولـة العثمانيـة حيـث قامـت بطـرد

البرتغاليين من ساحل البحر الأحمر فجعلت منه بحيرة عثمانية خالصة وبذلك فرضت سيطرتها
على شماله وجنوبه، كما اهتموا بإنشاء علم الملاحة عند العرب للتعرف على موانيه المختلفة
بجانب سفنه مع الوقوف على المعوقات والمخاطر وبذلك أصبح الجانب التجاري هو السبب
الرئيس في التنافس بين الدولتين .

لمحورالأول

أ. التعرف على المماليك ودولتهم

يبدأ تاريخ ظهور المماليك بالضعف الذي أصاب جسم الدولة الأيوبية وذلك عندما اشتد النزاع بين الأمراء الأيوبيين والأسر الأخرى القريبة للحكم كآل الزنكي في الموصل وآل سلمان وبجانب ذلك الفوضى السياسية التي اعترت الدول الإسلامية مثل مصر وبلاد الشام ، فلم يجد الأمراء الأيوبيين طريقة ناجحة للحفاظ على دولتهم إلا التوجه في الإكثار من شراء المماليك وهم الرقيق البيض ومعظمهم من الأتراك من بلاد القوقاز قرب قزوين وما جاورها وقد امتازوا بحسن الطلعة وجمال الشكل والقوة والشجاعة (١). يعد السلطان الصالح نجم الدين أيوب مؤسس هذه الجماعة من المماليك وأطلق عليهم البحرية لأنه اختارهم قرب بحيرة قزوين .[٢]

كان الهدف وراء شراء هؤلاء الجماعات (المماليك) حتى يتم تربيتهم وتدريبهم وإعدادهم ليكونوا سنداً لهم في الصراعات الداخلية الدائرة . لكن ازداد نفوذ المماليك مع الزمن خاصة في القرنين السادس والسابع الهجريين. [٣]

فاستطاع المماليك أن يستأثروا بالسلطة مستغلين الظروف الداخلية والخارجية التي عاش التي عانى منها الأيوبيين حينذاك بل استطاعوا أن يصلوا إلى حكم مصر بين (٦٤٨-٧٨٤هـ) /(١٢٥٠-١٣٨١م) ثم دخلوا في مشكلات وتحديات كبيرة مع عدة قوى إقليمية ودولية (كالمغول والصليبيين وغيرهم) وظلوا على هذه الحال حتى مجيء المماليك الجراكسة الذين حكموا مصر بين (٧٨٤-٩٢٢هـ /١٥١٧م) حيث ظلت مصر خاضعة لسلطة المماليك لقرنين ونصف حتى مجيء العثمانيين وإزالة نفوذهم عن مصر .[٤]

تحول المماليك الى سلطة حاكمة أدارت البلاد واتبعت نمطاً ارستقراطياً في الحكم ووظيفياً في إدارة البلاد ونشطت في جلب المزيد من الرقيق المماليك الي مصر من مختلف الأصول والفروع مثال (الصقالبة ، اليونانيون ، الاسبانيين أو الألمان) والتحق هؤلاء بخدمة سادتهم الذين اشتروهم وقاموا بتربيتهم

وتدريبهم ثم انقسموا إلى المماليك الظاهرية نسبة إلى السلطان الظاهر بيبرس سيدهم والمماليك الإشرافية نسبة إلى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون .(٤)

قوي نفوذ المماليك في مصر نظراً لانتصاراتهم المتتالية خاصة مع الصليبين في المنصورة . لكن ذاك لانتصار والنفوذ الذي أظهروه جعل السلطان توران شاه يشك في أمرهم ففكر في التخلص منهم وعلي وجه الخصوص كل من ينافسه من البيت الأيوبي. عندها أجمع المماليك علي تولية شجرة الدر السلطنة وهي أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك كما ذكر المقريزي[٥] لكن كانت الخلافة العباسية هي صاحبه السيادة الاسمية علي مصر لم ترضي بتعيين شجرة الدر سلطانة على البلاد فخلعت وعين بدلا عنها علي ابيك سلطاناً، وبذلك يلاحظ أن فترة المماليك انقسم الي قسمين هما دولة المماليك البحرية (١٢٥٠-١٢٩٠) ودولة المماليك البرجية ما بين (١٣٨٢- ١٥١٧) فكان المماليك البحرية من حرس السلطان الصالح الأيوبي بينما المماليك البرجية حرساً للسلطان المملوكي قلاوون وجاء هؤلاء وأولئك من أجناس مختلفة فمنهم التركي والشركي والمغولي والايطالي وغيرهم .[٦]

تداول عرش مصر السلاطين المماليك المعروفين باسم المماليك البحرية أربعة وعشرون سلطاناً ومن المماليك المعروفين باسم المماليك البرجية ثلاثة وعشرون سلطاناً . بلغت مصر مبلغاً عظيماً من القوة والثروة والابهه علي عهد سلاطين دولة المماليك الأولي والثانية لأنها صدت كثيراً من الأخطار الجسيمة التي هددت البلاد الإسلامية عامة والمشرق العربي خاصة فعاش المماليك حياة الترف والثراء واستقر الأمر لهم وتدفقت عليهم الثروات الواسعة بسبب التجارة علي سواحل البحر الأبيض وميناء سواكن علي ساحل البحر الأحمر التي عرفت آنذاك بميناء عيذاب(٧). بالرغم من تلك القوة والثراء دب الضعف في دولتهم وكثرت فئاتهم وأحزابهم وتضاربت مصالح هذه الفئات والأحزاب مما سهل على الدولة العثمانية مهمة القضاء عليها حتى غدت ترى نفسها جديرة بالسيادة العظمي علي العالم الإسلامي لذلك حاربت دولة المماليك حربا لا هوادة فيه فانتصرت عليها وأخرجتها من مصر في العام ١٥١٧م) . [٨]

ب.التعرف على العثمانيين ودولتهم

ينتسب العثمانيون إلى قبيلة تركمانية ظهرت عند بداية القرن السابع الهجري الموافق الثالث عشر الميلادي تعيش في كردستان وتزاول حرفة الرعي ونتيجة للغزو المغولي بقيادة جنكيز خان على العراق ومناطق شرق آسيا الصغرى هاجر سليمان جد عثمان الذي تنسب اليه الدولة في العام ١٢٢٠م مع قبيلته من كردستان إلى بلاد الأناضول فاستقر في مدينة أخلاط [٩] ثم

بعد وفاته (١٢٣٠م) خلفه ابنه الأوسط أرطغول والذي واصل تحركه نحو الشمال الغربي من الأناضول وكان معه حوالي مئة أسرة وأكثر من أربعمائة فارس وحين كان أرطغول والد عثمان فاراً بعشيرته صادف أمامه قتالاً حامياً بين مجموعة من المسلمين والنصارى فكانت الغلبة للجيش البيزنطي فما كان من أرطغول إلا أن تقدم بكل حماس وثبات لنجدة إخوانه في الدين والعقيدة فكانت تلك الخطوة سبباً في انتصار المسلمين على النصارى .(١٠)

عقب انتهاء المعركة قدر قائد الجيش السلجوقي هذا الموقف لأرطغول ومجموعته فأقطعهم أرضاً في الحدود القريبة للأناضول بجوار الثغور في الروم فأتاحوا لهم بذلك فرصة التوسع على أرض الروم وبذلك أصبح للسلاجقة حليفاً قوياً ومشاركاً في الجهاد معهم ضد الروم فنشأت بذلك علاقة حميمة بين الدولة الناشئة وسلاجقة الروم لوجود عدو مشترك بينهما فاستمرت هذه العلاقة طيلة فترة حكم أرطغول . عقب وفاته خلفه في الحكم ابنه عثمان الذي سار على نهج أبيه الرامية على التوسع في أراضي الروم .(١١)

ولد عثمان بن أرطغول في العام الذي غزا فيه هولاكو قائد المغول بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ، لهذا بدأت مرحلة التمكين للدولة العثمانية مع ظهور القائد بل بل السلطان عثمان الذي تميز بصفات فاضلة مما أهلته ليصبح قائدا لدولة جديدة ذات إمكانيات متوسطة إلا أنه عرف بالشجاعة والحكمة والإخلاص والصبر والجاذبية الإيمانية والعدل والوفاء والتجرد لله في فتوحاته بمعنى أنه لم يقدم على الفتوحات من أجل مصالح اقتصادية أو عسكرية بل كان غرضه تبليغ دعوة الله ونشر دينه (١٢).

المحور الثاني

تنافس المماليك والعثمانيون على ساحل البحر الأحمر

بلغت الدولة العثمانية قمة مجدها في عهد السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م) وابنه السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦١م) فشهدت فترتيهما توسعا كبيرا على حدود الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً لذا كان القرن السادس عشر الميلادي هو العصر الذهبي للدولة العثمانية للتطور الذي أحدثه سليم الأول وقد أدى ذلك فيما بعد إلى ضم معظم بلدان العالم الإسلامي إلى سلطة الدولة العثمانية وبالمقابل ظهرت قوة أخرى لعبت دوراً مهماً في بلورة التوجه العثماني للمنطقة ويقصد بذلك الدولة المملوكية في مصر .(١٣)

بالرغم من أن للدولة المملوكية علاقات حسنة وودية تربطها مع الدولة العثمانية إلا أن هناك عدة عوامل أسهمت في تأزم صفو العلاقات بينهما ففشلت

كل الحلول المقترحة لحلها ، فانتهت بالصدام المسلح بينهما والتقى الجيشان في مرج دابق قرب حلب في ١٥١٦م فانهزم الجيش المملوكي وفتحت أرض الشام أمام العثمانيين ، عقب هزيمة المماليك أمام العثمانيين انسحبت قواتهم الباقية إلى مصر حينها أدرك السلطان سليم الأول الذي لم يكن راغباً في الزحف على مصر ضرورة تعديل رأيه واللحاق بهم للقضاء عليهم نهائيا لأنه لم يكن مطمئناً لهم ، بجانب ما شهده السلطان سليم من مهارة وشجاعة قتالية نادرة أظهره المماليك ، لذلك كتب السلطان سليم إلى سلطان المماليك طومان يفاوضه فرفض طومان فكرة التفاوض مع الدولة العثمانية فلم يكن أمامه إلا مواجهة الرفض المملوكي بالزحف نحو مصر ومحاربتهم فالتقى الجيشان في منطقة الديوانية في عام ١٥١٧م فانتصر العثمانيين انتصاراً كبيراً ودخلوا على إثره عاصمة المماليك القاهرة وخطب السلطان سليم الأول في مساجدها حاول السلطان طومان جمع فلول جيشه للمقاومة إلا أنه هزم مرة أخرى وهرب حيث التجأ إلى أحد شيوخ البدو في البحيرة إلا أن الشيخ سلمه للعثمانيين حيث أمر السلطان سليم بقتله .(١٤)

نتيجة لذلك تدفق المماليك جنوب مصر بأعداد كبيرة فأصبحوا يشكلون للدولة العثمانية خطراً آخر خاصة اذا نجحوا في استعادة قوتهم فيقطعوا على العثمانيين الاتصال بالموانئ البحرية كميناء البحر الأحمر الذي كان يمثل معبراً تجاريا مهماً وبنهاية الدولة المملوكية في مصر أصبحت الدولة العثمانية في مواجهة مباشرة مع القوى المحلية في جنوب مصر الأمر الذي جعل العثمانيون يتخذون فيه أمراً مختلفاً لأن هناك توسعاً آخر من قبل قوى استعمارية أخرى تهدف إلى السيطرة على الموانئ والمداخل في الدول الإسلامية على البحر الأحمر والمحيط الهندي فوجد السلطان سليم أنه أمام مواجهة حقيقية ومباشرة مع البرتغاليين في المنطقة وكانت سيطرة البرتغاليين على الخليج العربي والبحر الأحمر تمثل ضربة اقتصادية وسياسية للعثمانيين الذين باتوا يسيطرون على العراق وبلاد الشام والحجاز ومصر لذلك أدرك السلطان سليم الأول صعوبة التعامل مع الوضع الجديد خاصة وأن سياسته تتسم بالحذر تجاه القوى المحلية في السودان بالرغم من أنه سيطر على سواكن ومصوع مقابل جزية سنوية تدفع له من قبل مصر التي كانت تتحكم في الموانئ السودانية باسم السلطان العثماني .(١٥)

مـع بدايـة تـولي السـلطان سـليمان القانونـي الحكـم في الدولـة العثمانيـة مـا بـين ١٥٢٠-١٥٦٤م) خلفـاً لوالـده السـلطان سـليم اتسـعت حـدود الدولـة العثمانيـة لاسـيما سـيطرتها البحريـة وقـد نجـح بالفعـل الأسـطول العثمانـي في تأكيد سـيطرته التامـة عـلى الجانـب الشرقـي مـن البحـر الأحمـر حيـث تمـت السـيطرة عـلى كل الموانـئ القائمـة عليـه(١٦) . تـرك السـلطان العثمانـي قيـادة الموانـئ البحريـة عـلى البحـر الأحمـر لأوزمـير باشـا الـذي قسـم قواتـه إلى قسـمين، قسـم توجـه إلى جنـوب مـصر بـراً والقسـم الثانـي توجـه عـن طريـق النيـل فنجـح أوزمـير باشـا في إخضـاع القبائـل العربيـة التـي أعلنـت خضوعهـا للسـلطان العثمانـي واسـتولى العثمانيـون عـلى قلعتـي إبريـم والـدر ثـم أقامـوا قلعـة في مدينـة صـاي كمـا شـيد بـه مسـجداً باسـم سـليمان القانونـي .(١٧)

توسـعت الدولـة العثمانيـة في المناطـق السـاحلية دون التوغـل في الداخـل السـوداني فـكان الغـرض المهـم السـيطرة الإسـتراتيجية عـلى مينائـي سـواكن ومصـوع لأهميتهمـا الاقتصاديـة والعسـكرية لذلـك سـاند العثمانيـون والي سـواكن الإمـام أحمـد القـران عندمـا قام بالثـورة ضـد البرتغاليـين فمـدوه بالجيش والأسـلحة والذخـيرة ممـا جعـل البرتغاليـون يهزمـون في عـام ١٥٥٧م أمـام القـوة العثمانيـة ، فتـم طردهـم نهائيـاً مـن سـاحل البحـر الأحمـر ، فأصبحـت السـيادة عثمانيـة عـلى طـول سـواحل البحـر الأحمـر الإفريقيـة . بذلـك شـكل العثمانيـون إدارة سياسـية في سـواكن ومصـوع تحـت إشراف الـوالي العثمانـي في الحجـاز يسـاعده حاكـم عثمانـي في كلا المدينتـين، فأصبحـت مدينـة سـواكن تمثـل مركـزاً قويـاً للعثمانيـين كمـا وضعـوا لهـا نظـام إداري بحيـث تصبـح مركـزاً تابعـاً لسـنجق فعـين عبـد الباقـي بـك أول أمـير لسـنجق سـواكن في ١٥٥٤م فـكان هـذا الأمـير مسـاوياً لأمـير سـنجق جـدة حيـث يحصـل عـلى كل المخصصـات كمـا يحصـل عليهـا سـنجق جـدة وفي العـام ١٥٥٥م تحولـت سـواكن مـن سـنجق تابـع لمـصر إلى مركـز الولايـة الجديـدة وجعلهـا العثمانيـون مركـزاً لمحكمـة الولايـة الجديـدة وجعلهـا العثمانيـون مركـزاً لمحكمـة الولايـة وعـين عبـد الوهـاب أفنـدي أول قـاضي عليهـا لمعرفتـه التامـة بالمنطقـة ولعلاقتـه الحميمـة مـع أهلهـا .(١٨)

أسـهمت مينائي سـواكن ومصوع إسـهاما مهمـاً في الدعـم الاقتصـادي للعثمانيين وذلـك مـن خـلال المـوارد الجمركيـة، كمـا أنهمـا مركـزان مهمـان للمعامـلات التجارية بـين الـشرق والغـرب . فكانـت تجـارة التوابـل والرقيـق تمثـلان الجانـب الأكـبر مـن

بين تجارة المنطقة . كما أن هناك نوعان من الضرائب كانت تفرض على السفن المارة وهي التي شكلت مورداً رئيسياً مهما للعثمانيين . (١٩)

الخاتمة

خلصت الدراسة إلي أن دولة المماليك ظهرت عقب ضعف الدولة الأيوبية فكانت قوية و متماسكة منذ نشأتها بحكم تباين مكوناتها الاجتماعية وتعدد جنسياتها وثقافاتها ، فهم جماعات ذوي باس وشدة خاصة في ميادين القتال وقد شاهد السلطان سليم الأول ذلك بنفسه عندما التقى بهم في واقعة مرج دايق، فكاد المماليك ينجحون في السيطرة علي كافة بلدان العالم الإسلامي لولا تصدي السلطان العثماني سليمان القانوني لهم بقوة . ومع ذلك فان التاريخ لا ينكر قوتهم و سيطرتهم على الشرق الإسلامي و علي الموانى البحرية في البلاد العربية الإسلامية لأهميتها الاقتصادية ولا سيما ساحل البحر الأحمر الذي كان يمثل مركزا تجاريا مهما آنذاك .كما خلصت الدراسة إلي إنكار الزعم الكاذب بأحقية مصر تاريخيا للسودان ، إذ تبين أن السلطان العثماني في لحظة ضعف اصدر فرمانا لمحمد علي باشا حاكم مصر الذي كان يتمتع بقوة كبيرة آنذاك أن يغزو السودان ويضمه للدولة العثمانية على أن تتبع اسميا لدولة الخلافة العثمانية وإداريا تتبع لمصر فسميت تلك الفترة من حكم السودان بالتركية السابقة كما أن الجيش الذي قام بالغزو عبارة عن جنود مرتزقة من الأتراك والجركس والمغاربة وغيرهم فلم يكن بينهم مصريا واحدا ، أما الضباط الذين قادوا الحملة كانوا من الأتراك وأصبحوا فيما بعد هم الاداريين . كما أن محمد علي كان واليا البانيا على مصر من قبل الدولة العثمانية ، هذا يدل على أن أهل مصر قد تعرضوا لما تعرض له أهل السودان ، وان الملك بادي حينما وقع وثيقة التنازل عن عرش السودان إنما وقعها للسلطان التركي فأصبحت البلاد خاضعة للأتراك ولوالي مصر ادريا ،وفي ذات الوقت يعلم السودانيون بان مصر ولاية عثمانية تابعة للخلافة الإسلامية في تركيا . من هنا يتضح جليا بان السودان كنت دولة مستقلة وتسقط عنها التبعية لمصر على مر التاريخ .

النتائج والتوصيات

أ ـــــــ النتائج

١. تأكد أن عصر دولة المماليك من العصور المهمة في تاريخ العالم الإسلامي.
٢. أثبتت الدراسة أن العلاقات الخارجية للدولة المملوكية كانت ودية من الناحية الاقتصادية و شرسة من الناحية السياسية خاصة مع دول القوى المجاورة مثل العثمانيين التركمان و المغول .
٣. كانت الدولة المملوكية منذ نشأتها قوية و شرسة بحكم مكوناتها الاجتماعية المتميز بالتباين العرقي لذلك فرضت نفوذها في بلاد الشام و مصر و كثير من الدول العربية الأخرى .
٤. لم تضعف دولة المماليك إلا عندما تكالب عليها القوي الخارجية الأخرى المتمثلة في الدولة العثمانية و غيرها ٥ ـــــ فرضت الدولة العثمانية سيطرتها علي الموانئ البحرية علي الجانبين الشرقي و الغربي وبذلك سيطرت على الملاحة بصورة تامة .
٥. أثبتت الدراسة بطلان تبعية السودان لمصر على مر العصور التاريخية وان ما حدث للسودان من غزو تركي قد حدث لمصر قبلها فالسودان ومصر دولتان توأم بحكم العلاقات القديمة و رابط النيل .

ب ـــ التوصيات

١. ـــــــــــ أوصي بضرورة المزيد من التنقيب العلمي عن تاريخ دولة المماليك ابان سيطرتها علي بلدان العالم الإسلامي.

الحواشي

١. السيد الباز العربي ، المماليك، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٩م ص ٣٤-٣٧ .
٢. مفيد الزيدي ، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر المملوكي ، الأردن ، دار أسامة للنشر (٢٠٠٣م) ص ٢٠ .
٣. المرجع نفسه ص ٢٧ .
٤. أبو المحاسن يوسف – المنهل الصافي (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الأول (١٩٢٩م) ص ٤٢ .
٥. المقريزي أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١ تحقيق عبد الفتاح عاشور ، القاهرة (١٩٧١م) ص ٩٥ .
٦. المرجع نفسه والصفحة .

٧. مفيد اليزيدي ، المرجع السابق ، ص ٥٨ .
٨. عبد الحميد العبادي وآخرون ، الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها ، ط٣ مصر مكتبة نهضة مصر (د،ت) ص ١٢٠ .
٩. اخلاط مدينة تقع شرق تركيا الحالية قريبة من بحيرة وان يف أرمينيا .
١٠. عبد اللطيف عبد الله دهيش : قيام الدولة العثمانية ، ط ٢ ، مكة المكرمة ، مطبعة النهضة، (١٩٩٥م) ص ٢٦ .
١١. زيادة أبو غنيمة : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين (١٩٨٣م) ص ٣٧ .
١٢. حكيم أمين السيد ، قيام دولة المماليك الثانية (القاهرة ، مكتبة النهضة) ١٩٦٦م ص ٣٣ .
١٣. جلال يحيى ، العالم العربي الحديث ، القاهرة ، الأنجلو مصرية ، (١٩٧٥م) ص ٣٧-٣٨ .
١٤. محمد إبراهيم أبو سليم ، دور العثمانيين في إفريقيا والسودان، تحقيق يوسف فضل ، الخرطوم ،٢٠٠٤م ص ٦٧ .
١٥. عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار الجيل (١٩٨٠م) ص ٦٩-٧٠ .
١٦. السيد الباز : المرجع نفسه ص ٨١ .
١٧. محمد سعيد شكري ، مصر والسيادة على السودان ، القاهرة (١٩٤٦م) ص ٥٣ .
١٨. عبد اللطيف عبد الله دهيش ، المرجع السابق ، ص ١٩٦.
١٩. المرجع نفسه والصفحة .

قائمة المصادر والمراجع

١. أبو المحاسن يوسف , المنهل العثماني [النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج١ [١٩٢٩م])
٢. جلال يحي العالم العربي الحديث , القاهرة , الانجلو المصرية «(١٩٧٥م)
٣. حكيم أمين السيد , قيام دولة المماليك الثانية , القاهرة , مكتبة النهضة (١٩٦٦م)
٤. زيادة ابو غنيمة , جوانب في تاريخ العثمانيين , ط, (١٩٨٣م)
٥. السيد الباز العربي , المماليك , بيروت , دار النهضة العربية (١٩٧٩م)
٦. عبد العزيز عمر , دراسات في تاريخ العرب الحديث , بيروت , دار الجيل , (١٩٨٠م)
٧. عبد الحميد العبادي الدولة الإسلامية تاريخ تاريخا و حضارتها ط٣ , مصر , مكتبة نهضة مصر (د ـ ت)

٨. عبد اللطيف عبد الله دهيش , قيام الدولة العثمانية ط٢ (١٩٩٥م)
٩. محمد إبراهيم ابو سليم , دور العثمانيين في إفريقيا و السودان , تحقيق يوسف فضل الخرطوم (٢٠٠٤م)
١٠. المقريزي احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ ـــــــــــــــــــ ١٤٤٢م) كتاب السلوك لمعرفة الملوك ج١ تحقيق سعيد الفتاح عاشور , القاهرة (١٩٧١م)
١١. محمد سعيد شكري , مصر و السيادة علي السودان , القاهرة , الانجلو , المصرية (١٩٤٦م)
١٢. مفيد الزيدي , موسوعة التاريخ الاسلامي في العصر المملوك , الاردن دار اسامة للنشر (٢٠٠٣م)
٣١. محمد سعيد شكري ، مصر والسيادة على السودان ، القاهرة (١٩٤٦م) ص ٥٣.

دور اليمن البحري مع دول حوض البحر الاحمر» الساحل الغربي» خلال المدة١٥٠٤-١٩٦٧م)

د.خالد عبدالله عبد ربه طوحل

أ. مشارك -جامعة عدن

ملخص البحث:

يكتسب تاريخ اليمن قديما وسيطاً وحديثاً ومعاصراً أهميته، ومن جملة خصائص جيو- إستراتيجية وسياسية وتاريخية وحضاريه لها ولأمتها العربية والإسلامية.

ولا يختلف اثنان على أن اليمن تتمتع بموقع استراتيجي وأمني حاكم، تتحكم في دائرة وطنية وقومية وإقليمية ودولية.إذْ اكتسبت اليمن موقعا استراتيجيا مهماً على مدخل باب المندب للبحر الأحمر ، والبحر العربي، والمحيط الهندي واتجاهاته إفريقيا وآسيويا وشرقاً وغرباً، ولاسيما بعد افتتاح قناة السويس في العام ١٨٦٩م، وأصبحت العلاقة لصيقة مع دول حوض البحر الأحمر ولاسيما(مصر والحبشة والصومال والسودان) المطلة على الساحل الغربي في أهم شريان يربط الشرق بالغرب.

وفي التاريخ القديم والوسيط والحديث والمعاصر كانت اليمن ومازالت تتمتع بموقع حاكم ومؤثر بوصفه مصدراً ومعبراً لهجرات قديمة إلى الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر وشمال إفريقيا ومنطلقا لطرق التجارة البرية والبحرية سواءً عبر الجزيرة العربية أو عبر الهضبة الإثيوبية والسودان وجنوب الصحراء الكبرى حتى تمبكتو والاطلسي ومضيق طارق شمالاً ومصحوباً بهجرات بشرية أيضاً.

في هذه الورقة البحثيةتناولنا الشاطىء البحري بين اليمن ودول حوض البحر الاحمر في الساحل الغربي الإفريقي والعلاقة الموغلة منذ القدم إلى الاستقلال الوطني لليمن الجنوبي١٩٦٧م .التي جمعت بلدان حوض الساحل الغربي واليمن على مصير استعماري أوروبي مشترك،أضف إلى ذلك من أجل كشف أهمية الشواطىء على رسم دور مشترك بين أقطار دول الحوض بحكم أن العلاقات والصلات بينهما موغلة منذ القدم وتحتاج إلى دراسة علمية وافية وعميقة، وعرض البحث أهمية اليمن ودول الساحل الغربي المطلة على حوض البحر الأحمر الموقع الحيوي والإستراتيجي المهم بحكم أنهما طرفا بحر واحد ولاسيما –اليمن ومصر- التي تعد الاولى المدخل والثانية المخرج للبحر الأحمر في وقت واحد.

Abstract

Yemen has significant ancient, middle, modern and contemporary ages in addition to it enjoys geostrategic, political, historical and civilized characteristics for the advantage of the country and Islamic and Arab nation.

Everyone agrees that Yemen has a strategic location controlling a national, regional and international circle. Yemen has an important strategic location as it is situated at the entrance of Bab-el-Mandeb Strait, the Red Sea, the Arabian Sea and the Indian Ocean, at the intersection of Africa and Asia and links the East and the West, after the launch of Suzie Canal in 1869 in particular. The relationship with the countries of the Red Sea has become close particularly with Egypt, Ethiopia, Somalia and Sudan at the western shore. It is the most important line that links the East with the West.

In the ancient, middle, modern and contemporary ages, Yemen has enjoyed a controlling and influential location which is a source of early migrations and passageway for them to the Arab Peninsula, Iraq, Levant, Egypt and North Africa and a point of departure for the land and sea trade either through the Arab Peninsula, Ethiopian plateau, Sudan, south of Greatest Desert, Timbuktu, the Atlantic Ocean,Gibraltar in the north, and it is accompanied with human migrations.

In this paper, we dealt with the seashore between Yemen and the Red Sea African countries bordering the west shore; in addi-

tion to the rooted relationship, since old ages to the Independence of South Yemen in 1967, which has united the countries on the west shore of the Red Sea and Yemen in a common destiny of European colonization. Furthermore, this paper aimed to investigate the importance of the shores in assigning a common role between these countries due to their historical relationships and connections for ages that also requires a scientific, comprehensive and profound study. The research showed the importance of Yemen and the countries that border the west shore and their vital and strategic location, Yemen and Egypt in particular, which are considered the entrance and the exit of the Red Sea respectively at the same time.

المقدمة:

مـن المعلـوم أَن تاريـخ اليمـن البحـري قـد ارتبـط مـع دول حـوض البحـر الأحمـر أهميـة تاريخيـة لاسـيما دول السـاحل الغربـي الإفريقـي وبعـد مرحلـة جمـع المـادة العلميـة سـار البحـث في ثلاثـة محـاور يتصدرهـا تمهيـد وتقفوهـا خاتمـة، ففـي التهميـد تحدثنـا عـن سر العلاقـة بـين اليمـن ودول حـوض البحـر الأحمـر ولاسـيما دول السـاحل الغربـي في مصـادر التاريـخ.

وأمـا **المحـورالأول** فـكان بعنوان**(اليمـن ودول سـاحل البحـر الأحمـر الغربـي خـلال المدة١٥٠٤-١٩١٧م)**ومـدى التنافـس البرتغـالي العثمانـي عـلى اليمـن ودول السـاحل الغربي،وبعـد ذلـك تناولـت التنافـس البريطانـي الفرنـسي عـلى اليمـن ودول السـاحل الغربـي وأشرنـا إلى البدايـات الأولى لهـذا التنافـس بـين شركـة الهنـد الشرقيـة البريطانيـة منـذ العـام ١٦٠٠م عندمـا منحـت الملكـة إليزبيـت الأولى امتيـازاً لشركـة الهنـد الشرقيـة البريطانيـة يسـمح لهـا بإقامـة مشروعـات تجاريـة في عـدن والبحـر الأحمر،كمـا أنشـأ الفرنسـيون شركـة الهنـد الشرقيـة الفرنسـية في العـام١٦٦٤م إذ أصبحـت هـذه الـشركات الاسـتعمارية تتنافـس وتتصـارع فيمـا بينهـا عـلى التجـارة العالميـة وفـرض هيمنتهـا عـلى البحـار والمضايـق والممـرات ومقدمتهـا حـوض البحـر الأحمـر. وتطرقنـا إلى تجـارة البـن اليمنـي الـذي تمـت معرفتـه في اليمـن في العـام١٥٤٠م وتناولـت بدايـات التنافـس البرتغـالي العثمانـي

على اليمن ودول الساحل الغربي،وبعد ذلك تناولت التنافس المصري الإيطالي على اليمن ودول الساحل الغربي من حوض البحر الأحمر،واستعرضنا طموحات محمد علي باشا في اليمن والحجاز وشبه الجزيرة العربية ،ووضحنا كيف تكالبت عليه دول الغرب في سبيل الحد من طموحاته التوسعية عبر قرارات مؤتمر لندن في العام ١٨٤٠م والقاضيين بوجوب سحب قواته من اليمن والحجاز وشبه الجزيرة العربية وانهارت إمبراطورية محمد علي باشا لتبقى قاصرة في (مصر والسودان.).وتناولت الصومال الكبير والتنافس الأوروبي (البرتغالي البريطاني الفرنسي الإيطالي) على الصومال وبلاد الحبشة.وتناولت اليمن ودول الساحل الغربي خلال الحرب العالمية الأولى(١٩١٤-١٩١٨م) ووضحنا انسحاب الأتراك من شمال اليمن وكيف أصبح الإمام يحيى الوريث الشرعي للأتراك في شمال اليمن.**أما المحور الثاني فكان بعنوان:(اليمن ودول الساحل الغربي بين الحربين العالميتين(١٩١٨-١٩٤٥م)** وتناولت وضع مصر والسودان بين الحربين وتناولت الحركة الوطنية بقيادة سعد زغلول،ومحمد محمود،وإسماعيل صدقي ومحمد الباسل ونفيهم إلى جزيرة مالطة ، وردود الفعل المصري السوداني على ذلك بانتفاضات العام ١٩١٩م وتناولت إعلان الحكومة البريطانية إلغاء حمايتها والاعتراف باستقلال مصر والعمل بالدستور ، فنصب الملك فؤاد الأول ملكا على مصر والسودان ،الذي أعلن نظام الحكم الدستوري في مصر في العام ١٩٢٣م وكلف الملك فؤد الأول سعد زغلول رئيس حزب الوفد تشكيل أول حكومة وطنية في ٢٣يناير١٩٢٤م، وماتلتها من حكومات حتى قيام الحرب العالمية الثانية،وتناولت أيضاً التنافس البريطاني الإيطالي مابعد الحرب العالمية الأولى على الصومال الكبير حتى ٢١نوفمبر من١٩٤٩م الذي أصدرت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة قراراً بوضع إقليم الصومال تحت الإدارة الإيطالية لمدة عشر سنوات.وتناولت وضع اليمن بعد الحرب العالمية الأولى والصراع والتنافس البريطاني الإيطالي على اليمن ووضحنا أهمية عدن الملاحية والعسكرية في السياسة البريطانية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وتحويل عدن إلى مركز لقيادات القوات المسلحة البريطانية في الشرق الأوسط التي أصبحت إحدى النقاط الأربع الرئيسة التي تتولى حماية الأساطيل البحرية البريطانية(جبل طارق،مالطة،قبرص،عدن).أما **المحور الثالث** فكان بعنوان:(**حركات التحرر الوطني في اليمن ودول الساحل الغربي خلال المدة ١٩٤٥-١٩٦٧م)** وتناولت البدايات الأولى لحركات التحرر في آسيا وإفريقيا،وانتصار اليابان في الأعوام(١٩٠٤-١٩٠٥م) في حربها ضد روسيا وكان من العوامل التي ترك الأثر في نفوس سكان القارة الأسيوية،وعززت

من روح الحركات الوطنية في كل من الهند وأندنوسيا وتركيا ومصر وغيرها في تواصل كفاحها ضد الاستعمار وتطور فكرة التضامن الأفرو آسيوي،وتناولت تصريح الرئيس الامريكي (ولسن) المتضمن لمبدإ»حق الشعوب في تقرير مصيرها» وتناولت الحركة الوطنية في مصر والسودان ضد القوات البريطانية مروراً بتوقيع اتفاقية الحدود بين القطرين في ١٩يناير من العام١٨٩٩م التي وقعها عن الجانب المصري وزير خارجية مصر بطرس غالي، واللورد كرومر البريطاني وانسحاب القوات المصرية من السودان،واستقلال مصر بقيام ثورة يوليومن العام ١٩٥٢م وموافقة قيادة الثورة فيما بعد على حق تقرير مصير السودان وإعلان الجمهورية السودانية في أول يناير من العام ١٩٥٦م، واستقلال مصر استقلالاً كاملاً بعد خروج آخر جندي بريطاني من أراضيها. وتناولت تحرير الصومال الكبير التي كانت مقسمة على خمسة أقاليم كلها للاستعمار الأوروبي فهناك الاستعمار الإجليزي في الشمال،والإيطالي في الجنوب،والفرنسي في جيبوتي،والإنجليزي في إقليم أنفذي بشمال كينيا، والاستعمار الأثيوبي في الصومال الغربي أو أوجادين. وتناولنا دور الحركة الوطنية الصومالية بعد الحرب العالمية الثانية ولاسيما مابعد العام١٩٤٩م بناء على قرار هيئة الأمم المتحدة الذي نص على أن تصبح الصومال دولة مستقلة ذات سيادة بعد عشر سنوات،ونتيجة لهذه الجهود أعلن استقلال الصومال إلى عدد من الدويلات بدلاً من تحقيق وحدة الصومال وإعلان جمهورية الصومال حسبما حددت في دستورها.وتناولت الحركات التحررية في اليمن ابتدأ من العام ١٩٤٨م في شمال اليمن مروراً بحركة العام ١٩٥٥م وثورة ٢٦سبتمبر١٩٦٢م وإعلان الجمهورية العربية اليمنية في شمال اليمن وتناولْتْ دعم مصر للثورة اليمنية وتأمينها حتى استقال جنوب اليمن في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م وإعلان جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

توطئـــة :

يكتسب تاريخ اليمن البحري على مر العصورمع دول حوض البحر الأحمر أهمية تاريخية ولاسيما دول الساحل الغربي الإفريقي:(مصر وأثيوبيا والصومال والسودان) وكان الهدف من هذا البحث هو توثيق العلاقات والصلات بين اليمن ودول الساحل الغربي لمنطقة هي جزء من تاريخ حوض البحر الأحمر الشريان العالمي الرئيس للملاحة الدولية بين الشرق والغرب،كما أنه يتوسط جناحي الوطن العربي، الشرقي والغربي[1] وقد ظل هذا البحر عملًا فعالاً لربط البلاد المحيطة به ببعضها البعض وغيرها من دول العالم فكان بذلك وسيلة تسهيل عملية الاتصال والتبادل الحضاري والتجاري بين الدول

((١)) الحبشي،حسين علي، اليمن والبحر الأحمر الموضع والموقع جغرافياً تاريخياً،اقتصادياً،سيا سياً،بحرياً،قانونياً،دار الفكر المعاصر-بيروت ط،١٩٩٢،١م،ص٢٠-٢١.

المحيطة به، كما أنه في الوقت نفسه يمثل المخرج الوحيد لبعض الدول الساحلية ، وبجانب الاستفادة من العمليات التجارية والملاحية في البحر كان أيضاً مصدراً للإثراء عن طريق فرض الرسوم الجمركية منذ قديم الزمان [١] .

التمهيد: العلاقة بين اليمن ودول حوض البحر الأحمر في مصادر التاريخ:

لقد ارتبطت اليمن القديم بعلاقات وصلات تاريخية من خلال موقعها الاستراتيجي مع دول الساحل الغربي لحوض البحرالأحمر ، ومازالت حتى الآن معبر للتجارة الدولية في حوض البحر عن طرق باب المندب بخليج عدن والبحر العربي جنوباً والمحيط الهندي[٢]الذي على شواطئه اليمن وحضرموت وغيرها[٣] ، وشمالا عبر قناة السويس المتصلة بحوض البحر الابيض المتوسط[٤]، وأن أول من سيطر على الملاحة في البحر الأحمر هم العرب من قدماء المصريين واليمنيين والحبشة ، ولقد أدى العرب أيضاً دور الوسيط التجاري زدْ على ذلك أنهم كانوا يصدرون منتوجاتهم ، بحيث أدت تلك الوساطة توثيق الصلات وسيرورتها. ويرى المؤرخون أن اول أتصال باليمن القديم هوعبر السفن التي سيرها الملك (ساحورعSahure) من الأسرة الخامسة في القرن الثامن والعشرين ق.م.في البحر الأحمر لجلب البخور والسلع النفيسة الاخرى من بلاد (بنتPunt)[٥]، وهناك

(١) Farid Abdel Magid, The Red Sea prospect for Stability, London:St.Martinks(.press,1982

(٢)) أورسيوس،تاريخ العالم،الترجمة العربية القديمة،تح،عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط١٩٨٢،١م،ص٥٩.

(٣)) زيدان ،جرجي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ،مطبعة الهلال،مصر،ط١٩٩٢،١م،ص٢—٢١.

(٤))زيدان ،جرجي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ،مرجع سابق ،ص٢٩، والصافي، محمد حسين، العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر البحر الأحمر،أطروحة دكتوراه،كلية الآداب،جامعة صنعاء،٢٠٨،ص١٨.

(٥))تشير الدراسات إلى أن «بلاد بونت Punt» تقع في الأنحاء المطلة على الجزء الجنوبي من البحر الأحمر على مقربة من باب المندب وتشمل كلاً من الشاطئين الآسيوي والإفريقي ،أي جنوب جزيرة العرب والصومال واريتريا للمزيد ينظر: بافقيه،محمد عبدالقادر، توحيد اليمن القديم –الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول الى القرن الثالث الميلادي ، سلسلة تاريخ اليمن (٢) تقديم وتدقيق د.منير عربش ، ترجمة .د.علي محمد زيد ، راجعة .د.محمد بن عفير، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء – الصندوق الاجتماعي للتنمية الأفاق للطباعة والنشر،صنعاء ط١، ٢٠٠٧م ،ص ١٩-٢٠، وشهاب، حسن صالح، لمحات من تاريخ الملاحة القديم في البحر الأحمر،مركز الشرعبي للطباعة والنشر،صنعاءط١،٢٠٠٢،ص٥، وفخري ،أحمد، اليمن ماضيها وحاضرها ، مراجعة وتعليق.د. عبدالحليم نور الدين –بيروت ،ط٢،١٩٨٨م،ص١١٤،وبركات ،أبو الفتوح، بونت بين المصادر المصرية واليمنية القديمة ، مجلة اليمن الجديد، العدد٢، السنة١٥،١٩٨٦م،ص٨٤، والعلي،نورة عبدالله، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في المدة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى

مـن الباحثـين مـن ينكـر ذلـك الاعتقـاد أن بعثة(سـاحورع Sahure) التـي جـاء ذكرهـا في النقـوش الفرعونيـة أن تكـون أولى البعثـات البحريـة، مـن مـصر إلى بنـت،وأن ماجلبتـه هـذه البعثـات مـن البخـور والطيـوب، وهـو كل مـا اسـتعمله المصريـون في معابدهـم في عهد(سـاحورع Sahure) إلى عهد(رمسـيس الثالث)،وبينهمـا حـوالي ألـف وخمسـمائة عام.وأشـهر هـذه البعثـات التـي كانـت بعثـة الملكة(حتشبسـوت) في منتصـف القـرن الخامـس عـشر قبـل الميـلاد، لـم تكـن سـفنها تزيـد عـلى خمـس سـفن، وبعـد مائتـين وخمسـين سـنة ،أرسل(رمسـيس الثالـث) مابـين عامـي١١٩٨-١١٦٧ ق.م سـفنا ربمـا لأتزيـد عـلى سـفن الملكـة حتشبسـوت[١]. فهـل كل ماجلبتـه سـفن حتشبسـوب مـن تجارة(بنـت) قـد اسـتغرق هـذه المـدة الطويلـة؟ ذلـك مـالا يعقـل .إذ لابـد أن تكـون هنـاك تجـارة منتظمـة بـين البلديـن طيلـة حقـب تاريـخ هذه التجارة.فالنقـوش،أو الكتابـات القديمـة، لاتتحـدث غالبـا، إلا عـن أعمـال الملـوك وكهنـة المعابـد[٢]. وعـلى اختـلاف المؤرخـين في العلاقـات والصـلات بـين اليمـن ودول السـاحل الغربـي إلا أن أغلبهـم أجمعـوا عـلى أن العلاقـات والصـلات امتـدت منـذ عهد(سـاحورع Sahure) ويظـل هـذا التفسـير مقبـولاً حتـى يظهـر ماينقضـه مـن النقـوش التاريخية المعتـبرة؛ لان تاريخنـا القديـم مـازال مغمـوراً تحـت الرمـال والبعـض الآخـر قـد نهـب وهـذا مـا أكدتـه الباحثـة الفرنسـية «د.كلـودي فايـان «المتخصصـة في أصول السـلالات البشريـة التـي زارت اليمـن في ينايـر ١٩٥١م قائلـه :(إن حلقـات مـن التاريـخ اليمنـي مازالـت غامضـة مغمـورة وأن الحفريـات غـير ممكنـة في الوقـت الحـاضر كمـا كانـت بـلاد الأشـوريين قبـل ديـو لافوي[٣]).ويرجـع ذلـك إلى أن إمـام اليمـن الشـمالي مغلـق علاقتـه بالعالـم ولا يسـمح للتنقيـب عـن الآثـار ويرتـاب في بعثـات البحـث عـن الآثـار الأجنبية،ويظـن أن مايشـغل بالهـا هـو شيء أكثـر حداثـة مـن معرفـة الإمبراطوريـات المطمـورة في الرمـال وهـي لهـذا ميـدان مفيـد جـداً للباحثـين في أصـول السـلالات البشريـة ومميزاتهـا)[٤].

وفي جنـوب اليمـن في عهـد الاسـتعمار البريطانـي يشـير المـؤرخ عبدالله محيرزقائلاً الـذي كان يشـغل محلقـاً ثقافيـاً في العاصمـة البريطانيـة ،لنـدن خـلال المـدة(١٩٦٨-١٩٧٤م) الـذي قـضى مـدد خدمتـه في جمـع واسـتعادة الأثـار والمخطوطـات المنهوبـة في متاحـف أوروبـا وأميريـكا وتركيـا ومكتباتهـا في جمـع الاثـار المنهوبـة وتصويرهـا

القرن الثالث الميلادي ،دار الشروق للنشروالتوزيع،الرياض،ط١،١٩٩٢م،ص٢٢.

(١))الجرو،أسـمهان سعيد،دراسـات في التاريـخ الحضـاري لليمـن القديـم،دار الكتـب الحديـث القاهـرة،ط١،٢٠٠٣م،ص٥٤.

(٢))شهاب،حسن صالح، لمحات من تاريخ الملاحة القديم، مرجع سابق،ص٥.

(٣)) شهاب ،حسن صالح،لمحات من تاريخ الملاحة، مرجع سابق،ص٧.

(٤))فايانا،كلـودي، كنـت طبيبـة في اليمـن، نقلـه إلى العربيـة محسـن أحمـد العيني،مكتبـة الجيـل الجديد،صنعـاء، ص٧.

بالميكروفيلم بمافيها من وثائق تخص اليمن ويستشهد قائلاً:(لحسن الحظ أن الإنكليز لم يتمكنوا من احتلال اليمن بكاملها، وإنما عدن وحدها، وكان هدفهم من إحتلال مناطق اخرى في الجنوب اليمني هو حماية عدن، فمايهمهم كان الميناء،وكانت المناطق الأخرى مأهولة بالقبائل، مما جعل الإنجليز عاجزين عن التنقيب فيها مثلما فعلوا في مناطق عربية أخرى،وكان كل ماهو موجود في المتاحف البريطانية لايشكل إلا نسبة ضئيلة مما لايزال تحت الأرض،زدْ على ذلك أن صعوبة الطبيعة الجبلية وتعذر التنقيب السريع والمنظم فيها جعل الإنكليز يضطرون إلى الحصول على الآثار بشرائها من بعض الباعة)[1]،ويشاطره الرأي في ذلك محمد عيسى صالحية في كتابه - تغريب التراث العربي-أن المستشرق السويدي» الكونت لندرجLand berg «[2] في أواخر القرن التاسع عشر طلب من السلطان صالح بن عبدالله العولقي سلطان سلطنة (نصاب)[3] أن يختار له شخصاً ذكياً يكون معه يقوم بجمع مايطلبه منه من أحجار منقوشة وآثار[4]، وكان رد السلطان مقصوراً على تزكية مرزق[5]،وصالح المدحجي[6].وهذا مايؤكد ان آثار اليمن قد نهبت وبعضها مازالت تحت الرمال لم تجد الباحثين المؤهلين للتنقيب والبحث ولم تجد دولة مركزية تحافظ عليها ولايشجع الوضع الآن ناهيك أن الوضع غير مستقر بسبب الحروب المستمرة.

ومهما يكن الأمر وللأمانة العلمية لولاء هؤلاء العلماء والمستشرقين الأوربيين

(١)) طوحل ، خالد عبدالله بحث منشور في مجلة اليمن بعنوان» مؤرخ عدن(محيرز) ودوره الريادي في إثراء الحياة العلمية والثقافية خلال المدة(١٩٣١-١٩٩١م) العدد السابع والثلاثون إبريل-سبتمبر٢٠١٦م،دار جامعة عدن،ص٧٣.

(٢)) للمزيد ينظر:بافقية، محمد عبدالقادر، المستشرقون وآثار اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمنية،صنعاء،ط١،١٩٨٨م،ج٢،ص٧٣-٧٤..صالحية،تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة(الحقبة اليمانية)دار الحداثة،بيروت،ط١،١٩٨٥م،ص٥ ومابعدها.

(٣))تقع نصاب في ملتقى وأدي عبدان وضراء في منطقة غنية بالآثار،بافقية،محمد عبدالقادر، المستشرقون وآثار اليمن،مرجع سابق ،ص٧٩.

(٤)) صالحية،محمد عيسى، تغريب التراث ،مرجع سابق،ص٤٠.

(٥))مرزق لقب شخص يدعى «أحمد علي» من بلاد العوالق العليا وكان من ضمن شبكة العملاء الذين يقومون ببيع ونقل التراث إلى عدن ومنها إلى أوروبا للكونت لندبرج ، صالحية، تغريب التراث، مرجع سابق،ص٣٩-٤٠،طوحل خالد عبدالله، العوالق وتكوينهم السياسي الحديث ١٩١٨-١٩٦٧م، «دراسة تاريخية سياسية،دار الوفاق للطباعة والنشر-الرياض،ط١،٢٠١٥م،ص٧٣.

(٦)) يتضح من خلال المراسلات إن(مرزق والمدحجي) كانا من أنشط العناصر في بلاد العوالق من بيع ونقل الاثار،إذْ كانوا بارعين في تحميل النقوش والحجارة الحميرية، إذْ تمكنا من طبع(٣٠٠)ورقة،ومن سرقة(٣٠٠)حجر حميري من القطع الصغير والكبير على ظهور الجمال إلى عدن ،وكان مجموعة الأحمال التي حملاها من منطقة العوالق(١٦)حمل جمل بالإضافة إلى أحمال أخرى من مناطق أخرى.للمزيد ينظر: طوحل، خالد عبدالله، العوالق، مرجع سابق،ص١٤٢.

لما عرفنا شيئاً عن حضارتنا اليمنية القديمة ،ولبقيت مدفونة مغمورة تحت الرمال.وعند الاطلاع وإنعام النظر على بعض المصادر التاريخية في تاريخ اليمن القديم مع دول الساحل الغربي الإفريقي للبحر الاحمر سنجد أن أقدم الموانئ اليمنية القديمة هي(١)ميناء عدن:[١] وقد ذكر في التوراة كميناء تنطلق منه التجارة العالمية إلى بلاد العبرانيين في القرن السادس قبل الميلاد[٢]،كما يتحدث عنه الكلاسيكيون من الكتاب بوصفه مركز تبادل السلع الإفريقية والهندية والمصرية وبلاد العرب إذ تنطلق السفن من ميناء عدن ذهابا وإيابا محملة بالبضائع المختلفة إلى تلك البلدان[٣]، وقد ذكر مؤرخ اليمن الهمداني أن عدن مدينة على الساحل الجنوبي وهي أقدم أسواق العرب آنذاك[٤] مما يوحي ذلك على شهرة هذا الميناء وحصانته من الناحية الطبيعية.وقد ظل ميناء عدن ميناءًا رئيسًّا لمملكة (أوسان)حيث تخرج منه إلى شرق إفريقيا[٥].(٢)ميناء «قَنَا cana»[٦]:لقد وردت تسمية ميناء قنا في سفر حزقيال[٧]،وهو الميناءالرئيس لمملكة البخور(حضرموت)،وربما كانت(قنا)حصن الغراب،الواقعة على خط10:14شمالاً و20:48شرقاً[٨]،والواقع على ساحل بحر العرب بالقرب من بئر علي حالياً محافظة شبوة،إذ يعود تاريخه إلى القرن السادس ق.م، وقد حظي هو الآخر بشهرة واسعة في النقوش التي تسجل انشطته الاقتصادية التي كانت يتسم بها هذا الميناء مع الموانىء في الساحل الغربي لحوض البحر الاحمر والموانئ

(١)) يعّد هذا الميناء من الموانئ المحصنة طبيعيا ،إذ تحيط به الجبال من ثلاث جهات، وأن التضاريس تشكل له حواجز دفاعية حامية له من العواصف والرياح الموسومية العاتية إلتي كان هبوبها يعرقل حركت سير السفن، مما يضمن رسو السفن داخله بسلام، ويحتوي هذا الميناء على المياه العذبة مما يجعله بالدرجة الأولى أهم موانىء اليمن، أبومخرمة، محمد عبدالله، تاريخ ثغر عدن،مكتبة مدبولي، القاهرة،ط،١٩٩١،٢م،ج١،ص١٥.،الجرو،أسمهان سعيد،دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم،دار الكتاب الحديث، القاهرة،ط،٢٠٠٣،١م ،ص٧٠.

(٢))-The Periplus Maris erythraeei,Text with lntroduction ,Tranlation,and commen tary By Lionel Casson,University Press,1989,p:32.

(٣))The periplus, op-cit,p:32-33

(٤))الهمداني،أبومحمد الحسن،صفقة جزيرة العرب،جامعة الملك سعود، الرياض،١٩٥٧م،ص٩٤.

(٥)) شهاب، حسن صالح،أضواء على تاريخ اليمن البحري،دار الفارابي ، بيروت ، ط ، ١٩٧٧ ، ١م ، ص ٢٤٢.

(٦)) باوزير، خالد سالم، موانيء ساحل حضرموت»دراسة إثنوأثرية»مكتبة دار المعرفة حضرموت،ط١٩٩٦،١م،ص٢٩.

(٧))سفر حزقيال،الإصحاح٢٧/الآية٢٤.

(٨))تاجر يوناني مجهول، الطواف حول البحر الإريثري»الملاحة والتجارة في المحيط الهندي بالقرن الأول للميلاد،ترجمة،أحمد إيبش،هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة،ط٢٠١٤،١م،ص١٥٩. شهاب، حسن صالح،أضواء على تاريخ اليمن، مرجع سابق،ص٢٥٠.

الأخرى[١]،ويعد هذا الميناء أحد الأسواق الرائجة في زمانه[٢]وكان لهذا الميناء علاقة تجارية مع الجهات البعيدة من موانئ الساحل الغربي لحوض البحر الأحمر مع ميناء باريجازا الهندي وموانئ ايران وعمان صحار أو مسقط[٣].

(٣)- جزيرة سقطرى: تقع في نهاية خليج عدن إلى الغرب من المحيط الهندي، وتشرف على القرن الإفريقي،وتعد أحد المراكز التجارية القديمة البحرية المهمة منذ عهود قديمة وكانت مأهولة بالسكان وكانت تابعة لحضرموت وقت ازدهارها وهي أكبر الجزراليمنية الموجودة في البحر العربي والبحر الأحمر[٤]،فقد ساعدها موقعها الاستراتيجي في إكسابها أهمية كبيرة، حيث إنها تقع في وسط الطرق البحرية ممايجعل السفن المبحرة من الساحل الغربي للبحر الأحمر تمر بها وتتوقف عندها للراحة والتزود بالمؤن والمتاجرة،وقد كان لها شأن حضاري عريق[٥] ذكرت جزيرة سقطرى في المصادر الكلاسيكية باسم أجاثاخيدس[٦]، وكانت تتميز بالصبر السقطري[٧]هي والمهرة والصومال موطنا للبخور[8]، ويربمؤلف كتاب-الطواف حول البحر الإريثري-أن الأحباش يعود أصلهم الى(الَمْهرة)[٩]وأن كلمة حبش مشتقة من لغة المهرة ولم يزل موظنهم

(١)للمزيد ينظر:شربل،كمال موريس،الموسوعة الجغرافية للوطن العربي،دار الجيل، بيروت، ط ١٩٩٣، ١م، ص ٣٢٦.

(٢)The periplus, op-cit,p:32-33.

(٣)حوراني،جورج فضلو،العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى،ترجمة، السيد يعقوب بكر،دار الأنجلو المصرية، القاهرة،ط١٩٥١،١م،ص٥٠٥١.

(٤)الجرو، أسمهان سعيد،دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم،مرجع سابق،ص٧٥.

(٥)الأنبالي،أحمد سعيد بن خميس، تاريخ جزيرة سقطرى،ب(ت،ط)ص١٥ ومابعدها

(٦)ناشر، هشام عبدالعزيز، التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير»غيرمنشورة»كلية الآداب،جامعة عدن-٢٠٠٣م،ص١٠٦.

(٧)الشمري،محمد حمزة جار الله،موانىء شبه جزيرة العرب وأثرها في النشاط التجاري البحري قبل الاسلام،بغداد ،ط٢٠٠٤،١م،ص١٤٣.

(٨) تاجر يوناني مجهول، الطواف حول البحر الإريثري، مرجع سابق، ص٨٤-٨٥

(٩) المهْرَة بلاد وقبيلة:مَهْرَة قبيلة تُنسب، كما يُجمع النسابة العرب الأوائل، إلى مَهْرَة بن حَيْدَان بن عمرو بن الحَافِ بن قضاعة بن مالك بن حِمْيَر،وهي من القبائل العربية القديمة التي ورد ذكرها في مؤلفات «الكلاسيكيين،والمَهرة مخلاف باليمن بينه وبين عمان نحو شهر وكذلك بينه وبين حضرموت،تمتد أراضيها على طول السواحل الموازية لبحر العرب ما بين حضرموت وعُمَان، كما تمتد في الداخل شمالاً لتشمل جزءاً من الربع الخالي، وهي تشكل اليوم محافظة تحمل الاسم نفسه، وكانت أكثر بلدان اليمن انعزالاً، ولازمها ذلك عبر زمن طويل، ولذلك فقد احتفظ أهلها بسمات مميزة ولغة خاصة بهم هي (اللغة المهرية) التي كانت في الأصل لهجة من لهجات عرب اليمن القديم،أما أقدم ذكر لقبيلة مَهْرَة فورد في أحد نقوش المِعسَال «في محافظة البيضاء» وهو النقش الذي تحدث عن ثورة قادها أحرار يهبئر في العام ٢٢٠م، ضد ملك حضرموت (العاذ يلط بن عم ذخر)، وشاركت فيها قبيلة المَهْرَة،كما ورد ذكر المَهْرَة في أحد نقوش العقلة «في شبوة» في حوالي ٢٤٠م، بمناسبة حضور

القديم في المهرة موطناً للبخور[١]،هذا يدل على أن أغلب سكان دول الساحل الغربي يعود أصولهم الى اليمن وقد شاركوا في الدعوة والفتوحات الاسلامية في شرق افريقيا ولاسيما مصر[٢] (٤)ميناء موزع (المخا): في البحر الأحمر[٣] بالقرب من العاصمة صنعاء وكانت تقصده المراكب القادمة من الهند وشرق افريقية[٤]،وكان له شهرة عالمية واسعة لاسيما في القرن الأول الميلادي،ممايدل على دوره الفعال في التجارة العابرة،ويُعَدَّ هذا الميناء محطة تجارية تقصده السفن من جهات عديدة مثل مصر والشرق الإفريقي ويصنف هذا الميناء من الأسواق التجارية الكبرى آنذاك[٥] وقد أشار صاحب كتاب –الطواف- أن العرب قد استعملوا سفنا خاصة بهم حيث يقول :(لقد كان العرب يستعملون سفنا خاصة بهم ، فأهالي المخا كانوا يرسلون سفنهم إلى السواحل الإفريقية)[٦]كما كانت تترد عليه المراكب العثمانية القادمة من السويس، كما قصدتها القوافل من الشام والحجاز[٧] .

وهكذا فقد اكتسبت موانئ اليمن القديم أهمية بحرية كبيرة بسبب موقعها الطبيعي الممتاز ف(عدن والحديدة وسقطرى) في مدخل البحر الأحمر الجنوبي[٨] و(قنا)على بحر العرب شرق عدن[٩]، وموانئ الساحل الغربي للبحر

كبير المَهْرَة احتفالات تتويج الملك (يدع إل بين بن ربشمس) من أحرار يهبئر في العقلة، وقد شكلت المَهْرَة أرضاً وإنساناً جزءاً من مملكة حضرموت القديمة، بل كانت منطقة المَهْرَة، وظفار مصدر البخور الذي اشتهرت به حضرموت. للمزيد ينظر: الخلاقي،علي صالح،قبائل عربية جنوبية في مصر»المهرة،حضرموت،يافع،في القرون الثلاثة الاولى للهجرة،دار الوفاق، عدن،ط١،٢٠٢٠م،ص١٥ ومابعدها.طوحل، خالد عبدالله،مصر واليمن١٩٣٤-١٩٦٧م دراسة تاريخية سياسية،مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر،مصر-القاهرة،ط١،٢٠٢٠م،ص٢٦،أبوسديره،السيد طه، القبائل اليمنية في مصر»منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الأموي،مكتبة الشعب بالفجالة-القاهرة،ط١،١٩٨٨م،ص٢٣.

(١) تاجر يوناني مجهول، الطواف حول البحر الإريثري،مرجع سابق،ص٨٤.

(٢) الخلاقي، على صالح، قبائل عربية جنوبية في مصر، مرجع سابق،ص٧ومابعدها

(٣)داؤد، محمد سعيد،العلاقات اليمنية الهندية في العصر الحديث،مجلة سبأ، العدد ١٣، يوليو ٢٠٣م، ص ١٦٨

(٤) داؤد، محمد سعيد،العلاقات اليمنية الهندية في العصر الحديث مرجع سابق،ص١٦٨-١٦٩.

(٥) الجرو،أسمهان سعيد،دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث،القاهرة،ط٢٠٠٣م،ص ٧٠.

(٦) Periplus ,op-cit,p:158 تاجر يوناني مجهول، الطواف حول البحر الإريثري، مرجع سابق، ص١٢٩

(٧) شهاب،حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، مرجع سابق،ص٢٣٩.

(٨)طوحل، خالد عبدالله،مصر واليمن١٩٣٤-١٩٦٧م،مرجع سابق،ص٣٧-٣٨.

(٩) جاءت كلمة(اليمن) في النصوص العربية-المسند- ووردت كلمة(يمنت)(يمنات) بوصفها منطقة صغيرة ذكرت في نص يعود إلى عهد الملك»شمريهرعش» في العام ٣٠٠م وذلك في تسمية المملكة، بعد حضرموت في الترتيب(سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ،على

الأحمر في الركن الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية[١] وكانت اليمن تتصل بإفريقيا عن طريق صحراء سيناء قبل أن يشق البحر الأحمر مجراه فيعزل آسيا عن إفريقيا كان القسم الغربي من جزيرة العرب جزءاً من الأراضي الإفريقية[٢].وهكذا فقد أصبحت موانئ اليمن تؤدي دوراً مهماً بوصفها مراكز أولية لتصدير اللبان ولتجمع البضائع من تلك البلدان، حيث يتم ترحليها من هناك بالقوافل شمالاً إلى مصر وسوريا وأرض مابين النهرين[٣]فكان والحال هكذا،أن يكون لها صلات بالعالم الخارجي ولاسيما بمصر ومرتفعات الحبشة الشمالية حضارة أكسوم وعرف طريق تجارتها بطرق البخور[٤] .

ولقد كانت محاولات الإبحار في البحر الأحمر تهدف فيما يبدو إلى اختصار الطريق التي بين مصر واليمن ولاسيما دول الساحل الغربي لجلب بضايعها المرغوبة،ومن هنا جاءت مشاريع ربط النيل بالبحر الاحمر[٥] وبحسب ما أشرنا -سابقاً- أن اليمنيين منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد قد تحكموا بالتجارة وبمسالكها البرية والبحرية وسيطروا على مراكزها التجارية ، وأصبحت ممالك اليمن القديم منذ تلك العصور نواة لدول تجارية واسعة ولم تقتصر تجارة سكانها على تصدير منتوجاتها فحسب ، بل أضافوا إليها ماكانوا يجلبون آو يصل إليهم من البضائع التجارية المستوردة من الشرق وانتشرت القرى اليمنية في مناطق واسعة من حوض البحر الاحمر ومناطق شمال شبه

جوادعلي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،ج٢، دار العلم للملايين بيروت-مكتبة النهضة بغداد،ص٥٣٠-٥٣١وبافقية،محمد عبدالقادر،تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت،ط١،١٩٧٣م،ص١٨٣، ينظر نقش(CIH541 /69) الإرياني ،مطهر، في تاريخ اليمن،نقوش مسندة، مركز الدراسات والبحوث اليمني -صنعاء،ط١،١٩٩٠م الأرقام من(٢٨-٣٢).للمزيد ينظر: إلى رأي جلاسر، نقلاً عن جواد علي:Glassr,Pund die sudarabiscohen Reiche, In Mitteillungen der Vorderastischen Gesellschft,1899.5.99

(١)طوحل، خالد،مصر واليمن مرجع سابق،ص٣٧.

(٢) الشماحي ،عبدالله بن عبد الوهاب المجاهد، اليمن الإنسان والحضارة ،دار الكلمة صنعاء ،ط٣،١٩٨٥م،ص ٢١،عاقل، نبيه، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، جامعة دمشق،ط١،١٩٨٠م ،ص١٥.

(٣)للمزيد ينظر: حبتور، ناصر صالح،وادي ميفعة،دراسة تاريخية لأحد المراكز الحضارية في اليمن القديم،رسالة ماجستير، أجيزت في كلية الآداب بغداد،١٩٩٧م»غيرمنشورة»ص٤٣ ومابعدها،وعبدالله ،يوسف محمد،طريق اللبان التجاري أوراق في تاريخ اليمن وأثاره»(بحوث ومقالات)،ج٢،دار الفكر -بيروت،ط٢،١٩٩٠م،ص٢٢٤.

(٤) شهاب ، حسن صالح، اضواء على تاريخ اليمن البحري،دار الفارابي-بيروت،ط١،١٩٧٧م،ص١٨،الجرو، أسمهان سعيد، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية(اليمن القديم) مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية-إربد الاردن،ط١،١٩٩٧م،ص ٥.

(٥) باوزير ،خالد سالم،مواني‌ء ساحل حضرموت، مرجع سابق،ص٨٨.

الجزيرة العربية (تيماء)والهضبة الإريترية(الحبشة)الذي كان لشجرة اللبان والمر والصبر أهمية كبرى في العالم القديم ، وقد كانت أهميتها ترتبط باستعمالتها الطقوسية ،إذْ استخدم المصريون القدماء اللبان والمر في طقوس الدفن والمناسبات الدينية والتحنيط وصناعة الادوية الذي كان يستعمل بكمية كبيرة[١] وذكرت تجارة سبأ في التوراة بالطيب والبخور والأحجار الكريمة والذهب.في سفر حزقيال(٥٨٦ق.م)يقول:»تجارة شبا(سبأ)ورعمه هم التجار.بأفخر أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك.حران وكنه وعدن تجار شبا وأشور وكلمد تجار» والإشارة إلى عدن وكنه، الميناءين الرئيسين للعربية الجنوبية في ذلك العهد تؤكد أن شبا هي سبأ اليمن لاسبا الشام كم يعتقد البعض من المؤرخين[٢].أما ملكة سبأ فقال عنها سفر الملوك:»وسمعت (ملكة سبأ -Se ba)[٣]بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمنحه بمسائل،فأتت إلى أورشيم بموكب عظيم جداً بجمال حاملة أطيابا وذهبا كثيراً جداً وحجارة كريمة. وأتت إلى سليمان وكلمته بكل ماكان بقلبها»[٤] ولم تصدق بخبر سليمان وملكته حتى جاءت وأبصرت عيناها وقدمت لسليمان» مائة وعشرين وزنة ذهب وأطيابا كثيرة جدا وحجار كريمة لم يأت بعد ذلك الطيب في الكثرة الذي اعطته ملكة سبأ للملك سليمان»[٥].ويشير القران الكريم إلى تلك الحادثة في سورة النمل[٦].ويشيرمؤلف كتاب(الطواف) إلى أن تاريخ منطقة الساحل الغربي لحوض البحر الأحمر ملتصق تماماً بتاريخ اليمن ، ومن المستحيل عند دراستنا لتاريخ عدن واليمن في الأزمنة الأولى أن نتجنب دراسة تاريخ اليمن إلى حد كبير، فقد

(١))الجرو ،إسمهان،دراسات ،مرجع سابق ص٥٣، العلي، نورة عبدالله، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية ،مرجع سابق ،ص٢٢.

(٢)) يشير المؤرخ السوداني ، محمد صالح ضرار الى علاقة مملكة سبأ وقصة النبي سليمان عليه السلام لما القى عليها الهدهد كتابة الكريم منذ الف سنة قبل الميلاد وأن المنيليك الامبراطوري « هايلا سلاسى بن الرأس تفري مكونن» هو من ذرية مملكة سبأ في بلاد العرب وليست في أفريقيا،ويؤكد أن إلى ان نهر عنبسة،أو عين سبأ، الذي ينبع من جبال اسمرا ويمر على كرن (سنهيت) ثم يلتقي بخور بركة حول أغردت اقتبس اسمه من سبأ التي هي شرق صنعاء اليمن ، كما اقتبس اسم «العقيق « السوداني من الميناء المحاذي له شرقاً بالجزيرة العربية ،وجزيرة بهدور Bahdour) وتسمى ايضاً جزيرة ابن عباس كما توجد شرقها باليمن مدينة قبوعباس ، ضرار، محمد صالح، تاريخ سواكن، مرجع سابق،ص٣٦، شهاب،حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، مرجع سابق،ص٥٧.

(٣)) للمزيد ينظر:فيلبي،هاري سانت،بنات سبأ رحلة في جنوب الجزيرة العربية، تعريب،سيف مختار الأمين،مراجعة فهد بن عبدالله السماري وآخرين،مكتبة العبيكان-الرياض،ط١،٢٠٠١م،ص١٤٣.

(٤)) شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري،مرجع سابق،ص٥٧.

(٥)) للمزيد ينظر: شهاب، اضواء على تاريخ اليمن البحري، مرجع سابق،ص٥٧-٥٨.

(٦)) سورة : النمل ،اية(٢٩)

كانت اليمن منذ ماضيها البعيد بما فيها دول الساحل الغربي وحدة سياسية واحدة)[١] وقد حكمت اليمن بين العام ١٥٠٠ق.م .إلى ظهور الإسلام ثلاث دول(المعينية ، والسبئية، والحميرية)[٢]ومما يؤكد على وجود علاقات تجارية وثيقة تضرب في أعماق التاريخ القديم بين دول الساحل الغربي واليمن وصول التجار اليمنيين إلى مصر هو ماتؤكده النقوش المعثور عليها وكتابات المسند نذكر منها : نقش (RES3427) الذي عثر علية منحوتاً على تابوت خشبي لتاجر معيني يدعى(زيد إل زيد) في سقارة بالقرب من الجيزة بمصر[٣] وهذا التاجر المعيني كان يمارس تجارة استيراد وتصدير في مصر، استيراد اللبان والمر لمعابد الآلهة في مصر ، وتصدير سلع مصرية إلى اليمن يذكر المؤرخون من اهمها (الكتان) ويعود تاريخه إلى القرن الثالث ق.م .وفي اليمن أظهرت النقيبات الأثرية على نقش مسندي :(RES3022)الذي عثر عليه محفوراً على حائط بسور مدينة براقش(بلاد مملكة معين)، وهو من أهم النقوش التي تتحدث عن العلاقة الخارجية مع مصر الفرعونية كان المعينيون يتاجرون معها[٤]، ونقش اخر عثر عليه في سور (معين) أسفل أحد أبراج السور، ويشير إلى تجارة المعيينين مع (ددان) العلا ومصر، ويعود تاريخية إلى القرن الخامس ق.م.[٥]، وبقدر ماكان اليمنيون حريصين على نقل بضائعهم التجارية عبر البحر الاحمر وتسويقها في المراكز التجارية بالساحل الغربي ولاسيما مصروقبائل السواحل الصومالية[٦] وقد اهتموا أيضاً بتدعيم علاقاتهم الاجتماعية بأفراد المجتمع المصري القديم، وهذا مايؤكده النقش المعيني(Main93 /M392A/9-11=GII290=4)إلى قيام ثمانية أشخاص من الشعب المعيني بالزواج من مصريات هنّ:(تخبت ،تبأ ،تحيو،أمة،شمس،بدر،أختمو)[٧]،وقد أثارت اليمن بحضارتها وخيراتها أطماع الدول الأخرى ففي العام ١٨ ق. م. تعرضت اليمن للغزو الروماني[٨]،إلا أن

(١)مؤلف مجهول، الطواف حول البحر الإريثري،مرجع سابق،ص٨٠ ومابعدها.

(٢) الشعبي، قحطان محمد،الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن(عدن والإمارات)،ص١٦.

(٣) سيد ، عبدالعليم عبدالحليم، الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر» في مصادر تاريخ الجزيرة العربية «،جامعة الرياض،ط١،١٩٨٥م،ج١،ص٤٦. بافقية، محمد عبدالقادر،من تاريخ الهجرة اليمنية القديمة، ندوة المعتربين،ب(ت،ط)ص١١.

(٤)الجرو ، اسمهان سعيد،طرق التجارة البرية والبحرية،ص٣٨،و بافقية،محمد عبدالقادر، مختارات اليمنية القديمة،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس،ط١،١٩٨٥م،ص ٢٩٠- ٢٩٣.

(٥)السعيد، سعيد بن فائز، العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة،مكتبة الملك فهد الوطنية،ط١،٢٠٠٣م،ص١٣٦

(٦) مؤلف مجهول، الطواف حول البحر الارثيري، مرجع سابق،ص٦٩.

(٧) السعيد،سعيد بن فائز،العلاقات في ضوء النقوش العربية القديمة،مرجع سابق،ص١٣٨.

(٨)Hunter, An account of the British Settements of Aden in Arabia p.16.

الرومان سرعان ما انسحبوا من اليمن لاشتداد المقاومة ضدهم[١]، ثم وقعت اليمن فريسة سهلة في أيدي الأحباش[٢]، الذي عاونهم الإمبراطور المسيحي جستان[٣]، إلا أن الاحتلال الحبشي لم يدم طويلا[٤]،إذ سرعان ماخلفهم الفرس هناك[٥].وعند ظهور الإسلام اعتنق أهل اليمن الدين الإسلامي وانتشر الإسلام في أنحاء اليمن ،وحل الدين الإسلامي محل الأديان التي كان أهل اليمن يدينون بها، فقد كانت الأغلبية منهم وثنية كغيرهم من العرب ودول الساحل الغربي، وكانت هناك أقليات تعتنق اليهودية أو النصرانية[٦]، واقبل زياد بن لبيد عاملًا على حضرموت من قبل النبي «صلى الله عليه وسلم» فأقام في تريم وتارة في شبام، وأمده النبي بمعاذ بن جبل يطوف بأرجاء البلاد يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين[٧]وهاجر الكثير من الحضارم الى المجتمعات الإفريقية والآسيوية ولاسيما شرق اسيا- الهند واندوسيا ماليزيا وجزر القمر ومالاي- ودول الساحل الغربي الصومال وجبوتي وكينيا وتنزانيا وزنجبار وغيرها من دول افريقيا لنشر الدين الاسلامي والدعوة لدين الله الواحد الأحد في تلك البلدان التي صاروا جزاء من نسيجها الاجتماعي والشعبي[٨].ويذكرمؤلف كتاب - تاريخ سواسكن- إلى ان سكان مدينة سواكن السودانية[٩]هم طائفة من البجة تسمى الخاسة ،وهم مسلمون ولهم بها ملك من قبيلة –بلي- (بلويب) التي هاجرت من اقصى الشحر وحضرموت إلى الحجاز ثم إلى سواحل شمال البحر

(١) Bunry ,G.wyman, Arabia Infelix or the Turks in Yemen p.p. 6-8

(٢) Hunterf Aden in Arabia p.161.

(٣) Bunry ,G.wyman. p.9

(٤) Hunter p.161.

(٥) Bunry ,G.wyman. p.10

(٦) مصيباح، محمد سالم،وآخر،العمارة الطينية» عندالمعماري عوض سليمان عفيف وأخوانه- مسجد المحضار»مكتبة تريم الحديثة،ط٢،٢٠١٩م،ص١٦-١٧.

(٧) باوزير ، مرجع سابق،ص٢٨. طوحل، خالد عبدالله،دور العلماء الحضارم العلمي والديني في مدينة عدن خلال المدة ١٩٣٠-١٩٩٠م، مجلة القلزم مركزالبحوث ودراسات دول حوض البحر الاحمر،السودان –الخرطوم العدد الاول- يناير-يونيو ٢٠٢٠م ،ص،للمزيد ينظر: الحديثي، نزار عبداللطيف،أهل اليمن في صدر الاسلام،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١،ص١٧ ومابعدها

(٨) الشعبي، قحطان محمد،الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية، مرجع سابق،ص١٦وعمشوش،مسعود، الحضارم في الارخبيل الهندي،دار جامعة عدن،ط١،٢٠١٧م،١٨ ومابعدها، إنغرامز،وليام هارولد،زنجبار تاريخها وشعبها،ترجمة.د.عدنان خالد عبدالله،إصدار هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة،دار الكتب الوطنية،ط١،٢٠١٢م،ص٣١.

(٩) تقع على الجانب الغربي من ساحل البحر الأحمر تبعد عن السويس ٧٢٠ميل، ومائتي ميل من جدة،و٢٨٥ميل من مصوع،وعلى بعد٣٤٩ ميل من عيذاب ،ومنها إلى بربر٢٤٧ميل، والى توكر٥٦ ميل ،والى كسلا عن طريق ٢٩٨ميل. ضرار، محمد صالح،تاريخ سواكن، مرجع سابق،ص٢٣-٢٥.

الأحمر ،ومدينة عيذات منذ انتشار الاسلام كانت الطريق على البقية الباقية من شهرت سواكن التي كان يقيم بها ملك البجة[١]، والجدير بالذكر انه عند ظهور الاسلام رأينا المسلمين يهاجرون إلى الحبشة عن طريق اليمن، ولما عادوا منها كانت عودتهم عن طريق اليمن أيضاً[٢].وفي العام ٩٣٢م كانت اليمن أولى الولايات التي نبذت ولاءها[٣] واستقلت عن حكم الخلفاء واتخذ حكامها لقب إمام، وكان أول من اتخذ هذا اللقب هو أسعد بن يعفور[٤] الذي بدأ حركة التمرد على الخلافة في بوعان ثم استولى على صنعاء ومعه أتباعة من الشيعة سنة٩٣٢م[٥]ومنذ ذلك التاريخ تنازعت اليمن عدة دويلات منها الزيادية وتمثل أهل السنة ووجهتها بغداد،والباطنية وكان مذهبها فاطمياً ووجهتها بعد تكوين الدولة الفاطمية كانت القاهرة،والدولة الزيدية وكانت هذه الدويلات تتنازع التوسع والقوة قرونا عديدة. ولكن مايهمنا في هذا السياق هي الدول التي حكمت اليمن في حوض البحر الاحمرمن الساحل الغربي هي الدولة الفاطمية و الأيوبية التي استولت الأخيرة على اليمن سنة١١٧٤م[٦]، وكانت عدن أهم المراكز التابعة لها،وأصبح معظم اليمن يتبع القاهرة[٧]، ثم تتابعت على حكم اليمن الدولة الرسولية ثم الطاهرية في ٣يوليو١٤٥٤م[٨]، ولكن في الوقت نفسه ظلت الدولة الزيدية قائمة في بعض مناطق اليمن ولاسيما صنعاء وصعدة وحجة في شمال اليمن تضعف أحياناً وتقوى أحياناً أُخرى[٩].

المحور الأول (اليمن ودول ساحل البحر الأحمر الغربي خلال المدة١٥٠٤-١٩١٧م):

١-١-التنافس البرتغالي العثماني على اليمن ودول الساحل الغربي:

في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، ظهرت البرتغال في المياه الاقليمية اليمنية الشهيرة في الشحر وعدن،وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن البرتغاليين كانوا سباقين في طرق أبواب عدن،إذ يذكر أنهم وصلوها سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م

(١) ضرار، محمد صالح، تاريخ سواكن، مرجع سابق،ص٣٦.

(٢)شهاب، حسن صالح، تاريخ اليمن البحري،مرجع سبق ذكره،ص١٣٥.

(٣)Playfair R.L. A history of Arabia Felix or Yemen, from the commenent of the Christtan ere to the present time:in-cluding an accout of the British settlement of Aden.p84.

(٤) Hunter p.161.

(٥) Bunry ,G.wyman. p.12

(٦) فرحان،عباس علوي حسين،عدن في عهد الطاهريين(١٤٥٤-١٥٣٨م) الجمهورية اليمنية ،دار الوفاق،عدن،ط١،٢٠١٦م ،ص٢٠٧.

(٧) طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، مرجع سابق،ص٣٠.

(٨)فرحان، عباس علوي، عدن في عهد الطاهريين،مرجع سابق،ص٦٩.

(٩)الشعبي، قحطان محمد، مرجع سابق،ص١٧.وللمزيد ينظر: فرحان،عباس علوي، عدن في عهد الطاهريين،مرجع سابق،ص٤٧.

بوصفهم تجاراً وجواسيس،واستمروا يترددون على المدينة وأسواقها وعلى ديوان حاكمها الأمير مرجان الظافري،دون أن يبدوا نياتهم الاستعمارية لهذه المدينة[١] ،وتشير المصادر التاريخية إلى أن فاسكودي جاما هاجم سبع سفن عربية على مدخل البحر الأحمر واستولى عليها وقتل بعض ركابها وأسر آخرين وذلك في يناير[٢]١٥٠٣م،وبعد نحو ست سنوات من احتلال البرتغاليين لجزيرة سقطرى التي تشكل أهمية بالغة لهم، كون الأرخبيل يشكل نقطة التقاء بين بحر العرب والمحيط الهندي، وستكون كذلك مطلة على مضيق باب المندب، وأدركوا أن عدن مع سقطرى تشكل بوابة البحر الأحمر ،وبالسيطرة عليهم يمكن شل الحركة التجارية في البحر الأحمر،واستناداً لهذه المعطيات التي حملتها تقارير البحرية البرتغالية إلى لشبونة،أصدر ملك البرتغال أوامره باحتلال مدينة عدن،فتحرك دلبوكيرك جوَا للسيطرة على عدن،وفي صبيحة يوم الجمعة ٢٥ مارس١٥١٣م وصلت إلى عدن ثمانية عشر مركباً راسية في صيرة[٣]،ولكن وجدوا مقاومة قوية من أهل المدينة وقاتلوا الغزاة حتى ألحقوا بهم الهزيمة المنكرة،وهرب البرتغاليون إلى جزيرة كمران[٤]ومن ثم أبحر البوكرك إلى البحر الأحمر فوصل أولاً إلى المخا بأمل الاتصال بالأحباش كي يتحد معهم ضد المسلمين إلا أنه أخفق في تحيقيق ذلك[٥] وفي العام ١٥١٥م وصلت الأنباء الى البرتغاليين بأن سلطان مصر يعد أسطولاً في السويس وبه يعد العدة بغرض تطهير البحر الأحمر من البرتغاليين والاستيلاء على عدن وبه كان قائد الأسطول هو الريس سليمان وعندما وصل الفاريز إلى عدن، كانت تحصيناتها قدتهدمت بفعل حملة الريس سليمان ولم يجد حاكم المدينة مفراً من تسليم مفاتيح المدينة للبرتغاليين، وبعد ذلك تقدم ألفاريز في البحر الاحمر بحثا عن الاسطول المصري دون جدوى، وعند عودته إلى عدن وجد أن حاكمها قد حصنها بالرجال ورفض تسليمها له[٦].وفي العام٩٢٢هـ١٥١٦م احتل الاسطول البرتغالي

(١)بامطرف،محمد عبدالقادر،الشهداء السبعة،دار الحرية للطباعة،مط الجمهورية، بغداد، ١٩٧٤م، ص ٥٠

(٢)بامخرمة،أبومحمد الطيب بن عبدالله بن أحمد(ت٩٤٧هـ١٥٤٠م) قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر،ج٣،تح: محمد يسلم عبدالنور،وزارة الثقافة والسياحة،صنعاء،ط٢٠٠٤م،ص٣٧٢٢، بافقيه،محمد بن عمر الطيب الشحري(ت١٦٠٢م)تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر،تح:عبدالله الحبشي،مكتبة الإرشاد صنعاء،ط١٩٩٩م،ص٥٩وسيد،مصطفى سالم،الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م،معهد البحوث والدراسات العربية،مط الجبلاوي،القاهرة،ط١٩٧٧م،ص٦٩.

(٣)بامخرمة، قلادة النحر،ج٣،ص٣٧٣٢،سيد،مصطفى، الفتح العثماني، مرجع سابق،ص٨٧

(٤) شهاب،حسن صالح،»عدن بين مدافع البرتغاليين ومماليك مصر»مجلة التراث،ع(٥)مركز الدراسات والبحوث اليمني،عدن،ابريل-يونيو١٩٩٢م،ص٤٠.

(٥) طه،جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، مرجع سابق،ص٢١.

(٦) Playfair R.L.p100.

ميناء سواكن أياماً ثم أقلع منها قاصداً من زيارته معرفة حالة الموانئ في حوض البحر الأحمر[١]،وفي العام ١٥١٧م وبعد أن نجح السلطان سليم الأول في القضاء على قوة المماليك في مصر،وضع خطة للاستيلاء على عدن لأهمية مينائها العظيم[٢]. وكان هدف السلطان العثماني من احتلال عدن اتخاذها قاعدة عسكرية للحملات التركية لمواجهة البرتغاليين وأطماعهم في البحر الأحمر[٣]. وفي العام١٥٣٢م هاجم البرتغاليون مدينة الشحر إذْ دارت معركة دامية في ساحة «القبان» قتل فيها مايقارب من ثمانين رجلاً من أهالي الشحر بينهم سبعة من الهنود[٤] وفي حومة الصراع البرتغالي التركي إلا أنه لم يتحقق هذا الطموح التركي إلا في عهد سليمان باشا في ٢٧يونيو١٥٣٨م عندما أبحر من السويس، وفي ٢٠ يوليو وصل إلى جزيرة كمران إذْ أرسل سليمان قوارب سريعة الى موانئ اليمن (عدن والمخا) وأصدر أوامر إلى حكام هذه الموانئ أن يديروا عبره موناً للأسطول وأن يدفعو الجزية للسلطان. وقد وصل الأسطول العثماني إلى عدن في ٣أغسطس سنة ١٥٨٣م وقد استدعى السلطان سليمان باشا، أمير عدن اليمني عامر بن داود الطاهري لزيارته على ظهر سفينته كي يقدم الولاء والطاعة للسلطان العثماني وبمجرد وصول الأمير إلى السفينة حتى قبض عليه وأمر بقتله ونصبت جثته على سارية السفينة[٥]،وبمجرد قتل أمير عدن استولوا على المدينة[٦]ثم عين سليمان باشا أحد ضباطه حاكما على عدن ومنذ ذلك التاريخ خضعت كل من الموانئ اليمنية المطلة على حوض البحر الأحمر للسلطان سليمان العظيم،كما توغلت قواته إلى داخل الاراضي اليمنية وأصبحت صنعاء مركزاً لوالي اليمن[٧].

٢-١-التنافس البريطاني الفرنسي في اليمن على دول الساحل الغربي:

لقد كان هناك تطلع بريطاني الى إليمن ودول حوض البحر الاحمر في العام١٦٠٠م عندما منحت الملكة إليزبيت الأولى امتيازاً لشركة الهند الشرقية البريطانية يسمح لها بإقامة مشروعات تجارية في عدن والبحر الأحمر[٨]،كما

(١) * ضرار، محمد صالح، تاريخ سواكن، مرجع سابق،ص٤٢.

(٢) Hunter p.163

(٣) الهمداني،أبومحمد بن أحمد يعقوب، صفة جزيرة العرب-القاهرة مطبعة السعادة،ط١٩٥٣،١م،ص ٥١.

(٤)بامطرف، محمد عبدالقادر، الشهداء السبعة،بغداد،ط١٩٧٤،١م،ص٧٣.

(٥)الجرافي، عبدالله عبدالكريم، المقتطف من تاريخ اليمن، القاهرة-مطبعة عيسى الحلبيط،ط١٩٥١،١م،ص٨٨،وشهاب، صالح، التاريخ البحري لليمن، مرجع سابق،ص٢٠

(٦) Hunter p.163

(٧) Playfair R.L.p103.

(٨)سيد نوفل،الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة- دار المعارف،القاهرة،ط١٩٦٠،١م،ص٤٩.و ربينز،نك،كيف بنت الشركة الهند الشرقية الإمبراطورية

أنشأ الفرنسيون شركة الهند الشرقية الفرنسية عام ١٦٦٤م إذْ أصبحت هذه الشركات الاستعمارية تتصارع فيما بينها للاستحواذ على التجارة العالمية وفرض هيمنتها على البحار وفي مقدمتها حوض البحر الأحمر والمحيط الهندي وبحر العرب[١]،وبقيام هذه الشركات الاستعمارية سيطرت الدول الأوربية على التجارة العالمية بما فيها التجارة بين اليمن ودول الساحل الغربي وظل اليمنيون ينافسون هذه الشركات في التجارة ولاسيما تجارة البن اليمني الذي تمت معرفته في اليمن في العام١٥٤٠م[٢]الذي خفت تجارته من حدة الضربة الاقتصادية الشديدة التي تعرضت لها اليمن أثر تحويل طريق التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح[٣].وبعد أن دعم البريطانيون مراكزهم الاقتصادية والسياسية-العسكرية في الهند بإقامة قاعدة بحرية وعسكرية لهم فيها أخذوا يرنون بأنظارهم إلى المنطقة اليمنية لإقامة مشاريع اقتصادية معها بحسب الامتياز الممنوح لشركة الهند الشرقية البريطانية عندتاسيسها،وبعد محاولات وجهود مضنية تمكنت هذه الشركة من إقامة وكالة تجارية لها في المخا في العام ١٩١٨م بموافقة الأتراك العثمانيين المحتلين للمنطقة اليمنية في تلك المدة،وكانت ولاية بومبي الهندية تتولى منذ عام ١٦٠٠م»مهمة رعاية مصالح الشركة بل ومصالح الإمبراطورية البريطانية في أجزاء مهمة من العالم[٤]،ويخفق الفرنسيون في إقامة مكاتب لهم في اليمن في العام ١٧٠٩م[٥]،ثم مغادرة الهولنديين لليمن في العام ١٧٦٢م بعد أن فقدوا الأمل في الاستمرار وكالاتهم التجارية فيه،وانفسح المجال أمام البريطانيين للاشتغال بتصدير البن والتجارة اليمنية إلى بلدان أوروبا[٦].ولم يفكر البريطانيون في احتلال المنطقة اليمنية إلا عندما تجدد الصراع الأنجلو- فرنسي في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، فمن أجل الانتقام من بريطانيا وقطع خطوط مواصلاتها البحرية مع مستعمراتها في الشرق وعلى رأسها الهند»درة التاج البريطاني» وإثارة المتاعب لها عن طريق تأييد ثورة»تيبو» المناهضة للوجود البريطاني في الهند، قاد نابليون بونابرت في العام ١٧٩٨م الحملة الفرنسية العسكرية على مصروالشام مهدداً بذلك

البريطانية وقدمت المؤسسة العابرة للقارات،ترجمة،كمال المصري،مكتبة الشروق الدولية القاهرة،ط١،٢٠٠٩م،ص١٠

(١)داؤد، محمد سعيد، العلاقات الهندية اليمنية، مرجع سابق،ص١٧٤.

(٢)شرف الدين،أحمدحسين،اليمن عبر التاريخ،مصر،ط١،١٩٨٤م،ص١٤٩-١٥٠.

(٣)أباظه،فاروق عثمان،عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر،١٨٣٩-١٩١٨م،مصر،ط١،١٩٧٦م،ص ٦٠.

(٤)عكاشة، محمد عبدالكريم،قيام الدولة القعيطية والتغلغل البريطاني في حضرموت ١٩٣٩-١٩١٨م،الأردن،ط١،١٩٨٥م،ص١٠٣.

(٥)الميثاق الوطني للجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل، القاهرة،ب(ت،ط)ص٨.

(٦) اباطه،فاروق عثمان، السياسية البريطانية في البحر الأحمر، مرجع سابق،ص٦١.

المصالح البريطانية في الشرق[١].ونتيجة لذلك فقد أثارت الحملة الذعر الشديد في بريطانيا ونبهتها إلى الأهمية الاستراتيجية والعسكرية الكبيرة للمنطقة اليمنية في حماية المصالح البريطانية، لذلك لصد الخطر الفرنسي قامت بريطانيا في ٣مايو في العام ١٧٩٩م إلى احتلال جزيرة ميون (بريم) الواقعة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمرلمدة أربعة شهور فقط واضطرت بعدها إلى الجلاء عنها تحت ضغوط قسوة الحياة فيها[٢].

ومن خلال هذه الحوادث يتضح أن المسيطر على اليمن أو مصر كان يتحتم عليه إذا أراد تامين وجوده ومصالحه في حوض البحر الأحمر أن يوطد أقدامه ويثبت وجوده في المنطقة اليمنية.ومن هذا المنطلق تعرضت هذه المنطقة عبر التاريخ لهجمات واعتداءات القوى التي سيطرت على مصر:منهم الرومان والفاطميين والايوبيين والمماليك والعثمانيين والفرنسيين في مصر، والبرتغاليين والهولنديين،والبريطانيين في جنوب اليمن،فعندما هاجم نابليون بونابرت مصر عام ١٧٨٩م وحاول الوصول إلى اليمن سارع البريطانيون بالاستيلاء على جزيرة بريم ولم يهدأ لهم بال إلا بعد جلاء الفرنسيين عن مصر في العام ١٨٠١م واحتلال عدن في ١٨٣٩م، ومصر في العام١٨٨٢م.

وهكذا شهدت دول حوض البحر الأحمر في الساحل الغربي في أعقاب الاحتلال البريطاني لعدن ومصر تطورات سياسية وعسكرية تمثل ذلك بسعي كل من فرنسا وإيطاليا لشراء مراكز استراتيجية توازي القوة البريطانية في منطقة حوض البحر الأحمر ولاسيما بعد شق قناة السويس الذي تَمّ افتتاحها في ١٧ نوفمبرمن العام١٨٦٩م للملاحة الدولية[٣]،ففي الوقت الذي أظهرت فيه سلطات الاحتلال البريطاني رغبتها في عدم التدخل في السودان سمحت لضباط انجليز بالعمل في السودان وكان الجنرال»هيكسHisks» و»غردونGordon» بين عامي (١٨٨٣-١٨٨٥م) الذي قاد الضباط حملات على السودان واللذين استفاد المهديون من وجودهم على رأس القوات المصرية في إثارة الروح الوطنية والدينية

(١)طه،جاد،سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، الفكر العربي -القاهرة١٩٦٩م،ص٣٧.

(٢)طه ،جاد،سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ،مرجع سابق ،ص٣٨.

(٣)إن اهتمام فرنسا بمشروع شق قناة السويس يرجع إلى ماقبل الحملة الفرنسية بزمن طويل أرجعه بعض المؤرخين إلى زمن لويس الرابع عشر ملك فرنسا الذي كان للفرنسيين موانئ مهمة جدا تطل على البحر الأبيض المتوسط مثل مارسيلينا وطولون ولها خطوط ملاحة بحرية مستمرة مع الدول المطلة على حوض البحر الأحمر ، ولكن مرحلة التنفيذ الفعلي لشق قناة السويس قد كان له الأثر الكبير في التنافس الفرنسي البريطاني .للمزيد ينظر:بونداز ريفسكي، سياستان إزاء العالم العربي، مرجع سابق،ص٣٣-٣٤.

والشناوي، عبدالعزيز محمد،قناة السويس والتيارات السياسية التي أحاطت بإنشائها،ج١،ط١،١٩٧١م ص١٧.

عند السودانيين[١]،وبعد سقوط الخرطوم في يد المهدي وظهور نيات الدول الاوربية وأطماعها في اقتطاع أجزاء من السودان وملحقاته اتخذت انجلترا سياسة متناقضة، فيما كان الإنجليز يحاولون رد عدوان بعض الدول الأوربية التي تطمع في اقتطاع أجزاء من جنوبي السودان زاعمة أن تلك الأصقاع لم تكن ملكا لأحد(Res Nullius)أو ارض فضاء يستطيع أن يستحوذ عليها من يشاء التي كانت تابعة للسيادة المصرية وكان الانجليز يسعون لتقسيم الممتلكات المصرية في عقد اتفاقيات على طول الساحل الصومالي[٢]، وعندما تم استرجاع السودان بقوات مصرية بريطانية مشتركة بقيادة الجنرال(كتشنر) رفع العلم البريطاني إلى جانب العلم المصري،رغم أن الضباط المصريين استاءوا جداً من رفع العلم البريطاني على سراي الحكومة بالخرطوم واحتجوا على ذلك[٣]، ثم لم تلبث الحكومة البريطانية أن أبلغت الحكومة المصرية أن لبريطانيا حقَّ الاشتراك في حكم السودان بما ضحت فيه من المال والرجال[٤]،وكان على المهدية-بعد وفاة المهدي لاسيما مواجهة الأطماع الاستعمارية فدارت المعارك بين الدراويش-المهديين- والأحباش والإيطاليين وهي معارك غير حاسمة في الوقت الذي ظهرت فيه أطماع (ليوبولد)ملك بليجيكا وصاحب دولة الكنغو في بحر الغزال،وفرنسا في أعالي النيل.وقد عبرَّ الرئيس الفرنسي»كارنو» لوزير المستعمرات الفرنسي وذكر له: أنني سأكون مسروراً لإثارة المسألة المصرية،فالسودان المصري إنما هو أرض خلاء،وأن فرنسا في حاجة إلى منفذ على النيل لأملاكها في «أوبانجى»واطلعهم على تقرير حول التقدم نحو فاشودة التي تقرب من روافد السوباط والنيل،وبواسطة هذا الموقع فإن في استطاعة فرنسا أن تعوق البلجيكيين،وفي الوقت نفسه تخفيف البريطانيين خارج مصر بالتهديد بقطع مياه النيل عن مصر[٥]ففي فاشودة حدث صدام بين القوات الفرنسية التي سبقت واحتلت البلده في ١٠يوليو١٨٩٨م ورفعت العلم الفرنسي عليها،والقوات المصرية بقيادة كتشنر البريطاني إلتي وصلت الى البلدة في ٢١سبتمبر بعد استرجاع الخرطوم،ولم تتراجع فرنسا التي أمرت قواتها بالانسحاب لمصلحة بريطانيا وعدَّت حادثة فاشودة أنه كان أحد مظاهر المنافسة الشديدة وقتئذ بين بريطانيا وفرنسا على الاستعمار في دول حوض البحر الأحمر والساحل الغربي على حساب حكومة المهديين وتمكنت الدولتان من توقيع اتفاق مارس

(١)ميخائيل ،سعد،السودان بين عهدين «اتفاقية ١٨٩٩-ومعاهدة١٩٣٦م،المطبعة الخيرية ومكتبتها بميدان بالاس بالمنيا،ب(ت)ص٨٥،و الشيخ،رأفت، تاريخ العرب المعاصر، مرجع سابق،ص٨٥،ونعوم،شقيرة، تاريخ وجغرافية السودان،بيروت،ط١،١٩٧م،ص٢٢٠

(٢) ميخائيل ،سعد،السودان بين عهدين «اتفاقية ١٨٩٩-ومعاهدة١٩٣٦م، مرجع سابق،ص٤٢.

(٣)الشيخ، رافت، مرجع سابق،ص٨٦

(٤)المرجع نفسه،ص٨٦.

(٥)الشيخ،رأفت،تاريخ العرب، مرجع سابق،ص٨٦.

في العام١٨٩٩م[١]، وهي كذلك مظهر للنزاع الفرنسي البريطاني حوَّلت المسألة المصرية،مسالة الاحتلال الإنجليزي[٢]،فإذا انمعنا النظر لتاريخ مصر والسودان فإن القطرين تعرضا طوال تاريخهم الحديث والمعاصر لعوامل واحدة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، فاذا أخذنا الثورة العرابية في مصربوصفها مثلاً على مقاومة الشعب المصري ضد التدخل الأجنبي الأوربي فإن الثورة المهدية في السودان كانت تعبيرا عن رفض السودانيين لمساوىء الحكم وأدواته الأجنبية الأوربية،أي أن الشعبين المصري والسوداني تعرضا لعوامل التدخل الأوربي بما يحقق مصالح المستعمرين ويحرم الشعبين من حققوهم المشروعة. لذلك لانعجب أن يتطلع أهل شمال الوادي في مصر إلى زعيم ينقذهم مما هم فيه فوجدوه في صورة زعيم عسكري هو أحمدعرابي ويطلع أهل جنوب الوادي السودان إلى زعيم يخلصهم من المساوئ التي يتعرضون لها فوجدوه في صورة زعيم ديني هو محمد أحمد بن عبدالله المهدي .

وبخصوص السودان فقد فرضت على شطري وادي النيل مصر والسودان ماعرف باتفاقية الحكم الثنائي التي قلبت اسم السودان إلى السودان المصري البريطاني، بخضوعه لنظام في الحكم ليس له سوابق في تاريخ الفكر السياسي، وقد ظلت السودان خاضعاً لهذا النظام منذ١٨٩٩م وكان للبريطانيين السلطة العليا في تدبير أمور ذلك القطرإذْ تولى الحاكم البريطاني السيطرة المطلقة دون مصر.

٣-١-التنافس المصري الايطالي على دول الساحل الغربي من حوض البحر الأحمر:

لقد واجهت بريطانيا منافسين آخرين غير الفرنسيين في حوض البحر الأحمر الغربي هما المصريون والايطاليون،وقاومت بكل جهدها حتى لايتمكن المصريون من ترسيخ أقدامهم في الحبشة أو الصومال واليمن والحجاز وبعد احتلال بريطانيا لعدن في العام ١٨٣٩م كانت ضربة لمحمد علي قوية لإرغامه على الانسحاب من اليمن والحجاز وذلك بعد أن اعتراف تركيا بالشريف حسين حاكما على اليمن لكي تضمن سيادتها على اليمن وبسط نفوذها الفعلي بعد ان تمرد عليها[٣]،وبتكالب دول الغرب سلم محمد علي باشا كل ماسيطر عليه في اليمن إلى الشريف حسين بن علي وسحب قواته بناء على ضغط الحكومة التركية في سبيل الحد من مطامعه التوسعية في اليمن وشبه الجزيرة العربية وبناء على قرارات مؤتمر لندن في العام ١٨٤٠م والقاضيين بوجوب سحب قواته

(١)الحفناوي،مصطفى،قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة ،القاهرة،ط١،١٩٥٧م ج٢،ص١٦٦-١٦٧.

(٢)الشيخ،رأفت، تاريخ العرب المعاصر، مرجع سابق،ص٨٧

(٣) اباظة،عثمان، عدن السياسة البريطانية في البحر الأحمر،مرجع سابق،ص١١٣.

من الجزيرة العربية وانهارت إمبراطورية محمد علي باشا لتبقى قاصره في مصر والسودان فقط[١].

ونافست إيطاليا بريطانيا في مناطق الساحل الغربي لدول حوض البحر الأحمر بمحاولتها للسيطرة على إقليم عصب،إذْ كتب»لورد سالسبوري»وزير الخارجية البريطانية في شهر يناير في العام ١٨٧٩م الذي أورده المؤرخ المصري جاد طه في كتابه – عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر-إذْ قال:»لوكان هذا التوسع تجارياً بحتاً لنظرنا إليه بعين العطف.ولكننا نريد أن نتأكد أنه توسع بعيداً من كل غرض سياسي ؛ لأن البحر الأحمر بمثابة الوتر الحساس لنا»[٢]، غير أن التشدد البريطاني أمام الأيطال مالبث أن تغير إلى تساهل وتفاوض ؛لأن الخطر الأكثر أهمية كان قد ظهر،ذلك هو بمحاولة الفرنسيين وجهودهم المستمرة والمتزايدة انذاك لتقويض النفوذ البريطاني في مصر، ومحاولتهم الوصول إلى قلب القارة السمراء وبسط سيطرتهم على حوض النيل الأعلى.لذلك فقد رأت السياسة البريطانية مصانعة الإيطاليين في سياستهم على الساحل الغربي لحوض البحر الأحمر ليكونوا بمثابة حراس مؤقتين لتلك المناطق حتى لاتقع في أيدي الفرنسيين، وبعد أن يتمكنوا من أنها مواجهتهم للفرنسيين في مصر وأعالي النيل يمكنهم بسهولة إنها عمل الحارس الإيطالي وبسط نفوذهم على دول ساحل البحر الاحمر الغربي[٣].وخلاصة القول: إن النشاط الفرنسي المنافس والمقلق للوجود البريطاني في عدن والبحر الأحمر كان قد تكرز بالتحديد على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر،وكان يرمي أولاً واخيراً إلى مضايقة البريطانيين في وجودهم على الساحل الغربي للبحر الأحمر وهو موضوع دراستنا هذه ولما يمثله من أهمية استراتيجية مهمة في حوض البحر الأحمر.

٢-٢- ١ الصومال الكبير: تقع بلاد الصومال في شرق إفريقية وهي تحتل مساحة لابأس بها من منطقة القرن الافريقي الذي يقع في منتصف المسافة بين خط الاستواء ومدار السرطان والتي تضم هضبة ارتريا والهضبة الحبشية وكذا أراضي الصومال[٤]،إذْ كانت ولاتزال محط أنظار الدول الأوربية مثل البرتغال وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا، ان أول نفوذ بريطاني لمنطقة الصومال منذ العام ١٨٢٧م عندما أرسل مبعوث بريطاني إلى قبيلة حبر أول للتفاهم على التعويض اللازم بعد أن نهب أفراد هذه القبيلة سفينة بريطانية في بربرة،ودخل

(١)طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن، مرجع سابق،ص٣٠.فاسيلييف،تاريخ العربية السعودية، مرجع سابق،ص٢٠٧.

(٢)أباظة،فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية ،مرجع سابق،ص٤٧١.

(٣)الجمل، شوقي عطا الله ، سياسة مصرفي البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر،القاهرة ط١،١٩٧٤م،ص١٧٧.

(٤) صوار،أحمد، الصومال الكبير،كتب سياسية مجموعة عربية ١٢١،ب(ت.د.)ص٣.

كبار رجال هذه القبيلة في اتفاقية للسلام في فبراير من ذلك العام[١] ،وبمقتضى هذه الاتفاقية وافق شيوخ حبرأول على عدم القيام بنهب السفن التي ترفع العلم البريطاني ،وأن يقدمون لها الحماية اللازمة ،وبعد سقوط عدن سنة ١٨٣٩م بدأت تتبلور السياسة البريطانية التوسعية على سواحل البحر الأحمروالجزر المتناثرة على مياهه وتم الاستيلاء على موقع حاكم في مونىء تاجوره وزيلغ على الساحل المقابل ،وفي ١٩أغسطس سنة١٨٤٠م تقدم الكابتن»مورسبىMoresby»إلى تاجوره وعقد معاهدة للصداقة والتجارة-بصفة ممثلاً لشركة الهند الشرقية-مع السلطان محمد بن محمود حاكم تاجوره الذي وافق بمقتضى هذه المعاهدة على أن ينقل الحاصلات الزراعية من الاقاليم الداخلية في إيفات والحبشة إلى الساحل، وفي مقابل ذلك تعهدت سلطات عدن بتشجيع التجارة الداخلية في تاجوره[٢] وتبع ذلك إرسال البعثات التبشيرية وفتح المدارس الدينية على حساب اللغة العربية[٣]،وأدركت بريطانيا ما للمواقع المهمة والحساسة في الصومال واتجهت بقوة عسكرية بشكل رسمي عندما قضت على حملة» الجنرال هيكسرباث» القائد العسكري الموجود في منطقة كردفان وكانت ترمي في خطتها هذه على عاملين ،هما: الأول: محاولة مد نفوذها إلى منطقة بربره والسيطرة على مواردها،ومنطقة انطلاق الى المناطق الأخرى .وثانيا: القيام بتفكيك مصر وتوزيع مناطقها والحصول على النصيب الأكبر ومنْ ثمَّ تستطيع أن تسيطر على الصومال بسهولة ويسر حيث إن تمزيق مصر وتقسيمها يعني القضاء على العقبات تقف أمام ضم الصومال إليها. وكانت هذه الحملة وبحسب ماذكره المؤرخ راشد البراوي في كتابه- الصومال الكبير- من تدبير الشركات البريطانية وبتوجيه المقيم البريطاني في عدن»هنز..»الذي كان يرى أن الصومال لاتقل أهمية عن مناطق الساحل الغربي لحوض البحر الأحمر معتمداً على زياراته المتكررة للصومال وإرسال التقارير السرية لحكومته[٤]،وكالعادة السياسة البريطانية وعبر الشركات التجارية وزعماء وشيوخ القبائل للمناطق استطاعت بريطانيا من عقد سلسلة من الإتفاقيات من أجل السيطرة على الصومال ومن أهم تلك الاتفاقيات: اولها :الاتفاقية البريطانية المصرية ولاسيما عندما وجدت أن لحكومة مصر تاثيراً في دخولها في الصومال إذْ أرسلت عدة رسائل للخديوي إسماعيل-حاكم مصر-

(١)طه،جاد،سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، مرجع سابق،ص٢٢٠

(٢)طه،جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن،مرجع سابق،ص٢٢٠-٢٢١

(٣)شلبي، عبدالجليل، الإرساليات التبشيرية نشأة التبشير وأشهر مدارسه ،ب(ت،ط)منشأة المعارف،مصر –الإسكندرية،ب(ت،ط)ص٢٢١ ومابعدها، و يحيى،جلال, التنافس الدولي الصومالي،دار المعرفة- القاهرة،ط١٩٥٩،١م،ص١٥٦.،صوار،أحمد، الصومال الكبير، مرجع سابق،ص٢٥ ومابعدها

(٤) البراوي، راشد، الصومال الكبير مكتبة الانجلو المصرية،ط١٩٦١،١،ص٣٢.

تحثه على التعاون في تسهيل مهمة الشركات التجارية. وبعد ذلك عقد معه اتفاقية في ٧/٢/١٨٧٧م تضمنت هذه الاتفاقية على ثلاث نقاط ,هي: الاعتراف بسلطة مصر على سواحل إفريقيا حتى رأس خافوت،عدم تنازل مصر لأية دولة أجنبية إلا باستشارة بريطانيا.،وموافقة مصر على عدم السماح لأي احتكار في المنطقة عدا الشركات التجارية البريطانية. وبهذه الاتفاقية مع حاكم مصر ضمنت بريطانيا مناطق جديدة لها على طول الساحل الغربي لحوض البحر الأحمر لاسيما عدن والصومال من جراء تنازل مصر عنها الأمر الذي دفع بريطانيا إلى اتخاذ سياسة جديدة مثل إرسال الكثير من الوكلاء البريطانيين إلى المدن المهمة في مصر وتكليفهم بنشاط إيجاد مواقع قدم في مدن الصومال صواب تبقى[١].وفي العام ١٨٨٤م أدركت فرنسا أن الاتفاقية البريطانية المصرية تضر بمصالحها وأن بريطانيا تستحوذ على الكثيرمن الأراضي الصومالية التي كانت ترى فرنسا من حصتها بالصومال هذا الأمر دفعها للاتصال بالشيوخ المحليين في الصومال لعقد اتفاقيات هذه صواب تبقى معهم وكان منهم الشيخ أبوبكر أحد رؤساء القبائل المحلية والذي وافق على عقد اتفاقية معه كان من بنودها:(أ)- أن يوافق على بيع مدينة زيلغ والمناطق التي تحت أمرته لفرنسا. (ب) يعمل لكسب القبائل الأخرى لصالح فرنسا.(جـ)تخصص الحكومة الفرنسية رواتب شهرية له ولأولاده(د) يتعهد بموجب هذه الاتفاقية بعدم عقد أي اتفاق مع أية دولة أجنبية أخرى إلا بموافقة فرنسا[٢]،ولم تكتف فرنسا بهذا الاتفاق بل ذهبت إلى عقد اتفاقية أُخْرى مع شيخ قبيلة(قبسة خداب) في إقليم تاجورة[٣]،إذْ سهل للفرنسيين من السيطرة الكاملة على منطقة تاجورة، هذا الأمر دفع بالقنصلية البريطانية في عدن الطلب من الحكومة البريطانية إلى ضرورة عقد اتفاق مع فرنسا على وجه السرعة تتعلق بمناطق النفوذ في الصومال وبالفعل عقدت بريطانية اتفاقية مع فرنسا في العام ١٨٨٥م والتي نصت على الاتي:(١)تقسيم السواحل من باب المندب إلى رأس خافون على قسمين.(أ) تكون صحة فرنسا من باب المندب إلى زيلع.(ب) تكون حصة بريطانيا من الشرق إلى زيلع رأس خافوت[٤].وفي العام١٨٨٦م وصل الإيطاليون إلى ساحل جنوب الصومال وأبرموا اتفاقيات مع شيوخها هذه الاتفاقيات مكنت الإيطاليين من السيطرة على (بنادر) في العام ١٨٨٩م ومدينة (كمسايو) في العام

(١) للمزيد ينظر:البراوي،راشد، الصومال الكبير، مرجع سابق،ص٣٢.مجلة الخليج العربي، العدد٤٦ ،للعام١٩٨٠م،ص٢٢ ومابعدها.

(٢) يحي ، جلال ، التنافس الدولي الصومالي، مرجع سابق ،ص ١٨١، وحافظ، صلاح الدين، الصراع والقوى العظمى في القرن الإفريقي الكويت،ط١٩٨٢،١م،ص٦٣.

(٣) مجلة القبس العربي، العدد٣١١،بتاريخ ١يناير١٩٨١م،ص١٤.

(٤) المرجع نفسه،ص١٥.

١٨٩٠م[١].هـذه الاتفاقيـة دفعـت بريطانيـا بـضرورة الاتفـاق مـع إيطاليـا حـول الحصـول عـلى مواقفهـا قبـل إجـراء اتفاقيـات مـع الشـيوخ المحليـين بقـول المقيـم البريطانـي في عدن(رغـم التنبيـه لمسـؤولي إيطاليـا هنـا في عـدن عـن أن ماجـرى في الصومـال يـضر بمصالـح الطرفـين والعلاقـات بيننـا إلا أن إيطاليـا ذهبـت وعقـدت بعـض الاتفاقيـات وحـذرت بأنهـا تحتفـظ بمناطـق تحـت سـيطرتها مقابـل ذلـك طلبـت عقـد اتفاقيـة يحفـظ لهـا سـاحل (بشـادر) وتعطـي بريطانيـا مناطـق أخـرى.وكان الأمبراطـور الاثيوبـي (منليـك) يطمـح في السـيطرة عـلى زيلـغ وعـدن واسـتعمل العامـل الدينـي ومشـاعر العنصريـة الدينيـة ليكسـب تأييـد الـدول الأوربيـة وعطفهـا فوجـد دعمـا سياسـياً ومادياً مـن بريطانيـا ولاسـيما الدعـم العسـكري،كما اسـتطاع أن يحصـل عـلى مسـاعدات مـن فرنسـا الأمـر الـذي أزعـج البريطانيـين فـكان لابـد مـن إجـراء الاتصـال بـه مـن الساسـة البريطانيـين إلا أنـه زاد قواتـه فاسـتولى عـلى مناطـق مهمـة مـن الصومـال كان منهـا مدينة(هـرر) ومـنْ ثـمّ وضـع البريطانيـين في أمـر واقـع فبـادرت إلى عقـد اتفاقيـة معـه[٢]، يقـول في هـذا الصدد»روتـل رود» رئيـس البعثـة البريطانيـة التـي عقـدت١٨٩٧م،(أن الأراضي التـي أعطيـت بموجـب الاتفاقيـة –البريطانيـة الأثيوبية-لـم تكـن يومـاً مـن أراضٍ حبشـية لكنهـا أراضٍ صومالية)[٣]،أمـا (منليـك) إمبراطـور الحبشـة فيقـول:(إن البريطانيـين الذيـن عقـدوا نحـن نمثلهـم وهـذا لاينكـر ونحـن الأحبـاش قـد ورثنـا هـذه الأراضي مـن الصوماليـين ومـع هـذا فنحـن نبـارك جهـود بريطانيـا ووقوفهـا معنـا مـن أجـل الحصـول عـلى هـذه الاراضي)[٤]. أمـا المقيـم البريطانـي في مصر»سـتراك» فيقول ان تـرك بريطانيـا للسـيطرة عـلى زيلـع حتـى رأس خافـون أمـر ضروري وسـيطرة الحبشـة عـلى القسـم الباقـي لا يذهـب إلى تثبيـت هـذه المنطقـة مـع الدولـة العثمانيـة وبالفعـل توصلنـا إلى حلهـا وهكـذا بعـد أن سـوّت بريطانيـا حـل الأمـور وضعـت حمايتهـا الرسـمية عـلى سـاحل الصومـال وأرسـلت خطاباً إلى كل السـفراء عـن طريـق وقيمهـا في عدن»سـالبيري» تعلـن فيـه بـأن الجـزء الممتـد مـن رأس جيبوتـي إلى الشـاطئ الجنوبـي لخليـج تاجـور تحـت الحمايـة البريطانية)[٥].ومـن بنـود الاتفـاق البريطانـي الإثيوبـي(١) تقسـيم الصومـال بـين الـدول الأوربيـة وبـإشراف

(١) حافظ،صلاح الدين،الصراع والقوى العظمى في القرن الإفريقي مرجع سابق،ص٦٨.

(٢)حافظ ،صلاح، الصراع والقوى العظمى،مرجع سابق،ص٦٨.

(٣) أديجوموبي،سـاهيد،تاريخ إثيوبيـا، مرجـع سـابق،ص ٥٦،وحافـظ ،صـلاح، الـصراع والقـوى العظمى،مرجـع سـابق،ص٦٩.

(٤) أديجوموبي،سـاهيد،تاريخ إثيوبيـا، مرجـع سـابق،ص٥٦-٥٧. ومجلـة القبـس، مرجـع سـابق،ص١٥

(٥) السـيد،محمد عبدالمنعم،دولـة إسـلامية في شرق إفريقيـا الصومـال، القاهـرة دار الإعلانـات ،(د.ت)،ص٩٨،وإبراهيم،عبداللـه عبدالرزاق،المسـلمون والاسـتعمار الاوربـي لإفريقيا،عالـم المعرفة،الكويـت،ط ١٩٨٩،١م،ص ٢٢٤.

بريطانية وسيطرتها(٢) قسمت ولاءات الشعب الصومالي للدول الأوربية إذْ أعطى البعض ولاءه لفرنسا والأخر لبريطانيا والقسم الباقي إلى إيطاليا. أما باقي الأجزاء فقد استطاعت حركات الجهاد أن تنشط بها أكثر من المناطق الأخرى(٣) هدفت بريطانيا من هذا التقسيم إلى أخماد أية حركة أو معارضة قد تظهر من الشعب الصومالي(٤) تهدف هذه الاتفاقات إلى تثبيت النزعات الطائفية والقبلية وعزل الصومال عن العالم الإسلامي وعلى أية حال فإذا كانت هذه الاتفاقات تخدم الدول الأوربية فهي في الجانب الآخر قد خدمت الصوماليين إلى التوحد والوقوف ضد التدخل الأجنبي وأيقظت الشعور القومي والديني ونشطت حركات الجهاد نذكر منها على سبيل المثال :» حركة محمد عبدالله، والمجاهد الكبير أحمد بن إبراهيم صاحب الطريقة الصالحية الذي وجد منها الجهاد والثورة ضد الوجود الأجنبي[١] واتخذ لنفسه لقب (المهدي) متأثراً بالثورة الجهادية التي قادها المجاهد السوداني محمد المهدي التي حققت نجاحات وذلك بعد عودته إلى الصومال استطاع أن يجمع حوله لفيفاً كثيرين من المريدين لطريقته فاعتمد من أجل ذلك طريقتين[٢]: الأولى استعمل الدين من أجل التخلص من الوجود الأجنبي من خلال نشر الطريقة الصالحية وإرسال مريديه إلى المناطق المحتلة والتبشير بالجهاد ومقاومة بريطانيا التي يرى منها إلا أكثر استعماراً للصومال. والطريقة الثانية: طريقة عسكرية إذ قسم أنصاره إلى مجموعات والحصول على الأسلحة والمواد الأساسية لجهاده، ووضع المجاهد محمد عبدالله الممارسات غير الطبيعية التي أخذت تزداد من المستعمر البريطاني منها(استيراد الخمور والمواد المحرمة في الدين الإسلامي،إيقاف نشاط المدارس التبشيرية المطالبة بإيقاف الشركات التجارية غير الطبيعية ولاسيما التي تعقد صفقات مع بعض الشيوخ لأسباب منفعية شخصية غير وطنية). وبهذه المطالب انظم إليه الكثير من الصوماليين والمجندين في الجيش البريطاني وأدركت حركة الجهاد أنه لابد من المقاومة وإعلان الجهاد رسمياً وأقترح(منيك) إمبراطور الحبشة على بريطانيا ضرورة القيام بعمل مشترك ضد حركة الجهاد،وطلب القنصل البريطاني في أثيوبيا أن يفاتح حكومته بمضمون هذا الاقتراح واستلمت الحكومة البريطانية نص برقية قنصلها ووافقت على مقترح الحبشة[٣] .وتدفقت الأسلحة على المجاهدين عن طريق ميناء جيبوتي وساحل مجروتن واستطاع زعيم الحركة المجاهد محمد عبدالله بهذا إعلاء شأن حركته وقبول الكثير من المتطوعين في حركته إيماناً

(١) جامعة الدول العربية،معهد البحوث والدراسات العربية، المسح الشامل للصومال تقرير لعام ١٩٧٥م،ص٢٤.

(٢)توفيق، حورية،مشكلة الحدود بين الصومال وأثيوبيا، القاهرة،ط١،١٩٨٦م،ص١٢

(٣) تقرير المسح الشامل، معهد البحوث والدراسات، مرجع سابق،ص١٥.

منهم بالتخلص من السيطرة الأجنبية، وحصلت معارك كثيرة بين الحركة والبريطانيين خلال المدة(١٩٠٣-١٩٢٠م) وفيها سيطرت الحركة على أجزاء كثيرة من المدن منها مدينة(برعوا) وتزامن هذا الحدث مع تولي الحبشة» ليبج ياسو» الذي أعتنق الإسلام وتقرب من المجاهد «محمد عبدالله حسن»وإرسال الخبراء له في تصليح الأسلحة لاسيما الالمان الموجودين في الحبشة[١] وفي ٢٣ ديسمبر١٩٢٠م م مرض المجاهد محمد بن عبدالله وتوفي وبموته انتهت الحركة التي قاومت النفوذ الأجنبي لأكثر من ٣٠سنة[٢].

٤-١- اليمن ودول الساحل الغربي خلال الحرب العالمية الأولى١٩١٤-١٩١٨م :

في أول أغسطس من العام ١٩١٤م انطلقت شرارة الحرب العالمية الأولى في أوروبا بين دول الحلفاء ودول المحور،وكانت دول حوض البحر الأحمر الساحل الغربي وقتئذ،أو كان معظمها تابعاً للدول الأوربية ومرتبطة بها[٣]ماعدا ولاية اليمن في شماله وميناء الحديدة تابعة للدولة العثمانية بقوات عسكرية ترابط في صنعاء والحديدة،وكان لبريطانيا أيضاً قوات عسكرية ترابط في الجزء الجنوبي من اليمن والذي بدأ سيطرتها عليه منذ احتلالها عدن عنوه في العام ١٨٣٩م[٤]، وقبيل الحرب العالمية الأولى قامت حكومة الأستانة بإرسال كميات كبيرة من السلاح إلى صنعاء مع عدد كبير من الجنود والضباط عن طريق البحر الأحمر[٥]. وكانت هنالك خطة عسكرية مشتركة بين العثمانيين والألمان تنص بحشد حملة عسكرية من صنعاء تزحف إلى عدن عن طريق تعز لتطرد الانجليز الذين أعلنوا الحصار في البحر الأحمر، بعد اشتراك الدولة العثمانية في الحرب وقطعوا كل اتصال بينها وبين اليمن والحجاز،وقد اجتهد العثمانيون لتنفيذ الخطة في اليمن.إذْ عتاد الحرب وبثوا دعاية واسعة النطاق ضد بريطانيا المحتلة لجنوب اليمن،ودعوا اليمنيين إلى التطوع في صفوفهم والتعاون معهم لتطهير اليمن من رجسهم،وكان العثمانيون في هذا الوقت قد أعلنوا الدعوة للجهاد.[٦]وكان موقف الزعامات والقوى السياسية في اليمن الحياد والحذر من القوى المتصارعة في الحرب ففي شمال اليمن كان موقف

(١)إبراهيم،عبدالله،المسلمون والاستعمار الأوربي مرجع سابق،ص٢٥٤،تقرير،معهد البحوث والدراسات،مرجع سابق،ص١٥١.كتاب عن تعاون السودان مع الحبشة؟؟

(٢)الشيخ ،رأفت ، تاريخ العرب المعاصر، مرجع سابق،ص١٠٣,حافظ،الصراع والقوى العظمى،مرجع سابق،ص٦٨،يحيى،جلال، التنافس الدولي الصومالي،مرجع سابق،ص١٨١

(٣)Ingrams.D.&L.Aden becomes.acolony1933-1937,Pz2816-33wo.c215. p.59

(٤) Ingrams..op.59

(٥)العبدلي،أحمد بن فضل، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن،دار العودة،ط، ١٩٨٠،٢م، ص ٢٠٧.

(٦)سعيد،أمين، اليمن،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،ط١،١٩٥٩م،ص٢٧.

الإمـام يحيـى بـن حميـد الديـن تتسـم بالتأنـي والتظاهـر بالحيـاد المشـوب بالعطف والميـل إلى حكومـة محمـد نديـم والي اليمـن،دون أن يتعـرض لعـداء بريطانيـا العظمى وحلفائهـا وانتظـار الفرصـة المناسـبة للاسـتفادة مـن هـذه الحـرب بمقتـضى التغيـر في الأحـوال ومسـاعدة الظروف).[١]أمـا أمـين الريحانـي وصـف موقـف الإمـام يحيـى مـن القـوى المتصارعـة في الحـرب العالميـة الأولى قائلاً:(بعـد عقـد المعاهـدة عـاد الإمـام يحيـى إلى الخمير(خمـر)في شـهارة،وظل الأتـراك عـلى ولاء ماداموا يدفعـون المشـاهرات ويجمعـون لـه الـزكاة إلا أنهـم لـم يتمكنـوا مـن القيـام بمـا تعهـدوا بـه بعـد دخلولهـم في الحـرب العظمى،ومـع ذلـك فلـم ينقلـب عليهم،ولأسـاعدهم عـلى الإدريـسي في تهامة،وعـلى الإنجليـز في عـدن ويظهـر أن الإنجليـز كانـوا قـد بـدأوا يفاوضونـه بطريقـة غـير رسـمية لينضـم إلى الأحـلاف في الحـرب فأرسـل بطريقـة غـير رسـمية ايضـاً،لان رسـوله جـاء الى لحـج لا إلى (عـدن) يطلعهـم عـلى أحوالـه ويعتذر)[٢] ويذكـر «أريـك ماكـرو» أن الكولونيـل جاكـوب، الـذي كان يحـاول كسـب الإمـام يحيـى إلى جانـب بريطانيا،وقـد حصـل عـلى رسـالة منـه ذكـر فيهـا أنـه في الوقـت الـذي يلتـزم فيـه بولائـه للأتـراك فإنـه يتعهـد بـان يقـف موقفـاً وديـاً تجـاه بريطانيـا العظمـى[٣]،وفي أواخـر شـهر يونيـو١٩١٥م تقدمـت القـوات التركيـة بالهجـوم عـلى سـلطنة لحـج واسـتولت عـلى مدينـة الشـيخ عثمـان شـمال عـدن[٤] ، وكانـت خطـة العثمانيـين في منطقـة البحـر الأحمـر ولاسـيما السـاحل الشرقـي هـي الاسـتيلاء عـلى قنـاة السـويس وفي الجنـوب طُـرَد البريطانيـون مـن عـدن وبـاب المنـدب ،ولاشـك أن هـذه الخطـة شـغلت بـال الإنجليـز ولـم يرتـاح لهـم بـال حتـى اسـتعادوا مدينـة الشـيخ عثمـان بعـد احتلالهـا مـن قبـل العثمانيـين، وبذلـك انتهـى التهديـد العثمانـي لعـدن [٥] لوقـدر لهـا التنفيـذ الكامـل لأضاعـت البريطانيـين في هـذه المنطقـة وقضـت عـلى وجودهـم كلية[٦]،ولكـن القـوات التركيـة لـم تمكـث فيهـا كثـيراً إذ أنهـا مـن هـذه المدينـة كانـت تهـدد الوجـود البريطانـي في عـدن تهديـداً حقيقـا وتمنـع البريطانيـين مـن الاتصـال بالقبائـل الموالية لهـم وكان الإمـام يحيـى غـير موافـق عـلى قيـام الأتـراك بمهاجمـة عـدن وبقـي الإمـام متفرجـاً سـلبياً حتـى

(١) العبدلي، مرجع سابق،ص٢٠٧ ومابعدها .
(٢)الريحاني،أمين ،ملوك العرب،دار الريحاني للطباعة والنشر بيروت،ط١٩٤٥م،ج١،ص١٤٦.
(٣) Jacob.p.62،سالم،سـيد مصطفـى، تكويـن اليمـن الحديث(١٩٠٤-١٩٤٨م)معهـد البحـوث والدراسـات العربيـة، القاهـرة١٩٦٣م،ص٣٨.
(٤) أباظـة، فـاروق عثمـان ، سياسـة بريطانيـا في عسـير في أثنـاء الحـرب العالمية الأولى،دراسـة وثائقيـة،دار المعـارف، الإسـكندرية،ط١٩٨١م،ص٦٢
(٥)اباطة، فاروق عثمان، سياسة بريطانيا في عسير، مرجع سابق،ص٦٢.
(٦)حسن، إبراهيم محمد،البحر الأحمر في الحرب،مرجع سابق،ص١٦٩.

النهايــة[١]،وفي٢٠ يوليــو١٩١٥م تمكــن الإنجليــز مــن طــرد الاتــراك مــن منطقــة الشــيخ عثمــان الاســتراتيجية بعــد وصــول امــدادات عســكرية لهــم مــن مــصر،إلا أنهم لــم يتمكنــوا مــن إخراجهــم مــن ســلطنة لحــج[٢] ولــم تعــد العمليــات الحربيــة بينهــا وبــين العثمانيــين حتــى نهايــة الحــرب ذات أهميــة تذكر،وهكــذا اقتضــت اســتراتيجية البريطانيــين البحريــة في عــدن ودول حــوض البحــر الأحمــرفي أثنــاء الحــرب العالميــة الأولى فــرض حصــار بحــري محكــم حــول الموانــئ التابعــة للعثمانيــين والحيلولة دون وصــول أيــة إمــدادات أو مــواد تموينيــة إليهــم، كمــا اقتضــت السياســة البريطانيــة في حــوض البحــر الأحمــر حمايــة الســفن البريطانيــة والفرنســية والايطاليــة حلفائهــم في الحرب[٣].وكذلــك يســتمر النشــاط التجــاري عــلى ماهــو عليــه بــين الموانــئ في الصومال والســودان والحبشــة وعســير وعــدن وموانــئ الحجاز،ممــا يــؤدي إلى انتعــاش مــادي وســياسي لــه آثــاره في تعزيــز مكانــة الحلفــاء ولاســيما بريطانيــا في هــذه المنطقــة الحساســة مــن العالم.ولذلــك فــإن البريطانيــين حرصــوا كل الحــرص عــلى ربــط الموانــئ التابعــة لهــم ولحلفائهــم في حــوض البحــر الأحمــر ولاســيما ســاحله الغربــي بميناء عــدن المهــم الــذي يُعَــدَ مركــزاً مهمــاً لتنفيــذ هــذه الاســتراتيجية ومحورهــا الرئيــس في النصــف الجنوبــي مــن حــوض البحــر الأحمــر.

ونتيجــة لذلــك كلــه أصبــح البحــر الأحمــر مــن مدخلــه جنوبــاً في عــدن إلى مدخلــه الشــمالي في قنــاة الســويس بحــيرة بريطانيــة لا توجــد فيــه إلا الســفن البريطانيــة وســفن حلفــاء بريطانيــا الإيطاليين،ولاســيما بعــد أن ســيطرت بريطانيــا عــلى فلســطين وطــردت الأتــراك منها،وقامــت الثــورة العربيــة في الحجــاز وحــرم الأتــراك مــن موانــئ الحجــاز مثــل جــدة وينبــع والوجه،وعــلاوة عــلى حرمــان الأتــراك أصــلاً مــن موانــئ عســير لتحالــف أمــير عســير مــع البريطانيــين، فاكتمــل الحصــار وفــرض عــلى موانــئ اليمــن ولــم يعــد باســتطاعة أيــة ســفينة معاديــة الدخــول لهذه الموانــئ.

وفي مــارس مــن العــام ١٩١٩م انســحب الأتــراك كامــلاً مــن شــمال اليمــن، وذلــك حســبما نصــت عليــه بنــود هدنــة (مــودرس) لعــام ١٩١٨م[٤]،كمــا تنــازل

(١)أنطونيوس،جورج، يقظة العرب تعريب على حيدرة،مطبعة الترقي،دمشق،ط١،١٩٤٦م،ص١٠٧.

(٢)الريحاني، أمين،ملوك العرب،مرجع سابق،ص٤٢٧.

(٣)للمزيــد ينظر:حســن،إبراهيم محمــد، البحــر الأحمــر في الحــرب العالميــة الأولى» ١٩١٤-١٩١٨م»عين للدراســات الانســانية والاجتماعية،القاهــرة،ط١،١٩٩٨م،ص١٧١ ومابعدها.

(٤) مــرت الدولــة العثمانيــة خــلال مــدة الحــرب العالميــة الأولى بظــروف صعبــة جــداً، قادتهــا أخــيراً إلى طلــب الهدنــة مــن الحلفــاء في جزيــرة «ليمنــوسLimnos» في بحــر إيجــا بــين البحريــن التركــي واليوناني،وكانــت في العــام ١٩١٨م، وكانــت هــذه خاتمــة المطــاف للدولــة العثمانيــة بعــد ان ســخرت الدولــة العثمانيــة جميــع أنــواع مواردهــا للمجهــود الحربــي وانتــشرت الأمــراض والمجاعــة ومــرض التيفــوس بــين ســكانها،وحصار الاســطول البريطانــي عــلى الدردنيل،وبــدأ التدهــور المتزايــد

الأتـراك رسـمياً فيمـا بعـد عـن جميـع ممتلكاتهـم في الجزيـرة العربيـة تنفيـذاً لـشروط اتفاقيـة لـوزان لعـام ١٩٢٣م[١]،عندمـا أعلنـت بريطانيـا الهدنـة بـين الأطـراف المتحاربـة في العـام ١٩١٨م،وطلبـت بريطانيـا تسـليم القـوات التركيـة الموجـودة في اليمـن بأسـلحتها كاملـة، ولكـن الـوالي التركـي آثـر تسـليم البـلاد إلى أهلهـا وسـلم للإمـام يحيـى أسـلحة الجيـش التركـي ، وحاولـت بريطانيـا إرغـام الإمـام عـلى تسـليم الجنـود الأتـراك بأسـلحتهم لبريطانيـا تحـت تهديـد الأسـطول البريطانـي الـذي ضرب ميناء الحديـدة بمدافعـة ،إلا أن الإمـام رفـض هـذا التهديـد حتـى جاءتـه رسـالة مـن الحكومـة التركيـة باسـتانبول بتسـليم القـوات التركيـة للبريطانيـين [٢]، وهكـذا أصبـح الإمـام يحيـى بـن حميـد الديـن الوريـث الشرعـي للأتـراك في شـمال اليمـن[٣].

المحـور الثانـي: اليمـن ودول السـاحل الغربـي بـين الحربـين العالمتيـن(١٩١٨-١٩٤٥م):

١-٢- مصر والسودان :

انتهـى الحكـم العثمانـي مـع إنتهـا الحـرب العالميـة الأولى في العـام ١٩١٨م،إذْ وضعـت مـصر مبـاشرة تحـت الحمايـة البريطانية،فعـزل الخديـوي عـن منصبـه وتحولـت إدارة مـصر باكملهـا إلى المنـدوب السـامي البريطانـي وهـو «ريجبنالدوينجـت»وكان الشـعب المـصري مـن أوائـل شـعوب العالـم التواقـة للحرية،والاسـتقلال، طبقـاً لمبـدأ حـق تقريـر المصـير الـذي بـشر بـه «ولسـن «رئيـس الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ومنهـا مـن أوائـل الشـعوب التـي بـدأ فيهـا رجـال الفكـر والسياسـة في الاسـتعداد للمطالبـة بالاسـتقلال[٤]،وكانت أول بـوادر الاسـتقلال عندمـا طلـب سـعد زغلـول رئيـس الوفـد في ٢٠ نوفمـبر ١٩١٨م جـوازات لـه ولأعضـاء الوفـد زملائـه مـن قيـادة الجيـش البريطانـي للسـماح لهـم بالسـفر إلى إنجلترا،وسرعـان ماجـاء بالرفـض الكامـل مـن لندن،وأنهـم في لنـدن لامانـع لديهـم التقـدم بالاقتراحـات المطلوبـة عـلى أن لاتخـرج عـن حـدود المصالـح البريطانيـة

في جهـاز المواصـلات، نجـم عـن ذلـك عـدم مقـدرت الجيـش العثمانـي في مواصلـة القتـال في جبهـات القتـال للمزيـد ينظر:بـك، محمـد فريـد، تاريـخ الدولـة العثمانية،تح،إحسـان حقـي،دار النفائس،بـيروت،ط١٩٨١،١م،ص٧٢٢، الشـناوي، عبدالعزيـز محمـد، الدولـة العثمانيـة دولـة إسـلامية مفـترى عليهـا، القاهرة،مكتبـة الأنجلـو المصرية،القاهـرة١٩٨٣م،ج١٦٥٥،٣.

(١)أريك،ماكر، اليمن والغرب، نقله إلى العربية:حسين العمري،دار الفكر،دمش،ص١٠٩.

(٢)الشيخ، رأفت، تاريخ العرب المعاصر،مرجع سابق،ص٣١.

(٣)محمـد، كمـال عبدالحميـد، الاسـتعمار البريطاني...ص١٤،انظر:أريـك ماكر، اليمـن والغرب،مرجع سابق،ص١٠٩.

(٤)كرمـور، اللورد،مـصر الحديثـة ،ترجمـة صـبري محمـد حسـن،المركز القومـي للترجمـة مـصر ،ط١،٢٠١٥م،ص٢٢٣

في مصر وأن لاتتعدى حدود الحماية[1] وبهذا الرد اتضح موقف بريطانيا من الوفد ومن مطالب الشعب المصري عامة وهذا التحديد انصب على أساسين، وهما:عدم تمكن الوفد من السفر إلى الخارج سواء الى انجلترا أو باريس لحضور مؤتمر الصلح،وهنا وجد الوفد انه أمام طريق مسدود وأن كل المطالب المشروعة للمصريين غير قابلة للبحث لدى السلطات البريطانية سواء في مصر او انجلترا[2]،لكن حزب الوفد المصري دعا بإلغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر وجلاء القوات البريطانية عن البلاد لكن المندوب السامي رفض هذه المطالب، وبدأ الوفد بتجنيد كل الوطنيين المصرين ضد الانجليز فشعر الانجليز بالخطر من ذلك وقام البريطانيون في ٨مارس ١٩١٩م، باعتقال زعماء الوفد الأربعة : سعد زغلول،ومحمدمحمود،وإسماعيل صدقي،ومحمد الباسل ونفيهم إلى جزيرة مالطة[3]،أدت السياسة التعسفية البريطانية تجاه قادة حزب الوفد إلى القيام بالمظاهرات الشعبية العارمة في الكثير من المناطق المصرية، تجسدت في انتفاضة١٩١٩م، التي اشترك فيها الفلاحون والعمال والبرجوازية الوطنية والاقطاعيون واللبراليون وفئات الشعب المصري كافة[4]، وعمت الفوضى أنحاء البلاد وسقط القتلى ودمرت سكك الحديد وهوجمت ثكنات الجيش والشرطة والمعسكرات الانجليزية في طول البلاد وعرضها[5]، وأمام هذه الثورة المندلعة في مصر خشيت إنجلترا على مركزها في مصر فسعت لدى الولايات المتحدة الامريكية حتى استطاعت أن تحصل في ١٩أبريل١٩١٩م على اعتراف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بالحماية البريطانية على مصر،ونشرت الحكومة البريطانية اعتراف الرئيس الامريكي وإذاعته دار المندوب السامي البريطاني في مصر،ولقد وقع هذا الخبر على المصريين وقوع الصاعقة،إذْ أنكر الرجل

(١)مخائيل، سعد، السودان بين عهدين، مرجع سابق،ص٤٠الشيخ ،رأفت، تاريخ العرب المعاصر، مرجع سابق،ص٣٨-٣٩.

(٢) رمضان، عبدالعظيم،تطور الحركة الوطنية في مصر١٩١٨-١٩٣٦م،المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر،القاهرة،ط١٩٦٤م،ص١٠٣ومابعدها.

(٣) لاشين، عبدالخالق، سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية،دار المعارف،القاهرة،١٩٧٥م،ص ٢٠٥،زايد، محمود،محمد أحمد عرابي إلى جمال عبدالناصر»الحركة الوطنية المصرية» الحركة الحديثة، الدار المتحدة للنشر،بيروتط،١٩٧٣م،ص١١١.،مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية،مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض،ط١٩٩٩،٢٣م،ص٣٤٨.

(٤) العقاد، عباس محمود،سعد زغلول(مسيرة وتحية) مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م،ص٢٢٨. فوبليكوف واخرين، تاريخ الاقطار العربية المعاصرة،ج٢،أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي، معهد الاستشراق،دار التقدم موسكو،ب(ط)١٩٧٦م،ص٤.

(٥) الرفاعي، عبدالعزيز،ثورة ١٩١٩م، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط١٩٤٦،١م،ص١٧٨، العقاد، عباس، سعد زغلول، مرجع سابق،ص٣٨.

الـذي أعلـن حـق تقريـر المصـير عـلى الشـعب المـصري حـق تقريـر مصـيره[١]، وفي هـذا الوقـت قامـت إنجلـترا بتعيـين» اللـورد اللبنـي مندوبـاً سـامياً وممثـلاً خاصـا لملـك بريطانيـا في مـصر والسـودان، وعهـد إليـه بإخمـاد الثـورة وكانـت لـه جميـع الصلاحيـات المدنيـة والعسـكرية لحفـظ الأمـن والنظـام في البـلاد،وصرح بمجـرد وصولـه بـأن الهـدف الأول هو وضـع حـد لأعمـال الشـغب والإضرابـات القائمة،ودعاء الوطنيـين المصريـن إلى التعـاون معـه وسـمح للوفـد المـصري بالسـفر الى مصر،وعمـل عـلى إطـلاق سراح الوفـد مـن منفاهـم في مالطـة وسـافر إليهـم أعضـاء الوفـد وصحبوهـم مـن هنـاك إلى أوروبـا لمباشرة التفـاوض وبـدأت المفاوضـات بـين سـعد ومعـه زمـلاؤه وأرسـلت بريطانيـا «اللـورد ملنـر» مندوبهـا وممثلهـا في المفاوضـات في باريـس للخـروج مـن هـذه الأزمـة ولكنهـم لـم يوصـلا إلى اتفـاق بسـبب اختـلاف وجهـات النظـر[٢]، وكانـت أفـكار الوفـد المـصري تتلخـص في عـدد مـن النقـاط كان أهمهـا: التحالـف بـين مـصر وبريطانيـا يجـب أن يسـتمر لمـدة ثلاثـين عامـاً فقـط. وسـاري لتجديـد مـن قبـل الطرفين،بينمـا بريطانيـا تـرى أن هـذا التحالـف يجـب أن يكـون دائمـاً، والنقطـة الثانيـة يـرى الوفـد أن تتعهـد بريطانيـا بالمسـاعدة فقـط في حـال وقـوع اعتـداء تقـوم بـه دولـة أوربيـة عـلى الأراضي المصريـة، بينمـا تـرى بريطانيـا انهـا هـي الحاميـة لمـصر وليـس الحليـف وتتعهـد بريطانيـا في حمايـة طـرق المواصـلات وطرقهـا العالميـة إلى طـرق مسـتعمراتها في الشرق،وعـلى مـصر أن تمنـح بريطانيـا الحـق في إبقـاء قـوة عسـكرية عـلى الأراضي المصريـة واسـتعمال الموانـئ والمطـارات المصرية[٣]،واقـترح الوفـد عـلى بريطانيـا إنشـاء نقطـة عسـكرية عـلى الشـاطئ الشرقـي لقنـاة السـويس وعـلى حسـابها الخـاص لدفـع أي عـدوان يحتمـل حدوثـه عـلى قنـاة السـويس،وطالب الوفـد حـق الامتيـازات الأجنبيـة بمـا لا يتعـارض مـع السـيادة والاسـتقلال[٤]،وانتهت المفاوضـات بالإخفـاق. وعـاد الوفـد إلى مـصر بعـد أن رأى أنـه لا فائـدة مـن المفاوضـات وعـرف الشـعب المـصري أن بريطانيا ليـس لديهـا نيـة في منـح مـصر الاسـتقلال ممـا زاد الثـورة اشـتعالا[٥].وهكذا فقـد ناضلـت الحركـة الوطنيـة المصريـة مـن أجـل جـلاء الاحتـلال البريطانـي عـن أرض

(١)Kirk: A short history of the Middle East from the rise of Isam to modem tim-ers,132,University,paprs,dacks,London,1924.

(٢)رمضـان، عبدالعظيـم، تطـور الحركـة الوطنيـة في مـصر ،مرجـع سـابق،ص٢٨٩، عمـر ،عبدالعزيز،عمر،دراسـات في تاريـخ العـرب الحديـث والمعـاصر١٥١٧-١٩٥٢م،ب(ت،ط)،ص٤٥٧

(٣)رمضان،عبدالعظيـم ،تطويـر الحركـة الوطنيـة، مرجـع سابق،ص٢٨٩،العقاد،عباس،سـعد زغلول،مرجـع سـابق،ص٣١٩.،عمر، عبدالعزيز،دراسـات في تاريـخ العـرب، مرجـع سـابق،ص٤٥٨.

(٤)رمضان،المرجـع السـابق،ص٢٧٩، الشـناوي،مرجع سـابق،ص٧١٦.الرفاعي،عبدالعزيز،ثورة مـصر ١٩١٩م،ص١٧٥.

(٥) الرفاعي،عبدالعزيز،ثورة مصر ١٩١٩م،ص١٧٥.

مصر،واستمر التحدي المصري بين الحركة الوطنية والسلطات البريطانية .وفي ٢٨ فبراير١٩٢٢م أذاعت الحكومة البريطانية تصريحا حول إلغاء حمايتها والاعتراف باستقلال مصر،فنصب الملك فؤاد الأول ملكاً على بلاده الذي أعلن نظام الحكم الدستوري في مصر في العام ١٩٢٣م[١]ورفض الشعب المصري ذلك الاستقلال المزيف واستمر في النضال من أجل الاستقلال الفعلي، وفي ٢٣ يناير ١٩٢٤م كلف الملك فؤاد الأول سعد زغلول رئيس حزب الوفد بتشكيل أول حكومة وطنية ، ولكن برغم وصول حزب الوفد إلى السلطة إلا أن الأوضاع لم تتغير في مصر بل إلى الاسوأ، إذْ شهدت البلاد إضرابات كثيرة نتج عنها اغتيالات عديدة، كان أهمها مقتل الجنرال»لي شال حاكم السودان،و القائد العام للجيش المصري في ١٨نوفمبر١٩٢٢م، مماجعل بريطانيا تتخذ إجراءات انتقامية أدت إلى استقالة وزارة سعد زغلول وتعطيل الدستور في العام ١٩٢٥م، فحل مصطفى النحاس باشا محل سعد زغلول في زعامة الوفد المصري، وشكل في العام ١٩٢٧م وزارته الأولى الائتلافية لكنَّ البريطانيين أقالوا الوزارة، وتكليف محمد محمود زعيم حزب الدستوريين الموالي لبريطانيا بتشكيل حكومة جديدة[٢]،ونتيجة للعراقيل التي توضعها الإدارة البريطانية توالت استقالات الحكومات في مصر واحدة تلوى الأخرى ،فبعد استقالة وزارة محمد توفيق نسيم تشكلت في آواخر العام ١٩٣٤م تشكلت وزارة جديدة برئاسة ماهر في ٣٠ يناير١٩٣٦م، وفي عهده قامت المظاهرات الطلابية الداعية إلى تشكيل جبهة وطنية تظم الاحزاب كافة ،وهذه الأخيرة شكلت وفد المفاوضات البريطانية برئاسة مصطفى النحاس[٣]،وفي ٢٦ يونيو١٩٣٦م تم توقيع معاهدة تحالف بين مصر وبريطانيا قضى بإنهاء الاحتلال في مصر بتحفظات من اهمها :أولاً: تحتفظ بريطانيا ببعض قواتها في منطقة قناة السويس إلى أن يصبح الجيش المصري قادرا على حماية منطقة القناة. وثانياً: وضع إمكانيات مصر الاقتصادية والعسكرية في خدمة بريطانيا من وقوع الحرب.وثالثاً:العمل على إلغاء الامتيازات الأجنبية في مصر.رابعاً:تعدَّ مصر وبريطانيا حليفتين وتتعاقدان مع دول أخرى بعقد ينظر هذا التحالف[٤]. وبعد وفاة الملك فؤاد الأول في العام ١٩٣٦م اعتلى العرش الملك فاروق الأول، ونتيجة للاختلافات والانقسامات التي رافقت حزب الوفد في العام ١٩٣٧م تم

(١)سعيد،أمين،ثورات العرب في القرن العشرينن دار الهلال،ب(ط،ت)ص٢٤

(٢) القوزي، محمد علي،وآخر،تاريخ الشرق الاقصى الحديث والمعاصر، دار النهضة العربي للطباعة والنشر،بيروت ،ط،١،٢٠٠١م مرجع سابق،ص١٣٩.

(٣) سعيد،أمين،ثورات العرب، مرجع سابق،ص٢٩.

(٤)علوان،إبراهيم،مشكلات الشرق الاسط والوطن العربي،منشور المكتبة العصرية، لبنان،صيدا،ط، ١٩٧٠م،ج ٢،ص ٤٢.

الإعـداد لإسـقاط حكومـة مصطفـى النحـاس في ديسـمبر١٩٣٧م وعـلى إثـر ذلـك اسـتقالت الحكومـة الوفديـة فاعقبهـا حكومـة عـلى رأسـها محمـد محمودباشـا في العـام ١٩٣٨م قبيـل قيـام الحـرب العالميـة الثانيـة وسـقطت حكومـة محمـد محمود، وحلـت محلهـا حكومـة جديـدة برئاسـة عـلى ماهـر[١].

٢-٢-الصومال الكبير:

في العـام ١٩٢٤م تنازلـت بريطانيـا لايطاليـا عـن منطقـة الجوبـا بمـا فيهـا كسـمايو وكانـت جـزءاً مـن كينيـا وذلـك تـم لإيطاليـا الاسـتيلاء عـلى اقليـم الصومـال فيمـا عـدا منطقـة الاوجاديـن التـي اسـتولت عليـه عقـب نجـاح الهجـوم الـذي شـنته عـلى الحبشـة بقيـادة الجنرال»،»جرازيانـيGraz iani»في العـام ١٩٣٥م،وفي فبرايرمـن العـام١٩٣٧م قامـت قـوات الاحتـلال الإيطـالي بحملـة انتقاميـة عـلى السـكان اسـتمرت ثلاثـة أيام،تـم إعـدام ٣٠ألـف إثيوبي،بمـا فيهـم نصـف مـن تلقـوا تعليمهـم الجامعـي بالخـارج، في إطـار مـشروع التحديـث الإثيوبـي وقـد هـدف الزعيـم الإيطـالي الفـاشي «بينيتـو موسـوليني«Benito Mussolini القضـاء عـلى امكانيـة تبلـور مـشروع فكـر سـياسي منظـم ضـد الاحتـلال الإيطـالي للحبشـة[٢]. وخـلال الحـرب العالميـة الثانيـة وفي شـهر ينايـر١٩٤١م قامـت القـوات البريطانيـة بدخـول الصومـال الايطـالي عـن طريـق كسـمايو وتـم احتـلال الاقليـم كلـه خـلال العـام ١٩٤١م[٣]،وخـلال مـدة احتـلال القـوات البريطانيـة للصومـال قامـت بريطانيـا بعقـد اتفاقيـة مـع اثيوبيـا في ٣١ ينايـر ١٩٤٢م تـم بمقتضاهـا وضـع منطقـة الاوجاديـن تحـت الإدارة العسـكرية البريطانيـة التـي سـلمتها فيمـا بعـد إلى الحكومـة الاثيوبيـة بموجـب اتفـاق صـدق عليـه بتاريـخ١٩ ديسـمبر١٩٤٤م .وبتاريـخ ٢١نوفمـبر ١٩٤٩م أصـدرت الجمعيـة العامـة لهيئـة الأمـم المتحـدة قـرارا أوصـت فيـه بوضـع اقليـم الصومـال تحـت الإدارة الإيطاليـة لمـدة عـشر سـنوات[٤].

٣-٢- اليمن:

أمـا اليمـن بعـد انتهـاء الحـرب العالميـة الاولى فقـد فرضـت بريطانيـا عـلى الحكـم الجديـد حصـاراً اقتصاديـاً وسياسـياً وبـدأ الإمـام يحيـى مغازلـة بعـض مـن الـدول الأوروبيـة في محاولـة لـشراء الأسـلحة وضمـان تأييـد تلـك الـدول ففـي ٢سـتمبر ١٩٢٦م وقـع الإمـام اتفاقيـة مـع إيطاليـا للصداقـة والتجـارة[٥] وكانـت

(١)فوبليكوف،واخرين،تاريخ الاقطار العربية، مرجع سابق،ص٢٩-٣٠.

(٢) أديجوموبي،ساهيد،تاريخ إثيوبيا، مرجع سابق،ص١٢٥ ،١٦٥.

(٣)صوار،أحمد، الصومال الكبير، مرجع سابق،ص٢٧

(٤)المرجع نفسه ،ص٢٨،٢٧

(٥) وقـد كان غـرض ايطاليـا سياسـياً بحتـه، الأمـر الـذي أدى إلى ضعـف العـون الاقتصـادي الايطـالي للإمـام حيـث أعطـت ايطاليـا للإمـام طائـرات غـير صالحـة انفجـرت احدهمـا في الجـو

رغبة إيطاليا من توقيع اتفاقيتها مع الإمام لإيجاد موطن قدم في البوابة الجنوبية للبحر الأحمر ومحاولة للتوسع في اليمن والسيطرة على بعض المراكز الاستراتيجية فيه مثل جزيرة كمران وتعتقد أن عقد الاتفاقية مع اليمن المستقل تحقق لها مجالاً تجارياً واسعاً لإنعاش مستعمرتها منها إرتريا كما كانت تدعي دائماً[١]،وكان الإمام يهدف من تلك الاتفاقية أن يستند إلى دولة أوروبية كبيرة يواجه بها إنجلترا كما أنه في حاجة إلى من يمده بالسلاح والمعدات والخبرات المؤهلة في التلغراف والطب والأدوية وغيرها من الاحتياجات الضرورية[٢]،ولكن هذا الاتفاق بين الإيطاليين وإمام اليمن أزعجت البريطانيين وكان أول ردود الفعل إرسال بعثة»السير كلينتون» إلى صنعاء في يناير١٩٢٦م لتبذل مافي وسعها للوصول إلى تفاهم مع الإمام لكن دون فائدة[٣]، وبعد أن وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها عقد اتفاق روما في العام ١٩٢٧م فقد جاء في بداية مقدمة قصيرة تقضي بأن الممثلين من جانب بريطانيا وايطاليا- وتحت إرشاد حكومتيها-وقد ناقشوا عدة موضوعات تخص البلدين في جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر وقد اتفقا على سبع مواد،تقضي بأن من مصلحة البلدين أن يتبعا سياسة التهدئة من أجل منع الصدام بين الزعماء العرب ،وحرصت بريطانيا على وضع المادة الرابعة للحفاظ على مصالحها بالنسبة للجزيرة العربية فقد نصت هذه المادة على أن المبادئ الأساسية للسياسة البريطانية في البحر الأحمر هو تأمين المواصلات.وأن حكومة جلالة الملك تعدُّ هذا الغرض مصلحة حيوية بالغة الاهمية إلى درجة أنها لاتسمح لأية قوة أوروبية أن تضع قدمها على الشاطئ العربي للبحر الاحمر وبصفه خاصة في جزيرتي كمران وفرسان،كما أن كمران وفرسان لن تسقط سقوطاً في أيدي حاكم عربي غير صديق،ومن ناحية أخرى،فإنه نظراً لوجود ممتلكات إيطالية على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، فإن من مصلحة إيطاليا ألا تضع دولة أوروبية قدمها على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر،كذلك في كمران أو فرسان[٤]،وقد تم إنهاء الحكم العسكري البريطاني في الجزيرة والتحول

عند استعمالها كذلك مصنع دباغة الجلود،وورشة للسلاح آنذاك كان قديماً غير صالح وغير قابل للتجديد.

(١)عبدالكريم،أحمد عزت، البحر الأحمر في التاريخ السياسة الدولية،مرجع سابق،ص٥٢٦.

(٢)Baldry ,J: The Stuggle for the Red Sed ,1943,p.56،فايانا،كلوي، كنت طبيبة في اليمن، مرجع سابق،ص،العظم ،نزيه مؤيد،رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء،طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي،وشركاه بمصر،ب(ت)،ص٣٧-٣٨.

(٣)Clayt0n. sir Gilbert f:An Arabian Diary, university of Calif0mia press,Berkeley and Los Angeles,1969.p

(٤)سالم ، سيد مصطفى، البحر الاحمر والجزر اليمنية «تاريخ وقضية، صنعاء-دار الميثاق

إلى الحكم المدني منذ العام ١٩٢٤م بعد أن وقع الحلفاء مع تركيا معاهدة لوزان[١]،التي تنازلت بمقتضاها عن كل حقوقها في السيادة على أية أراض غير تركية[٢]،وظلت جزيرة كمران في حوزة بريطانيا بعد ذلك وضعت استراتيجية خاصة تجاه هذه الجزيرة اعتمدت على الأسس الآتية:(أ)- منع وقوع الجزيرة تحت سيطرة أية قوة أخرى أو أية دولة غير صديقة .(ب) العمل على تأمين الحجر الصحي وحمايته،وقد ظلت الجزيرة تحت الحكم الإداري البريطاني منذ عام١٩١٥م وحتى استقلال عدن١٩٦٧م[٣].وترى الباحثة المصرية يسرى قنديل أن الاستعمال العسكري لهذه الجزيرة أمراً وارداً إذا ما أخذت في الحسبان الارتباطات والتحالفات السياسية لبعض دول المنطقة المطلة على حوض البحر الاحمر وتزداد قيمة الجزر نتيجة لوقوعها في المضايق البحرية ونقاط الاختناق الرئيسية لاسيما على المدخل الجنوبي للبحر الأحمرمما دفع القوى الأجنبية على التنافس عليها من جهة، وأدى أيضاً إلى زيادة الأعباء فإنها غير مأهولة بالسكان حيث يتعذر الحصول على المياه العذبة فيها الأمر الذي يشكل عبئاً إضافياً على هذه الدول[٤] . وفي هذا الوقت اتخذت بريطانيا مصر بوصفها قاعدة عسكرية للتموين والإعداد،وبوصفها مركزاً للتوسع والزحف وإنفاذ الحملات بالبروالبحر والجو،وتوسعت قوات الحلفاء من مصر والسودان نحو أرتريا وشمال الحبشة ونحو اليونان وجنوب البلقان ونحو فلسطين وسوريا ولبنان، ثم نحو (برقة)وطرابلس الغرب وتونس والميدان الجنوبي في أوروبا[٥]،ولقد تجمعت للحلفاء في مصرجيوش من خمسة وعشرين بلداً في مدة الحرب،ولايكاد يذكر أن تجمعت جيوش بمثل هذا العدد الكبير خلال تاريخ الحروب[٦]،وقامت قيادة الحلفاء بتوحيد القيادة المشتركة للأسطولين البريطاني والفرنسي في حوض البحر الأحمر والمتوسط ،مما كان له أثره الفعال في تظهير

للنشر والتوزيع،ط١،٢٠٠٦م،ص١٥٤-١٥٥.

(١)تنص المادة(١٦) من اتفاقية لوزان للسلام المبرمة في ٢٤ يوليو١٩٢٣م بيت تركيا ودول الحلفاء على أن مصير الجزر والأقاليم الواقعة فيما وراء الحدود المنصوص عليه في الاتفاقية وهي الحدود الجديدة بتركيا-سيتم تسويتها بواسطة الدول المعنية، الهيصمي،خديجة، سياسة اليمن في البحر الأحمر،مكتبة مدبولي،ط١،٢٠٠٢م،ص٩٨.

(٢)لقمان، حمزة علي،تاريخ الجزر اليمنية،بيروت- مطبعة يوسف وفيليب،ط١،١٩٧٢م،ص٧-١٣.

(٣) أنشىء الحجر الصحي الموجود في الجزيرة من أجل خدمة الحجاج المسلمين من الهنود ومن ابناء جزيرة جاوه وقد بدأ في عهد الدولة العثمانية منذ احتلالها في العام١٨٨٢م. لقمان،حمزة،تاريخ الجزر اليمنية،مرجع سابق،ص٧ومابعدها.

(٤)قنديل، يسرى أحمد،»الجزر المحلية والممرات المائية وأثرها على الأمن الاقليمي والملاحة في باب المندب»عمان جامعة اليرموك ومركز الدراسات العربية بلند،١٩٨٦م،ص٣.

(٥)حسن،إبرهيم محمد،البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى،ط١،١٩٩٨م،ص١٥٩.

(٦) المرجع نفسه،ص١٦٠.

البحـر الأحمـر والمتوسـط مـن سـفن الأعداء،وأخـذت السـفن الألمانيـة والنمسـاوية والتركيـة عـلى السـواء في البحـث عـن مناطـق بعيـد عـن هذيـن البحريـن للالتجـاء إليها[١]،وبذلـك فـإن إنجلـترا اسـتطاعت بذلـك أن تؤمـن مواصلاتهـا البحريـة في البحـر المتوسـط والأحمـر وحمايـة قنـاة السـويس وطـرق التجـارة العالميـة عـلاوة عـلى مسـتعمراتها في الـشرق[٢]، لقـد تضاعفـت أهميـة عـدن الملاحيـة والعسـكرية في السياسـة البريطانيـة فقـد كانـت عـدن في سـنوات الحـرب العالميـة الثانيـة قاعـدة للحلفـاء في حملتهـم عـلى المسـتعمرات الإيطاليـة في شرق إفريقيـا كمـا أن نتائـج الحـرب العالميـة الثانيـة ، جعلـت الإدارة البريطانيـة تنظـر إلى عـدن بوصفهانقطـة هجـوم ودفـاع عـن الإمبراطوريـة البريطانيـة ،فتحولـت عـدن إلى مركـز لقيـادات القـوات المسـلحة البريطانيـة في الـشرق الأوسـط [٣]،زدْ عـلى ذلـك أهميتهـا البحريـة بوصفهـا إحـدى النقـاط الأربـع الرئيسـة إلتـي تتـولى حمايـة طريـق بريطانيـا البحريـة الرئيسـة جبـل طارق،مالطـة، قبرص،عـدن)[٤]وفي أعقـاب الحـرب امتـد أمـل بريطانيـا إلى بسـط نفوذهـا عـلى عـدن والسـواحل الجنوبيـة الواقعـة عـلى مدخـل حـوض البحـر الأحمر،وبمـا يعوضهـا عـن تقليـص نفوذهـا عـلى شـماله بعـد إخـلاء قاعـدة السـويس والسـودان منـذ بدايـة الخمسـينات.[٥].

المحـور الثالـث: حـركات التحـرر الوطنـي في اليمـن ودول السـاحل الغربـي(١٩٤٥-١٩٦٧م):

١-٣-عوامل التحرر الوطني الافرو آسيوي:

بـدأت فكـرة التحريـر تظهـر في مجتمعـات العالـم الثالـث خـلال القـرن العشريـن،في كل مـن آسـيا وإفريقيـا بفضـل عـدة عوامـل داخليـة وخارجية،اختلفـت تأثيراتهـا وتفاوتـت مـن دولـة إلى أخـرى بحسـب موقعهـا الجغـرافي ووضعهـا الاجتماعـي والاقتصـادي ورصيدهـا التاريخـي[٦] وكان انتصـار اليابـان في سـنة(١٩٠٤-١٩٠٥م) في حربهـا ضـد روسـيا أول هـذه العوامـل الـذي تـرك أعظـم الأثـر في نفـوس سـكان القـارة الأسـيوية[٧]وعزز مـن روح الحـركات الوطنيـة في كل مـن الهنـد وأندنوسـيا وتركيـا ومـصر وغيرهـا في تواصـل كفاحهـا ضـد الاسـتعمار وكان أحسـن ماتولـد

(١)HaIIborg: The Suez canal,p334.,Campridge Univerity Press,London,1960

(٢)حسن،إبراهيم محمد، البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى،مرجع سابق،ص١٦٠

(٣)مقبل،سـيف عـلي، الصحافـة في عـدن عشـية إعـلان الجمهوريـة في صنعـاء،دار جامعـة عـدن للطباعـة والنـشر،ط١،٢٠٠٢م،ص١١-١٢.

(٤)عشـية،صالح أحمـد، الحركـة العماليـة في عـدن ودورهـا في تطويـر الحركـة الوطنيـة١٩٤٥-١٩٦٣م مؤسسـة فريـد ريش،صنعـاء،ط١،ص١٨.

(٥)النجار ، حسين فوزي، بريطانيا والجنوب العربي، المكتبة الثقافية، ب(ط،ت)،ص١٨.

(٦)زوزو،عبدالحميـد، تاريـخ الاسـتعمار التحـرري في إفريقيـا وآسـيا،ديوان المطبوعـات الجامعيـة،ط ١،٢٠٠٩م،ص ١١.

(٧)القوزي، محمد علي،وآخر،مرجع سابق، ص٢٣

عنده هي فكرة التضامن الأسيوي إلى تطورات فيما بعد فكرة التضامن الأفرو آسيوي[١] ولم يكتب لمثلي هذه الشعوب أن تجتمع في نيودلهي إلا في ٢٣ مارس ١٩٤٧م قبيل استقلال الهند بأشهر قليلة وكانت الوفود التي حضرت هذا المؤتمر يدعى بمؤتمر العلاقات الأسيوية[٢]، وكان انعقاد هذا المؤتمر بداية عهد جديد لحركات التحرر الوطنية التي ستجد في الهند بعد استقلالها سنداً ونصراً لقضيتها الوطنية،وحصلت الحرب العالمية الأولى إذْ إنها اطلعت المشاركين فيها من سكان المستعمرات بوصفهم محاربين في جبهات القتال أو بوصفهم عمالاً في المصانع والمعامل على الدافع الأوروبي وعلى حقيقة الحرب التي خاضها بدون هوادة من يدعوا حمايتهم للمبادئ الإنسانية،ومن حيث إنها فتحت الفرصة لأن ينادوا بتطبيق مبادئ الديمقراطية والحرية التي يدافعون عنها بجانب زملائهم من الفرنسيين والإنجليز والأمريكان على شعوبهم، وجاء وعد بلفور في ٢نوفمبر١٩١٧م الذي أثار حفيظة العرب وسخطهم ونقمتهم على الحلفاء،ولايغرب عن البال أن هذا الوعد عرض قبل إعلانه على الرئيس ولسون الأمريكي فحظي بموافقته،وأيدته الحكومة الفرنسية في ١٤ فبراير١٩١٨م وتلتها الحكومة البريطانية في ٩مايو١٩١٨م واستنكره دول حوض البحر الأحمر وكل العرب محتجين بأشد أشكال الاحتجاج وقامت مظاهرات وحوادث دموية في مختلف البلاد العربية ولاسيما دول الساحل الغربي في مصر واليمن والسودان[٣]،و أثرفي شعوب المستعمرات تصريح الرئيس الأمريكي (ولسون) بتاريخ يناير ١٩١٨م المتضمن لمبدإ»حق الشعوب في تقرير مصيرها» وكذلك موافقة المعارضة للاستعمار،وتسلمه لعرائض ومذكرات عديدة جاءته من قبل الأحزاب العاملة في سبيل تحرير الشعوب ضد النيات الاستعمارية التي كانت للانجليز والفرنسيين والايطاليين في المنطقة[٤] ، وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، وبدأ تنظيم السلام، حتى رأى العرب الهوة سحيقة بين ماكان يؤملونه وبين ماكان يبيته الاستعمار والصهيونية لهم من مشاريع بدأت في اتفاقيةسايكس-بيكو ووعد بلفور وانتهت في مقررأت سان ريمو(ابريل١٩٢٠م) وشهد العرب ولاسيما دول حوض البحرالأحمر الغربي توزيع الرقعة العربية الى مناطق نفوذ وانتداب،لأن الدول الأوربية الثلاث الظافرات، إنكلترا وفرنسا

(١)الرميحي،محمد،أحاديث عربية(١) العرب في عالم متغير، الشركة الكويتية للابحاث،ط١، ١٩٩١م، ص ٤٧- ٤٩.

(٢)زوزو، عبدالحميد، تاريخ الاستعمار التحرري في آسيا وإفريقيا، مرجع سابق،ص١٢.

(٣)بوزيدي، يحيى،وآخر،سايكسبيكو ومشاريع التقسيم في الماضي والحاضر،المؤامرة الخارجية والاستعدادات الداخلية، مركز البيان للبحوث والدراسات،ط١،،١٤٣٨١هـ،ص٦١ومابعدها.

(٤) بوزيدي، يحيى،وآخر،سايكسبيكو ومشاريع التقسيم ،مرجع سابق،ص١٣.،نوار،عبدالعزيز سليمان،وأخر،التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية،دار النهضة للطباعة والنشر بيروت،ب(ت،ط)ص٤٦٦ ومابعدها.

وإيطاليا احتلتا دول الساحل الغربي وقسمتها ولم تتركا منها سوى بلد مستقلة في شمال اليمن هي المملكة المتوكلية اليمنية[١]،وظهرت عصبة الامم بعد الحرب العالمية الأولى والذي يرجع الفضل الاكبر في ظهورها إلى الرئيس (ولسون) وتحولت هذه الهيئة من عصبة الأمم المتحدة إلى هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية التي كانت أثارها أقوى بكثير من الحرب العالمية الاولى[٢]،وبدخول الهند ومصر وسوريا وغيرها من دول العالم الثالث فيها وجدت الحركات التحررية من يؤيد مطالبها السياسية ويعزز مطالبها في الاستقلال ويدعم تطلعاتها إلى التحرير.وكانت ثورة أكتوبر الشيوعية عامل من عوامل المشجعة للحركات الاستقلالية والمناهضة للاستعمار في كل من قارتي آسيا وإفريقيا[٣]،

٢-٣-مصر والسودان:

لم تكن علاقة مصر بالسودان علاقة عابرة،سواء على مستوى التاريخ المشترك،أو التداخل الجغرافي،بل يمتزج في تفاصيلها التاريخية علاقة ممتدة من الثبات والرسوخ في وحدة المصير[٤]فإذا كانت الحضارة المصرية القديمة لاتزال تشهد بهذه العظمة فإن السودان لم يَغِبْ عن هذه الحضارة العريقة،ولاتزال آثار مناطق شمال السودان تجد تشابها الكبير مع حضارة مصر شاهدة على التمازج والتأثير والتلاقح منذ آلاف السنين[٥]، ولقد أدرك بيبرس في القرن الثالث عشر الميلادي أهمية وعظمة السودان الجيوسياسية واستطاع بعد حروب طويلة أن يضم مملكة النوبة إلى مصر والتوغل في العمق السوداني،وفي القرن التاسع عشر أدرك محمد على باشا ،أهمية تامين منابع النيل،والسيطرة على الذهب،والاهتمام بشؤون البحر الأحمر وسواحله ولن يكون إلا بضم السودان [٦]،وبرزت ملامح القضية القومية المصرية والسودانية المتشابهه فظل ملك

(١)الشيخ، رافت، تاريخ العرب المعاصر،ص٣١.

(٢) نوار،عبدالعزيز سليمان،وأخر،التاريخ المعاصر أوروبا ،مرجع سابق، ص٤٩٤ ومابعدها.

(٣)فاسيلييف،تاريخ العربية السعودية،ترجمة خيري الضامن،دار التقدم موسكو، ط ١، ١٩٨٦م، ص ٢٨٦.

(٤)رمضان،عبدالعظيم،اكذوبة الاستعمار المصري للسودان، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ب(ت) ص٢٣

(٥)نجيب، محمد،كنت رئيسا لمصر،المكتب المصري،ط١،١٩٨٤م ،ص٢٨٢،و رمضان،عبدالعظيم،اكذوبة الإستعمار المصري للسودان،مرجع سابق، ص٤٤.

(٦)لمعرفة أسباب ضم السودان لمصر ينظر:شقير ،نعوم، تاريخ السودان،دار الجيل،بيروت،ط١،١٩٨١م،ص١١٥، الجمل ،شوقي،تاريخ سودان وادي النيل، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٩م،،ص٨ ومابعدها.إبراهيم،حسن أحمد، محمد علي واستخدام الارقاء السود،مجلة الدراسات السودانية-شعبة ابحاث السودان،جامعة الخرطوم،العدد الأول، المجلد الثالث أكتوبر١٩٧١م،ص٩٨-٩٩،مقار،نسيم الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادي بين مصر

مصر يطلق عليه ملك «مصر والسودان»[1]حتى في مدة الاحتلال البريطاني حين احتل البريطانيون مصرفي العام ١٨٨٢م وبعدما قاموا بإنفاذ قرار الغاء الجيش المصري بمرسوم الخديو توفيق، عُين السير»إيفلين دود» قائداً عاما للجيش المصري في ١٦يناير١٨٨٣م،وكانت السياسة البريطانية منذ اللحظة الأولى تدرك خطورة وحدة مصر والسودان على أهدافها الرامية إلى استغلال البلدين،ونشر التنصير في إفريقيا اطلاقاً من السودان،لذا فقد أمرت السلطات البريطانية الخديوي توفيق بسحب آخر قائد مصري من السودان عبدالقادر باشا حلمي واستبداله بالبريطاني (هيكس) الذي عين رئيسا لأركان الجيش السوداني[2]، لاقت مساعي البريطانيين تلك مقاومة شرسة من السودانيين بدأت في ٥نوفمبر١٨٨٣م،ثم عين غوردن ياشا حكمدار عاما للسودان وحوصر في الخرطوم التي سقط في يد المهدي وثورته في ٢٦يناير١٨٨٥م،وظل الصدام البريطاني السوداني قائما حتى نجح اللوردكيتشز قائد الجيش المصري من دخول أم درمان في ٢سبتمبر١٨٩٨م، وبعدها بأشهر قليلة في ١٩يناير١٨٩٩م وقعت اتفاقية ترسيم الحدود بين القطرين وقعها عن الجانب المصري وزير خارجية مصر بطرس غالي،واللورد كرومر البريطاني[3]،وبتوسيع نفوذ البريطانيين وتهميش الدور المصري في السودان،والهدف من ذلك الاستعمار البريطاني إبعاد وقطع صلات السودان بمصر،وسعيا لتمزيق العلاقات الشعبية والتاريخية بين القطرين وهذا ليس بجديد على المستعمر البريطاني،وتزامنا مع التمزيق الحدودي ،بسبب الزحف الفرنسي على إفريقيا ،أعادت القوات البريطانية استعمال الجيش المصري للدخول إلى السودان مرة أخرى. وفي العام ١٩١٩م قامت الثورة ضد الاحتلال البريطاني في مصر، وضد نفي سعد زغلول ورفاقه، وكان صدى الثورة قد وصل إلى السودان فاشتعلت فيها روح المواجهة ضد البريطانيين،وظلت شرارة الثورة متقدة في وادي النيل مصر السودان، حتى أعيد سعد زغلول من منفاه وتم عقد اتفاقية ١٩٢٣م وأعلن استقلال مصر،وتولى سعد زغلول رئاسة الوزراء، لكن الناس فوجئوا في سنة ١٩٢٤م باغتيال شاب مصري للسير»لي ستاك»المندوب السامي في مصر، الحادثة التي عدتها بريطانيا فرصة لمطالبة حكومة سعد زغلول بانسحاب الجيش

والسودان، دراسة في العلاقات الاقتصادية المصرية السودانية١٨٢١-١٨٤٨م، الهيئة المصرية للكتاب،ط١٩٨٥م،ص٢٨-٢٩، رمضان،عبدالعظيم،اكذوبة الإستعمار المصري للسودان،مرجع سابق،ص٣١. ومابعدها.

(١) رمضان،عبدالعظيم،اكذوبة الإستعمار المصري للسودان،مرجع سابق،ص٤٠

(٢)المرجع نفسه ،ص٣٩٤.

(٣) المرجع نفسه،ص١٥٥.

المصري الرابض في السودان[1]، لكن سعد زغلول رفض هذا الشرط،وقدم استقالته،ليترتب على ذلك حصار القوات البريطانية المصرية في الخرطوم،وحين رأت القوات السودانية هجوم البريطانيين ضد المصريين قرروا الدخول في مقاومة مسلحة ضد الإنجليز،لكن الضعف التسليحي وأعدادهم القليلة هزم الجيش المصري والسوداني واستطاعوا بسط نفوذهم الكامل على السودان وجلاء الجنود المصريين عن السودان في ظرف ٢٤ساعة[2].

وهكذا ظلت الحكومات المصرية المتعاقبة طوال الحكم الملكي تُعدُّ السودان جزءاً لايتجزأ من مصر،وأن المحاولات للقبول بمبدأ استفتاء السودانيين لتقرير مصيرهم كانت مرفوضة،وهكذا كانت السودان في العهد الملكي جزءا لايتجزأ من التراب المصري[3]،وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م التي حركت المياه الراكدة ، وغيرت موازين القوى،وكان هدف عبد الناصر ومعظم قيادة مجلس الثورة جلاء الإنجليز من مصر والسودان[4]،ووافق عبد الناصر وقيادة مجلس الثّورة في نوفمبر١٩٥٢م على تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتي،وتهيئة الجو الحر المحايد الذي لابد من توافره لتقرير المصير،وبدأت المفاوضات بقيادة محمد نجيب ومعاونة الصاغ أركان حرب صلاح سالم ومحمود فوزي وحسين ذو الفقارصبري أخو علي صبري مدير مكتب عبدالناصرممثلين عن الجانب المصري وبين»سير ستفيفنسون ومستر باروز ممثلين من الجانب البريطاني واتفق الطرفان على مدة انتقالية بثلاث سنوات(١٩٥٣-١٩٥٦م) وخلال هذه المدة شهدت فيها العلاقة بين القطرين خلافات ومشاكل تداخلت وتشابكت وكان أهمها صراع عبدالناصر ونجيب على الحكم وإزاحة الأخير عن حكم مصر وسجنه تحت الإقامة الجبرية في معتقل المرج تحت حراسات مشددة من

(١) المرجع نفسه،ص٣٨٩ومابعدها.

(٢) ميخائيل، سعد، السودان بين عهدين، مرجع سابق،،ص٣٩٣.

(٣)للمزيد ينظر: رمضان،عبدالعظيم، اكذوبة الإستعمار المصري للسودان، مرجع سابق،ص١١

(٤)) وفي ليلة ٢٣يوليو١٩٥٢م نجح مجموعة من الضباط الاحرار القيام بالثورة بقيادة اللواء محمد نجيب،وجمال عبد الناصر والتي كبدت جنود الاحتلال البريطاني خسائر فادحة في الأرواح،والمعدات ،وأرقت مضاجعهم،وبدعم من جميع طوائف المجتمع المصري،وتم توقيع اتفاقية الجلاء يوم الثلاثاء ٢٧ يوليو١٩٥٣م،وقع عليها من الجانب المصري جمال عبدالناصر،مع الجانب البريطاني بالحرف الأولى،واتفقا على إلغاء معاهدة عام ١٩٣٦م،وجاء فيها يتم جلاء جميع القوات البريطانية جلاء تاماً عن الأراضي المصرية، بحيث تقدم الحكومة المصرية جميع التسهيلات لنقل الجنود والمعدات.للمزيد ينظر:الشيال،جمال الدين،وآخر قضية الكفاح بين العرب والاستعمار،القاهرة ،دار المعارف،ط٢،١٩٦٠م،ص٣١٢-٣١٣.، مجموعة مؤلفين، اتفاقية الجلاء،إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة،مطبعة التحرير-القاهرة،ب(ط،ت) ص٦٢٥وسالم، صلاح، الجلاء دار المعارف- القاهرة ب(ط،ت)ص١١ ومابعدها.

المخابرات المصرية لمدة ست سنوات[١] ، والسبب الثاني تسليم ملف السودان للصاغ صلاح سالم الذي لم يكن مؤهلاً لحمل هذا الملف الحساس والمصيري بين البلدين ،والأمر الثالث خذلان النظام الجديد عن الأخوان وحظر نشاطها واعتقال قياداتها وأعضائها والتنكيل بهم و كانت من الأسباب التي دفعت إخوان السودان لحشد جماهيرهم لدعم انفصال السودان عن مصر،والأمر الرابع يرى الحزب الشيوعي السوداني وما تعرضت له فروعه في مصر من سجن وتنكيل كان كفيلا للحزب في السودان أن يقاوم فكرة الوحدة مع مصر؛لأنه عدّ أن فيها هلاكه،والأمرخامس يرجع انفصال السودان عن مصر إلى إملاءات خارجية لمخطط أميريكي بريطاني لفصل السودان عن مصر عبر أنور السادات وعلي صبري لاستمرار الدعم والتأييد لثورة يوليو١٩٥٢م،والامر السادس يرى عدم اهتمام مجلس قيادة الثورة بقضية السودان بل ظل في ذيل قائمة المجلس ويجهلون معرفتهم بالسودان وبالتضحيات التي قدمها أبناء السودان من اجل وحدة وادي النيل واللغة والثقافة والربط بالمواصلات السريعة منها السكك الحديدية وتحسين جودة الإذاعة والصحف بل خلقوا قطراً سودانياً خارج القطر المصري[٢]،ومن المفارقة التاريخية أن الحزب الاتحادي الذي تشكل في منزل محمد نجيب اكتسح الانتخابات مقاعد مجلس النواب والشيوخ السوداني،واستحوذ على الحقائب الوزارية كافة وتشكلت الحكومة برئاسة إسماعيل الأزهري حليف مصر الذي دخل معركة انتخابية شرسة مع حزب الأمة والشيوعيين،وفي ٣٠ أغسطس وافق البرلمان على إجراء استفتاء عام لتحديد مستقبل البلاد السياسي ،وفي ١٢ نوفمبر١٩٥٥م وافقت بريطانيا على الانسحاب من السودان ، وفي ١٩ ديسمبرعقد البرلمان السوداني جلسته التاريخية التي أعلن خلالها رئيس الوزراء إسماعيل الأزهري استقلال السودان بدون استفتاء شعبي[٣]،وقد أعلنت جمهورية السودان رسميا في أول

(١)نجيب، محمد،مذكرات كنت رئيسا لمصر،مرجع سابق ،ص٢٩٠ ومابعدها.

(٢) نجيب ،محمد ، كنت رئيسا لمصر، مرجع سابق،ص٢٧٨،ميخائيل، سعد، السودان بين عهدين، مرجع سابق،ص٨.

(٣) لمعرفة أسباب انفصال السودان مصر ينظر:نجيب، محمد، مذكراته كنت رئيساً لمصر،مرجع سابق، ص٢٦٤ومابعدها ،كشك، محمد جلال، كلمتي للمغفلين،ط٣، الزهراء للاعلام العربي،ص ١٦ ومابعدها حماده،وسعد،الدين الشاذلي،شهادته على العصر،مع أحمد منصور،قناة الجزيرة،رابط الكتروني(v=dC9em6D5UuI&feature=youtu.be&fbclid=I-wAR1k4wVu0hnAzJZ0V4BkgNVRDAsxEp(oCxU7Jozbr77nEfXg46YJzT5E5n-fk،»كيف ابتعد السودان عن مصر» حمادة جمال ،صحيفة،الاهرام المصرية، بتاريخ الاثنين١٧ سبتمبر٢٠٠٧م،ص٤، رمضان،عبدالعظيم،اكذوبة الاستعمار المصري للسودان،مرجع سابق،ص١٣ومابعدها

يناير١٩٥٦م،وفي ١٨ يونيو١٩٥٦م استقلت مصر استقلالاً كاملاً بعد خروج آخر جندي بريطاني من أراضيها.

٣-٣- تحرر الصومال الكبير:

لقد كانت الصومال مقسمة على خمسة أقاليم كلها للاستعمار الأوروبي فهناك الاستعمار الإنجليزي في الصومال الشمالي، والاستعمار الإيطالي في الصومال الجنوبي والصومال الفرنسي في جيبوتي،والاستعمار الإنجليزي في إقليم إنفذى بشمال كينيا،والاستعمار الأثيوبي في الصومال الغربي أو أوجادين[١]،وقد نشأت الحركة الوطنية الصومالية في أحضان رجال الدين[٢] ،وبعد الحرب العالمية الثانية، وبعد أن دخلت إيطاليا بجوار المانيا الحرب في يونيو١٩٤٠م بدأت بريطانيا بدعم الحلفاءوبتسييرجنود من (إثيوبيا) و(نيجيريا)و(غانا) والسودان وهنود وقد استهدفت المرحلة الأولى من الحملة العسكرية إخراج إيطاليا من إثيوبيا والصومال البريطاني الذي ضمه الإيطاليين في العام ١٩٤٠م، وكانت المهمة الثانية هي صد الخطر الإيطالي على مستعمرات بريطانية اخرى هي السودان بيد القائد العسكري الكولونيل» وينجتWingate»[٣]، وهكذا حل المستعمر البريطاني محل المستعمر الايطالي[٤]،وانتهى الحكم الإيطالي للحبشة في العام١٩٤٧م[٥]وظهرت أحزاب وجمعيات وطنية مثل حزب الشباب الصومالي،وحزب الرابطة الصومالي،وكلها تدعو إلى استقلال الصومال الكبير ووحدته ، في العام ١٩٤٩م قررت هيئة الأمم المتحدة أن تصبح تحت وصاية الأمم المتحدة ثم دولة مستقلة ذات سيادة بعد عشر سنوات وأن تكون إيطاليا هي الدولة الوصية نيابة عن الأمم المتحدة وأن يكون للهيئة مجلس استشاري مقيم في الصومال يضم ممثلين عن مصر والقلبيين وكولومبيا ومهمته مراقبة عملية نقل الصومال من مرحلة الوصاية إلى مرحلة الإستقلال[٦]، ونتيجة لهذه الجهود أعلن استقلال الصومال الشمالي في ٢٦ يونيو عام ١٩٦٠م بينما أعلن استقلال الصومال الجنوبي في أول يوليو من العام١٩٦٠م،وفي اليوم الثاني من يوليو ١٩٦٠م اجتمعت الجمعية الوطنية في الصومال الجنوبي والمجلس التشريعي للصومال الشمالي في قاعة البرلمان بمقديشو،وفي جو يسوده الابتهاج والفرح تم اتحاد الإقليمين لتظهر الجمهورية الصومالية. ومنذ العام ١٩٦٠م

(١) أديجوموبي،ساهيد،تاريخ إثيوبيا، مرجع سابق،ص ١٦٧،١٢٣،الشيخ،رأفت، تاريخ العرب المعاصر، مرجع سابق، ص٩٨،صوار، أحمد، الصومال الكبير، مرجع سابق ،ص٧٠ ومابعدها

(٢)سبق الاشارة له.

(٣) أديجوموبي،ساهيد،تاريخ إثيوبيا، مرجع سابق،ص١٣٢.

(٤) المرجع نفسه ،ص١٣٤.

(٥) المرجع نفسه ،ص١٦٥

(٦)الشيخ، رأفت، المرجع السابق ،ص٩٨.

أخذت جمهورية الصومال تسعى لتكوين الصومال الكبير ومن ثم توترت علاقاتها مع كينيا بسبب إقليم أنفذي،وأصطدمت مع إثيوبيا بسبب إقليم أو جادين، كما عملت فرنسا على إعلان استقلال جيبوتي ،ومن ثم لم تتحقق وحدة الصومال الكبير حسبما حددت جمهورية الصومال في دستورها[١].

٤-٣- اليمن وحركات التحرير:

١-٤-٣شمال اليمن:

في ١٧ اكتوبر ١٩٢٤م تقدم المصلح التونسي عبدالعزيز التعالبي بمشروع تحديثي وتوحيدي يهدف إلى مؤتمر يمني عام يجتمع فيه بعض من السلاطين والمستنيرين من المناطق الجنوبية والشرقية مع الإمام يحيى لإعلان الوحدة اليمنية لكنّ الإمام رفض المشروع[٢]؛ لأن الثعالبي قدّم له برنامجاً لإصلاح نظام الحكم في اليمن،وهذا لايتفق مع رؤية الإمام في الحكم الملكي المتخلف[٣]،وفي العام١٩٤٠م تشكلت في القاهرة أول منظمة سياسية عرفت باسم كتيبة الشعب اليمني التي عبرت عن رغبتها في تجدير المعارضة في الداخل للدفع بطموحات المعارضة إلى الأمام،وفي العام التالي كانت الرؤية أشمل وأوسع عندما أصدرت قوى المعارضة برنامج هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وقدمت هذه المطالب للإمام يحيى ثم لابنه سيف الإسلام أحمد اللذين أخذا يطاردان رموز المعارضة[٤]،وخلال المدة(١٩٤٠-١٩٤٥م فقد عملت بريطانيا على بعض من الاصلاحات والانفتاح السياسي لبعض الصحف المعارضة لحكم الإمامة المتخلف في شمال اليمن بعد تأمين مواقعها في جنوب اليمن في عدن ومحمياتها الجنوبية بعد فرض معاهدات الاستشارة ،وتعهد فيها حكامها بقبول نصائح والي عدن في أمور الشؤون الإدارية في مناطقهم[٥]، وفي ٤ يناير١٩٤٦م صدرت جريدة (صوت اليمن) في عدن التي أصدرتها الجمعية اليمنية الكبرى وأخذت تفضح ممارسات الإمام الظالمة تجاه الشعب ،وتطالب بالإصلاح والتغيير،وإقامة حكم دستوري لأول مرة[٦]،وفي يونيو عام ١٩٤٧م، وصل مدير جمرك الحديدة،أحمد

(١) الشيخ،رأفت،تاريخ العرب المعاصر، مرجع سابق،ص٩٩. صوار، أحمد، الصومال الكبير، مرجع سابق،ص٧٠-٧٢.

(٢)للمزيد ينظر: الثعالبي، عبدالعزيز، الرحلة اليمنية(١٢اغسطس-١٧ اكتوبر١٩٢٤م)، تحقيق، حمادي الساحل،دار العرب الاسلامي،بيروت،ط١،١٩٩٧م،ص٥-٦.

(٣)العشملي،محمد أحمد،التاريخ السياسي للدولة اليمنية الحديثة من الشتات والانغلاق إلى الوحدة،مركز النهار للدراسات،ط١،٢٠٠١م،ص٣٥.

(٤)طوحل، خالد عبدالله، العوالق وتكوينها السياسي الحديث،مرجع سابق،ص٢٧١.

(٥) لقمان، حمزة علي، تاريخ القبائل اليمنية،دار الكلمة،صنعاء،ط١،١٩٨٥م،ص١٨٠.

(٦) الذيفاني، عبدالله أحمد يحيى، الاتجاه القومي في حركة الأحرار اليمنيين١٩١٨-١٩٤٨م،دار الفكر المعاصر،بيروت،ط١،١٩٩٩م،ص١٠٧-١٠٨.

طاهـر رجـب إلى جزيـرة كمران،التقـى هنـاك في عـرض البحـر المسـؤول البريطانـي عـن الجزيرة،،تومسـونD.Thomson» ووضـح لـه خـلال اللقـاء أن الوضـع في اليمـن ينـذر بثـورة ضـد نظـام أسرة آل حميـد الديـن، وأن ولي عهـد اليمـن أصبـح خائفاً على حياتـه وضيـاع عـرش أسرته،ووصـف المسـؤول اليمنـي الروتلانـي، بأنـه رجـل ثائـر خطير،ويعتقـد أنـه سـيكون المستشـار الاقتصـادي للحكومـة المنتظرة.وقـال:إن الإمـام ، قـد أصـدر منشـورات سريـة، يحـذر التجـار مـن عـدم التعامـل مـع الورتلاني،وأمر رجالـه بمراقبـة تحركاتـه والحـد مـن نشـاطه. وتوتـر العلاقـات بـين الإمـام والسـيد الورتلانـي، الـذي سـارع إلى إعـداد الخطـة مـع احـرار اليمـن للإطاحـة بنظـام الإمام يحيـى بـن حميـد الديـن[1]، وفي١٧ فبرايـر١٩١٨م، نفـذت مجموعـة مـن الأحـرار في الداخـل اغتيـال الإمـام يحيى،ولكنهـا أخفقـت في قتـل ولي العهـد أحمـد نجـل الإمـام الأكبر[2]وأعلـن الأحـرار عـن قيـام الحكومـة الدسـتورية برئاسـة عبـد اللـه بـن أحمـد الوزير،وتـولى عـلي بـن الوزيـر رئاسـة الحكومـة في حـين تـولى ولـد الإمـام يحيـى ،سـيف الحـق إبراهيـم، الـذي كان ضمـن الأحـرار اللاجئـين في عـدن، منصـب رئيـس مجلـس الشـورى.إلا أن هـذه الحركـة لـم تسـتمر أكثـر مـن ثلاثـة أسـابيع بسـبب مـا لاقتـه مـن معارضـة في الداخـل والخـارج إذْ سـقطت الحركـة عـلى يـد أنصـار ولي العهـد الإمـام أحمد،ووقـع الأحـرار فريسـة لسـيفه[3]وفي ١إبريـل١٩٥٥م قامـت مجموعـة مـن الضبـاط الشّـبان التابعـين لحامية مدينـة تعـز بحركـة مسـلحة ضـد الإمـام أحمـد فأحاطـت الوحـدات العسـكرية بالقـصر الملكـي وعـدد مـن المدنيـين اليمنيين،وبانضمـام شـقيقي الإمـام أحمـد عبداللـه والعبـاس وغيرهـم بالحركـة وفي طليعـة الضبـاط المقـدم أحمـد الثلايـا، والمـلازم محمدقائد،واسـتطاعوا مـن أجبـار الإمـام عـلى التنـازل عـن العـرش، والاعتـزال عـن حكـم اليمـن ، وعقـب الحركـة وصلـت الأنبـاء إلى مـصر، فتلقـت مـصر تلـك الأخبـار بتحفـظ وقامـت بإرسـال الكبـاشي المقـدم حسـين الشـافعي إلى اليمـن في ٣إبريـل لأجـل احتـواء الانقـلاب وعـودة الأوضـاع في اليمـن إلى ماكانـت عليـه في السـابق تحـت مـبرر عـدم انـدلاع حـرب أهليـة ومنـع التدخـل الأجنبـي ولاسـيما بريطانيـا المحتلـة لجنـوب اليمـن ،وتمكـن الإمـام أحمـد بقواتـه المرابطـة في جبـال حجـة مـن التصـدي للانقـلاب،وفي ٥ إبريـل مـن العـام نفسـه مـن القضـاء عـلى الانقلاب،وعـودة الإمـام أحمـد للسـلطة

(١)طوحل، خالد عبدالله»مصر واليمن «العلاقة» ١٩٣٤-١٩٦٧م،مرجع سابق،ص١٠٢

(٢) الشـماحي، عبداللـه بـن عبدالوهاب، اليمـن الإنسـان والحضـارة،دار الكلمة،صنعـاء،ط١٩٨٥،٣م، ص١٩١،والشـامي،أحمد محمـد، رياح التغيـير في اليمن،المطبعـة العربية،جـدة١٩٨٤م،ص٢٨٩-٢٩١. مجموعـة مؤلفـين، ثـورة ١٩٤٨م الميلاد والمسـيرة، صنعـاء،ط١،ص٢٦٠

(٣) الحلوجـي، عبدالسـتار، الزبـيري شـاعر اليمـن، مطبعـة الكيلانـي، القاهـرة، ١٩٦٨م،ص٣٥ ومابعدهـا.

مـرة أخرى[١]وهكـذا ظـل حكـم الإمـام أحمـد بـن حميـد الديـن يتعـرض لكثـير مـن القلاقـل إذْ بـدأ تنظيـم الضبـاط الأحـرار يخططـون للإطاحـة بنظـام الإمامـة الـذي لا يتناسـب وظـروف العصر،وأنـه لابـد مـن القضـاء عليه،وإقامـة حكومـة جمهوريـة دسـتورية باليمـن، وقـد ظـل تنظيـم الضبـاط الاحـرار[٢] يعمـل عـلى تحقيـق مشروعهـم الوطنـي، حتـى نجحـوا في النهايـة مـن تفجـير الثـورة في صبيحـة ٢٦ سـبتمبر١٩٦٢م،وتم إلغـاء نظـام الإمامـة الملكـي وإعـلان الجمهورية[٣]وأعلنـت الثـورة أهدافهـا السـتة وإعـلان الدسـتور ،وهـرب الإمـام البـدر مـن قـصر البشـائر إلى العربيـة السـعودية وشـكل نـواة الثـورة المضـادة عـلى الحـدود اليمنيـة السـعودية ،وفي ٢٨ سـبتمبر هبطـت أول طائـرة مصريـة تنقـل أوائـل طلائـع الجيـش المـصري لدعـم وحمايـة الثـورة اليمنيـة،وفي ٢٩ سـبتمبر اعترفـت مـصر بالجمهوريـة في ثالـث يـوم مـن قيامها[٤]،ومـع بدايـة شـهر أكتوبـر مـن العـام نفسـه وصلـت إلى مينـاء الحديـدة بعـض الطائـرات والسـفن الحربيـة المصريـة تحمـل أسـلحة وذخـيرة وجنود لدعـم الجمهوريـة والنظـام الجمهـوري[٥]،وفي مطلـع شـهر نوفمـبر١٩٦٢م بلـغ عـدد القـوات المصريـة باليمـن إلى ثمانيـة ألـف عسـكري[٦]،وفي ٨نوفمـبر ١٩٦٢م عقـدت معاهـدة صداقـة وتعـاون مشـترك بـين الجمهوريـة العربيـة اليمنية،وجمهوريـة مـصر العربية،وقعهـا عـن الجانـب المـصري السـيد أنورالسـادات،وعن الجانـب اليمني

(١)أوبلانس،ادجار،اليمـن الثـورة والحـرب حتـى ١٩٧٠م، ترجمـة وتعليق،د,عبـد الخالـق لاشـين، دار الرقـي، بيروت،ط١،١٩٨٥م،٩٨،العشـملي،التاريخ السـياسي للدولـة الحديثـة، مرجـع سـابق،ص٦٣،الاخبار المصريـة، العـدد٨٦٦، السـنة الثالثـة، بتاريخ٤إبريـل١٩٥٥م،ص٢.

(٢) الـذي تشـكل عـلى غـرار تنظيـم الضبـاط الأحـرار بمـصر الـذي لـم يكـن بمعـزل تـام عمـا يجـرى في السـاحة العربيـة مـن تطورات،فقـد كان يتابـع الأحـداث ويحـاول أن يتحسـس مالهـا مـن تأثـيرات في الاوضـاع السياسـية في اليمـن بالدرجـة الأولى وكان مـن الطبيعـي أن يهتـم تنظيـم الضبـاط الأحـرار في تلـك المـدة بموقـف مـصر بوصفهـا الدولـة العربيـة الأقـدر عـلى مسـاندة العمـل الوطنـي في اليمـن الـذي كان عـلى تواصـل بالزعيـم جمـال عبدالنـاصر مـن خـلال القائـم بأعمـل سـفارة مـصر باليمن.للمزيـد ينظـر: طوحل،خالـد عبدالله، ومـصر واليمن»العلاقـة»١٩٣٤-١٩٦٧م، مرجـع سـابق،ص١٧٢.

(٣)طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن، مرجع سابق،ص١٤٧ومابعدها

(٤)جولوبوفسـكايا،ايلينا، ثـورة ٢٦ سـبتمبر في اليمـن، ترجمـة قائـد محمـد طربوش،بـيروت لبنـان-دار ابـن خلدون،ط١،١٩٨٢م،ص٢٨٠.الظاهـري، الـدور لسـياسي للقبيلـة في اليمـن١٩٦٢-١٩٩٠م،مكتبـة مدبولي-القاهرة،ط١،١٩٩٦م،ص١٣٦.،فتـاة الجزيرة،العـدد٢٠٢٥، بتاريـخ الاول مـن اكتوبـر سـنة ١٩٦٢م،ص٢.

(٥)طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن ، مرجع سابق،ص١٨٧-١٨٨.

(٦)مجموعـة مؤلفين،سـوفيت، تاريـخ اليمـن لمعـاصر، ترجمـة محمـد عـلي البحر،مكتبـة مدبـولي-القاهرة،ط١،١٩٩١م،ص١٣٢.ناجـي سـلطان، التاريـخ العسـكري لليمـن ١٨٣٩-١٩٦٧م،دار العودة بـيروت،ط١،١٩٨٥م،ص٢٢١.

المشير عبدالله السلال[١]،وأبرمت هذه الاتفاقية لمدة ثمان سنوات قابلة للتجديد، وأعطت هذه المعاهدة الصبغة الشرعية لوجود القوات المصرية في اليمن الشمالي وفي حماية ومساندة الثورة اليمنية ضد القوى المناوئة للثورة وحماية نظامها الجمهوري الوليد[٢]ومع التوقيع على هذه الاتفاقية مباشرةً نشطت حركة إمداد القوات العسكرية المصرية إلى اليمن،وفي ١٤ اكتوبر ١٩٦٣م اندلعت الثورة في جنوب اليمن من جبال ردفان ، وفي نهاية العام ١٩٦٣م بلغ عدد القوات المصرية في شمال اليمن إلى ثلاثين ألف جندي، وفي العام ١٩٦٤م بلغ عددها إلى خمسين الف جندي،ثم توالت الزيادات لتصل الى سبعين الف جندي مع معداتها العسكرية المختلفة من طائرات وقاذفات ودبابات ،حتى عام ١٩٦٥م، وفي بداية العام ١٩٦٦م لم يبْقَ في اليمن سوى عشرة ألف جندي أي حوالي ستة ألوية مشاة مدعمة بخدمتها الإدارية واستمر هذا الوضع حتى قيام حرب النكسة عام ١٩٦٧م وابتدأ سحبها بالكامل تدريجياً بناء على اتفاقية السلام الموقعة بين مصر والسعودية في العاصمة السودانية الخرطوم في مؤتمر القمة العربية المنعقد في٢٩- ١سبتمبر١٩٦٧م وقد حضر المشير عبدالله السلال الذي وافق فيه عبدالناصر الانسحاب النهائي من اليمن خلال المدة من١٥أكتوبر- ١٥ديسمبر١٩٦٧م وعقد الاجتماع بين الرئيس جمال عبدالناصر والملك فيصل في منزل محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان حضره محمود رياض أمين عام الجامعة العربية،والأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودية وانتهى الاجتماع بالموافقة النهائية على السلام بين الجمهوريين والملكيين في اليمن[٣].

٢-٤-٣- جنوب اليمن:

وبعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر١٩٦٢م توجه الكثيرون من أبناء اليمن الجنوبي، ومنهم المئات من أبناء ردفان، والعوالق، والعواذل، إلى شمال اليمن للمشاركة في الحرس الوطني الذي قام للدفاع عن ثورة الشمال في مواجهة الثورة المضادة لنظام الإمامة المتخلف[٤]،وفي ١٤ اكتوبر ١٩٦٣م اندلعت الثورة

(١) للمزيد ينظر:طوحل ، خالد،مصر واليمن»العلاقة «، مرجع سابق،ص ١٣٦ومابعدها.

(٢) طوحل، خالد،مصر واليمن ، مرجع سابق،ص١٨٨.

(٣) للمزيد ينظر لنص الاتفاقية في كتاب: طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن،مرجع سابق،ص٣٣٨ومابعدها

(٤) المصري،أحمد عطية، النجم الأحمر فوق اليمن،مرجع سابق،ص١٣٢.طوحل، خالد عبدالله، العوالق وتكوينهم السياسي الحديث، مرجع سابق،ص،والغزالي، عبدالله صالح، قبائل ردفان(الاجعود)١٩٠٣-١٩٥٠م،ودراسة في أوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، رسالة ماجستير قدمت لمجلس كلية الاداب»غيرمنشورة»،عدن١٠١٩م،ص٩٢.

في جنوب اليمن من جبال ردفان، وفي ٢٣إبريل١٩٦٤م وصل الرئيس جمال عبدالناصر إلى صنعاء في زيارة لليمن استمرت ستة أيام،وقد اصطحب معه المشير عبدالحكيم عامر،وأنور السادات،وزكريا محيى الدين،وأحمد محمد نعمان،وحمود الجائفي،وكان الغرض من تلك الزيارة لليمن لتفقد القوات المصرية في اليمن وعن أحوالها السياسية والاقتصادية وترتيب البيت اليمني بعد قيام الثورة[١]، وفي اليوم الثالث وصل الرئيس عبدالناصر إلى مدينة تعز وعلى مرمى قريب من القوات البريطانية ألقى خطاباً تاريخياً في ميدان العرضي أمام عشرات الآلاف من الجماهير المحتشدة في ميدان العرضي ومعهم الأحرار من أبناء الجنوب النازحين إلى شمال اليمن الذي شردهم الاستعمار البريطاني من أبناء العوالق،والمصعبي،والمجعلي،والقطيبي،واليافعي.. ثم قال جملته الأشهر التي حملت في طياتها إنذاراً صريحاً وجازماً ودعماً معنوياً عالياً لثوار الجنوب اليمني المحتل:(إن بريطانيا التي تنظر إلى ثورتنا بكراهية وحقد، يجب أن تحمل عصاها على كتفها وترحل من عدن،إننا نعاهد الله على هذه الأرض المقدسة أن نطرد بريطانيا من كل جزء من الوطن العربي)[٢] وأردف قائلاً:(لقد بذلنا الدماء وضحينا بالأرواح وحققنا النصر وسنبذل الدماء ونضحي بالأرواح ونحقق النصر في اليمن كما حققناه في مصر)[٣]، لقد كان لخطابه التاريخي في زيارته التاريخية إلى اليمن أثر كبير ومعنوي قوي في ثوار سبتمبر واكتوبر في الجنوب اليمني المحتل،وبدأت مصر تعد العدة لمساندة الكفاح المسلح في جنوب اليمن فاقامت معسكرات في تعز لتدريب المتطوعين على استعمال السلاح،وحرب العصابات،وكانت تزودهم بالأسلحة بعد انتهاء مدة تدريبهم وتنظيمهم في وحدات عسكرية صغيرة[٤] وقد اطلق على هذه العملية اسم»صلاح الدين[٥]،وقد امتد عمل العملية صلاح الدين بحيث أصبحت قيادة

(١) أبو لحوم، سنان،مذكرات،اليمن حقائق ووثائق عشتها،مطابع سجل العرب،القاهرة،ط١،١٩٩٩م،ج١،ص٩٩،فسكايا،أيلينا،التطور السياسي للجمهورية اليمنية،٦٢-١٩٨٥م،مركز الدراسات والبحوث اليمني،سلسلة دراسات وأبحاث،ط١،٢٠٠١م،٧٠.

(٢) طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن، مرجع سابق،ص٢٨٧،٢٨٦.

(٣) المرجع نفسه،ص٢٥٣-٢٥٤.

(٤) الإمام صلاح حسين الشافعي،أسرار ثورة يوليو وحكم السادات،مكتب اوزيريس للكتب والمجلات، القاهرة،ط١،١٩٩٣م،ص٩٢.

(٥)رياض، محمود،مذكرات،الأمن القومي بين الإنجاز والفشل، المؤسسة العربية للدراسات،ط١،٢٠٠٦م،ص٢٧٢.الديب،فتحي، عبدالناصر وحركة التحرر اليمني،دار المستقبل العربي،ط١،١٩٩٠م،ص١١٤

مستقلة تتبع رئاسة الجمهورية في القاهرة تحت إشراف المخابرات العامة[١]، وهكذا فإن خطاب ناصر في مدينة تعز له الأثر الكبير مع دعائية إعلامية واسعة وشاملة ومركزة من راديو صنعاء وتعز،والقاهرة بإذكاء الروح الوطنية ضد المستعمر البريطاني واستمر الثوار في جنوب اليمن النضال على خطى القومية العربية حتى تمكن الثوار من إجبار بريطانيا بالانسحاب من الجنوب اليمني وجاء إعلان استقلال الجنوب اليمني عقب التوقيع في جنيف على اتفاقية الاستقلال بين وفد الجبهة القومية برئاسة قحطان محمد الشعبي، ووفد المملكة المتحدة بريطانيا برئاسة اللورد شاكلتون، وقد أذاع القصر الملكي في لندن مرسوماً من الملكة إليزابيت يعلن فيه»أنها الحماية التي كانت تمارسها جلالته على محميات الجنوب العربي»[٢]،وفي اليوم التالي تم توقيع وثيقة تسليم السلطة ونقل السيادة إلى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية التي أعلن مولدها في منتصف ليلة ٣٠نوفمبر١٩٦٧م.

الخاتمة: وبعد رحلة البحث الطويلة استطعت أن أصل إلى نتائج وتوصيات مهمة منها:

أولاً: النتائج:

١. بينت الدراسة أن هناك جذوراً تاريخية ارتبطت بها حضارة دول حوض البحر الأحمر ولاسيما دول الساحل الغربي مع اليمن .
٢. أثبتِ الموقع الجغرافي لليمن ودول الساحل الغربي في حوض البحر الأحمر أهميته بما يقارب بين شعبي البلدين ولاسيما اليمن ومصر الأولى في الجنوب والثانية في الشمال بوابتين حصينتين لدول الساحل الغربي يجب المحافظة عليهم ودعم أمنهم واستقرارهم للحفاظ على استقرار دول الحوض الشريان العالمي الذي يربط الشرق بالغرب.
٣. بينت الدراسة للإسلام وفتحه للدول الساحل الغربي أثر غني وكبير عزز من توحيد دول حوض البحر الأحمر فيما بينها البين أمام الغزاة الطامعين لاحتلال دول حوض البحر الأحمر.
٤. لقناة السويس أثر بعد افتتاحها ١٨٦٩م إذْ قوت وعمدت روابط الصلة وطورتها بين دول حوض البحر الأحمر ولاسيما اليمن والساحل الغربي على الساحة الإقليمية والدولية لاسيما بين دول الشرق والغرب وهذا يعني غزارة الاستمرار لتاريخ البلدان المطلة على حوض البحر الأحمر لتاريخ

(١) طوحل، خالد مصر واليمن، مرجع سابق،ص٢٩٠.

(٢) العلس،أسمهان عقلان، مفاوضات استقلال جنوب اليمن، الوثائق الأصلية،دراسة وثائقية وتحقيق،دار النشر،ط١،١٩٩٧م،ص٢١

البلدان منذ أقدم العصوروحتى الفتح الإسلامي وما اعقبه من دول متعاقبة وصولاً إلى النهوض الاستعماري- إذا جاز القول- الذي حاول الاستحواذ على دول الساحل الغربي ولقد أشرت إلى ذلك في متن البحث.

٥. للعلاقات التجارية موقع مهم للغاية في الصلات بين دول ساحل البحر الاحمر عبر الشق البحري بينهما وهو البحر الأحمر الأثر الأكبر في تعضيد هذه الصلة.

٦. تؤدي الاتجاهات القومية والسياسية- وقد تصحبها- الايدولوجيا أيضاً دوراً في تجمع مصالح هذه الشعوب وهذا يجري على كل القوميات سواء العربية أو الأوروبية أوغيرها ولكن تغلب مسالة احتلال أي بلد على تناقض بين البلدان وهذا ماوحدّ اليمن ودول الساحل الغربي على مر العصور ووضعها في لحظة واحدة ضد المستعمر الأوروبي.

٧. كان تأثير مصرواضحاً على بعض دول الساحل الغربي ولاسيما اليمن والسودان والصومال والوقوف إلى جانبهم في التحرير ناهيك عن التأثير الثقافي والقومية العربية والجامعة العربية والبعثات العلمية وقضايا الثورة والاستقلال وهذا ما عزز العلاقات والصلات على مر العصور.

وفي الاخير أرى أن تاريخ عظمة علاقة اليمن بدول الساحل الغربي ولاتحكمها خريطة الموقع أو الاتصال الجغرافي فقط، إنما يحكمها موغل علاقتهما منذ التاريخ القديم غير أن الظروف السياسية والمتغيرات الدولية الإقليمية القائمة اليوم لها أثر بشكل أو بأخر وما يجري في اليمن من حرب على مدى خمس سنوات،وبعض من دول الساحل من هجرات ونزوح إلى اليمن قد تؤثر في أوضاع دول حوض البحر الأحمر في المستقبل واستقرارها وقد تشل من حركة التجارة الدولية العالمية أو تساعد في عودة الاحتلال إلى تلك المنطقة والمضايق أن مايجري اليوم في اليمن والعراق وسوريا وليبيا ليس بالسهل كما يعتقد البعض.

ثانياً: التوصيات:

وأرى أن أوصي لحركة هذه العلاقة بين اليمن ودول الساحل الغربي في حوض البحر الأحمر على النحو الآتي:

أولاً: أن أمن اليمن واستقراره تصب في مصلحة شعوب دول حوض البحر الأحمر لذا يتوجب على دول حوض البحر الأحمر والجامعة العربية والأمم المتحدة وكل الاتحادات السياسية أن تساعد اليمن في وقف الحرب والسعي إلى الحلول السلمية وتثبيت الأمن والاستقرار في بوابة البحر الأحمر الجنوبية.

ثانياً: يجب ألا تطغى دولة على دولة أخرى من دول حوض البحر الأحمر مهما كان ثقلها وقوتها.

ثالثاً: محاولة الانتباه للدس بين دول حوض البحر الأحمر بشكل عام والدفع بتعميد وحدة قرارات هذه الدول عبر رابطة تجمع دول الحوض أو الإطار العربي أو الاقليمي ؛ لان هذا الشريان يمثل البعد الاقتصادي والمالي لبلدان حوض البحر الأحمر وأن أي تدخل في مصائر هذا البحر ومضايقة الاستراتيجية قدر الإمكان ومن يعتقد أنه سيكون الناجي الوحيد بعد الحرب أو الاحتلال فهو واهم،ومن لم يستفد من تجارب الماضي،لن يتمكن من النجاح في المستقبل،وأرى ضرورة وجود مراكز ودراسات استراتيجية متخصصة في دراسة هذه العلاقة بين دول حوض البحر الأحمر على مدى(٢٠) عاماً قادمة بما تحميها ويوطد رسوخها وينميها ويطورها ونحن لسنا أقل من الغرب..بل ويُعَدُّ هذا المؤتمر وهذا المركز هي البذرة الأولى لدول حوض البحر الأحمر ويفتح مجالاً واسعاً للعمل الجاد والتعاون المستمر والمثمر لتحقيق المصالح والغايات والأهداف الكفيلة بإبعاد المخاطر عن دول حوض البحر الأحمر ومضيق باب المندب وقناة السويس وحماية أمنها القومي.

الأهمية الاقتصادية والتجارية لموانى الساحل الغربي للبحر الأحمر وأثرها على دولة المماليك (٩٢٣/٦٤٨هـ/١٥١٧/١٢٥٠م)

د. نفيسية عبد القادر الحسن - أستاذ مشارك جامعة الجزيرة كلية الأداب قسم التاريخ
د. نجلاء عبد الله محمد - أستاذ مساعد (جامعة بحرى /كلية العلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Abstract

This research, entitled The Economic and Commercial Importance of Ports of the West Coast of the Red Sea and its Impact on the Mamluk State Trade, aims at identifying the ports of the western coast of the Red Sea and the importance of these economic and commercial ports of the Mamluk state. The researcher used the narrative historical approach with the information analysis of the events in order to clarify its role in the transportation of goods and pilgrims' movement between them .It also aims at finding out its relationship with other ports on the coasts of the Indian Ocean and its impact on the export and incoming movement at the level of international and local trade and the amount of goods that were circulated in these ports and their diversity. The research attained many results, the most important of which were that the western ports of the Red Sea served the trade movement before Islam and continued this role during the Islamic era and in particular the era of the Mamluk state that realized the importance of the Red Sea the movement of international trade, and the types of commodities exported and imported through the western coast ports of the Red Sea flourished and relations flourished Trade between the ports of the western coast of the Red Sea, the ports of Southeast Asia, the ports of southeastern Africa and the coasts of the

Arabian Peninsula.

The research came up with many recommendations .The most important of which are that , studies on the Red Sea in general and ports in particular need further research and scrutiny, moreover, the universities should adopt a proposal to rewrite the history of the Red Sea

المستخلص: ـ

يهدف البحث بعنوان الأهمية الاقتصادية والتجارية لموانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر وأثره على تجارة دولة المماليك الى التعرف على موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر ومدى أهمية هذه الموانئ الاقتصادية والتجارية لدولة المماليك. واستخدمت الباحثة المنهج التاريخي السردي مع تحليل المعلومات والاحداث من اجل توضيح دورها في نقل السلع والمسافرين الحجاج فيما بينهما وعلاقتها بالموانئ الأخرى على سواحل المحيط الهندي وأثرها في حركة الصادر والوارد على مستوى التجارة الدولية والمحلية وكمية السلع التي تم تداولها في هذه الموانئ وتنوعها. وتوصل البحث الي العديد من النتائج أهمها خدمت الموانئ الغربية للبحر الأحمر حركة التجارة قبل الإسلام واستمرت بهذا الدور خلال العصر الإسلامي وبشكل خاص عصر دولة المماليك التي أدركت أهمية البحر الاحمرفى حركة التجارة الدولية، وتعددت أنواع السلع الصادر والوارد عبر موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر و ازدهرت العلاقات التجارية بين موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر وموانئ جنوب شرق اسيا وموانئ جنوب شرق افريقيا وسواحل الجزيرة العربية وختم البحث بتوصيات أهمها ان الدراسات حول البحر الأحمر بصوره عامة والموانئ بصورة خاصه تحتاج لمزيد من الدراسة والتمحيص ، وان تتبني الجامعات مقترح إعادة كتابة تاريخ البحر الأحمر .

مشكلة البحث: ـ

تعتبر دراسة الأهمية الاقتصادية لموانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر وأثره على تجارة دولة المماليك من الدراسات المهمة، لذلك كلفت الكتابة فيها مزيدا من الوقت والاجتهاد حتى خرج بصورته النهائية.

اهمية البحث: ـ

تأتى أهمية الدراسة في ان البحر الأحمر يتمتع بموقع استراتيجي من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية كافة، اذ انه يتوسط قارات العالم القديم (اسيا وأفريقيا واوربا) وان موانئه تبوات أهمية كبيرة في تجارة العالم حتى العصر الوسيط إذا اضفنا لذلك ان الدول الإسلامية عبر عصورها أدركت أهمية السيطرة عليه وجعله بحرا إسلاميا خالصا خصوصا في مواجهة المخططات الصليبية تجاه المنطقة العربية سيما في العصر الأيوبي.

اهداف البحث: ـ

١. معرفة موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر
٢. الأهمية الاقتصادية لموانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر لتجارة دولة المماليك
٣. الكشف عن مصادر دخل تلك الموانئ لدولة المماليك

منهج البحث: ـ

واستخدمت الباحثة المنهج التاريخي السردي مع تحليل المعلومات والاحداث

المقدمة: ـ

نشأت العديد من المؤانى على الساحل الغربي للبحر الأحمر قبل الإسلام خدمت العديد من الدول، وعندما جاء الإسلام وفرت الدول الإسلامية الامن والحماية لهذا البحر وجعلته بحرا إسلاميا تقديرا منها لأهميته الاستراتيجية والاقتصادية فازدهرت على سواحله العديد من المؤانى شكلت مراكز استراتيجية على خطوط الملاحة والتجارة الدولية ،وقد مثلت التجارة على سواحل البحر الاحمر رافدا رئيسا لخزانة بعض الدول الاسلامية،كما كان لموقع مصر الجغرافي الهام إثر كبير جعلها مركزا لتجارة العبور بين الشرق والغرب من خلال اشرافها على موانئ البحر الأحمر واتصالها بالبحر الأبيض المتوسط.

فقد ازدهرت مؤانى الساحل الغربي للبحر الأحمر وازدادت أهميتها

الاقتصادية والتجارية واشتهر منها ميناء عيذاب حيث وصفه المقريزي بانه من أعظم مراسي الدنيا. وكانت إيرادات تلك المؤانى تشكل مصدرا هاما من مصادر الدخل لدولة المماليك.

المحور الأول: ـ

ـــ موانئ ساحل البحر الأحمر الغربي: ـ

ـــ سواكن: ـ

تعد مدينة سواكن من المدن السودانية المهمة على مر العصور في البحر الأحمر لموقعها الجغرافي المميز , وتقع بين مينائي باضع وغيذاب وعلى مسافة ٤٠ميلا جنوب ميناء بورتسودان ، ويربط سواكن ممر مائي ضيق في شكل زراع يسمح بمرور السفن اليه من البحر.(١)

وسواكن من اقدم الموانئ السودانية، ويرجع تاريخها حسب بعض الروايات الى عهد سيدنا سليمان بن داؤود ، اى القرن العاشر ق.م ، وذكر ان اسم سواكن مشتق من لفظ (سواجن) وان سيدنا سليمان اتخذها سجنا للجن ، وقيل ان لفظ سواكن في اللغة الهندية تعنى المدينة البيضاء، وهى عباره عن جزيرة دائرية الشكل يربطها بالساحل جسر بني في عهد ممتاز باشا .(٢)

عرفت سواكن منذ القدم محطة لخدمة السفن التجارية العابرة للبحر الأحمر ، حيث يتم تزويد هذه السفن بالمياه وبعض المواد الغذائية ، كما انها كانت تعد من افضل المراسي في البحر الأحمر للحماية من العواصف البحرية ،ورد ذكر سواكن في العديد من المصادر والحقب التاريخية ،فقد ورد ذكرها عند قدماء المصريين ، والاغريق ، والرومان ، والعرب ، والأتراك العثمانيين، وتعتبر البوابة الأولى للبضائع القادمة من الشرق نحو مصر وحوض البحر المتوسط والمدن الاوربية .(٣)

تشبه سواكن عيذاب في نشأتها وطبيعتها والمكان التي وصلت اليها. واستفادت سواكن من الخراب الذى لحق بميناء عيذاب ، على يد المماليك في عام ١٤٢٦م ، وادى ذلك الى ازدياد نشاط حركة السفن نحو سواكن من الهند والصين وغيرها من مناطق التجارة في ذلك الوقت ،وقد كتب تاريخ جديد

(١)/ الحاج، عبد الرحمن حسب الله، العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان، منذ ظهور الإسلام وحتى ظهور الفونج ١٥٠٥م، امدر مان المطبعة العسكرية ،2005م، ص74،

(٢)/ ضرار، محمد سليمان صالح، امير الشرق، عثمان دقنه، ط1، الخرطوم، الدار السودانية للكتب ص١٦.

(٣)/ زين، نعيمة محمد، أهمية الموانئ السودانية عبر البحر الأحمر خلال العصر الإسلامي، كتاب غير دوري، القاهرة، مركز الدراسات السودانية، العدد ٤٦، ص ٦٣/٦٢.

لسواكن في مجال التجارة والملاحة في البحر الأحمر.[١]

تطلع المماليك في مصر للسيطرة على ميناء سواكن وذلك بعد استخدام ميناء سواكن من قبل الممالك النوبية المسيحية، ومساعدة ممالك النوبة المسيحية للصليبين لشن هجوم كبير على ميناء عيذاب شمال سواكن، حيث تمكن الصليبيون من تدمير عدد من السفن التي كانت راسية في الميناء، ولخوف المماليك من تكرر الهجوم، قام السلطان الظاهر بيبرس بأرسال حمله حربية في عام ١٠٧١م ، مما أدى الى فرار حكام المدينة وتمكنت القوات المملوكية من السيطرة عليها .[٢]

رغم السيطرة المملوكية على سواكن الا ان الميناء واصل دوره في خدمة التجارة الداخلية بين الممالك المسيحية والساحل السوداني، والتجارة الخارجية بين سواكن والموانئ الخارجية. ووفر المماليك الامن للساحل السوداني عموما وسواكن على وجه الخصوص، الامر الذي انعكس إيجابا على حركة السفن التجارية وانسيابها بصورة جيده الى الميناء وتواصلت الرحلات بين سواكن وجدة وموانئ اليمن. [٣]

ـــ عيذاب: ـ

تقع عيذاب على الساحل الغربي للبحر الأحمر في اعلي الصحراء المنسوبة اليها (صحراء عيذاب) تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وهى الجنوب من ميناء القصير .[٤] وكان ميناء عيذاب من اكثر الموانئ المرغوبة لدى رؤساء المراكب ، للرسو فيه . وذلك لقلة الشعب المرجانية في مياه عيذاب والتي تشكل خطرا يهدد الملاحة، وتسبب في تحطم السفن. [٥]

اما أهمية عيذاب، بدأت بالظهور خلال القرن الحادي عشر الميلادي، بنشاطها التجاري، ثم اخذت اهمية عيذاب تزداد. [٦] وهي من احفل مراسي الدنيا بسبب ان مراكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع منها زائدة على مراكب الحجاج الصادرة والواردة. وكانت عيذاب قد خدمت الحجاج لفترة استمرت أكثر من قرنين ويضاف الى أهميتها كمحطة للحجاج انها كانت محطة هامة

(١)/نفس المرجع ص 63.
(٢)/الحاج، عبد الرحمن حسب الله، مرجع سابق، ص76.
(٣)/ نفس المرجع ص77.
(٤)/الوليعي، عبد الله بن الناصر، معجم الأماكن الجغرافية في البحر الأحمر، المجلد الثاني، الرياض: دار الملك عبد العزيز،٢٠١٨، ٦٥٠.
(٥)/القلقشندي، احمد بن على (ت٨٢١ه/١٤١٨)، صبح الاعشى في صناعة الأنشاء، (أربعة عشرجزءا)، ج ٣، بيروت، دار الفكر ١٩٨٧، ص٥٣٦
(٦)/نفس المرجع والصفحة

لتجار كارم خلال القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين فاليها كانت تصل سلع الشرق، وتنقل منها الابل عبر الصحراء الى قوص ثم بالسفن النيلية الى الفسطاط حيث فندق الكارم .[١]

ـ القصير: ـ

ميناء على ساحل البحر الأحمر في مصر تبعد من مدينة القاهرة نحو ٦٤٠كم من اهم المدن التجارية وتقع جنوب مدينة الغردقة بنحو ١٤٠كلم من اهم المدن التجارية الواقعة على نهر النيل. [٢] وكانت في فترة الحكم الروماني لمصر محطة مهمة لربط التجارة الرومانية بعالم المحيط الهندي. وفى تاريخ مصر في العصور الوسطي كان ميناء القصير احد الموانئ الرئيسية التي يعبر منها حجاج مصر وشمال افريقيا الي موانئ الحجاز، واحدى المحطات المهمة لسفن التجارية المحملة ببضائع الهند والشرق الأقصى وافريقيا.[٣]

تعتبر القصير الميناء الثاني لمصر على البحر الأحمر بعد عيذاب، وذلك لقربها من قوص وبعد عيذاب عنها، وتكمن أهميتها باعتبارها محطة لقوافل الكارم، فكانت البضائع تحمل منها برا الى قوص ثم بواسطة المراكب النيلية الى فندق كارم بالفسطاط. الا انها لم تبلغ الحد الذي وصلت الية عيذاب وذلك لقرب عيذاب عن جدة. واستمرت القصير ميناء هام في عصر المماليك والسفن التجارية عليها ، الى جانب اعتبارها محطة لبعض الحجاج .[٤]

ــ قلزم /السويس: ـ

يقع ميناء القلزم على الساحل الغربي للبحر الأحمر بالقرب من راس خليج السويس ويبعد من السويس الي الشمال مسافة ميل واحد.[٥] وبعد تلاشت القلزم أصبحت السويس الميناء ويقع الي الجنوب من القلزم بمسافة ميل . بدات بالازدهار في جانب النقل من مصر الي الحجاز ، فكانت تصلها السلع والغلال بالبر من مصر ، لتنقل الى جدة وغيرها .[٦]

ـ طور: ـ

يقع ميناء طور على الساحل الغربي لشبة جزيرة سيناء على ساحل

(١)/العمايرة، خالد محمد سالم، موانئ البحر الأحمر وأثرها على تجارة دولة المماليك 1517/١٢٥٠، رسالة دكتوراه جامعة اليرموك، كلية الآداب ،2004، ص56

(٢) /الوليعي، عبد الله بن ناصر، الجلد المجلد الثاني، مرجع سابق ص650

(٣)/ نفس المرجع، والصفحة

(٤)/العمايرة، خالد محمد سالم، مرجع سابق، ص57.

(٥)/ الوليعي، عبد الله بن ناصر، المجلد الأول، ص ٣٩٦

(٦)/العمايرة، خالد محمد سالم، مرجع سابق، ص55

خليج السويس[١]، واكتسب ميناء طور أهميته من موقعه الجغرافي الذى يشرف على الطريق البرى للحجاج المسلمين ، وعلى الطريق البحري الهام الذى يربطه مع جدة والموانئ الأخرى . وبقى ميناء طور حتى اكتشاف راس الرجاء الصالح ميناء صالحا لاستعمال السفن ، ويظهر ان المماليك قد بنوا بها قلعة للحراسة وديوانا لتحصيل الضرائب من القوافل البحرية والتجارية .[٢]

بلغ ميناء طور اوج ازدهاره بعد سنة ١٣٧٨م وهي السنة التي اندثر فيها ميناء عيذاب حيث انتقل النشاط التجاري الى ميناء طور، فأصبحت الميناء الثاني من حيث الأهمية بعد ميناء جدة، لوقوعها على الطريق البري الى القاهرة. هكذا اصبح ميناء طور محطة تجارية هامة من محطات نقل السلع بين الشرق والغرب ، فقد كانت السفن القادمة من الشرق تفرغ حمولتها في عدن ، وفيما بعد في جدة ، ثم تنقل السلع بسفن البحر الأحمر الى طور ، ومنها بالقوافل البرية الى القاهرة [٣].

ازدادت أهمية ميناء طور خلال القرن الخامس عشر الميلادي فكان محطة للحجاج المسلمين القادمين من مصر والمغرب ، وبقي ميناء طور ذا أهمية حتي نهاية دولة المماليك .[٤]

المحور الثاني:

ـــ الأهمية الاقتصادية والتجارية لموانئ الساحل الغربي للبحر الاحمر

يمتاز البحر الأحمر بموقع استراتيجي منذ القدم وحتى وقتنا الحاضر باعتباره ممرا مائيا يربط بين الشرق والغرب لذلك اصبح موضع أطماع القوى المختلفة الامر الذى كان غالبا ما يثير الصراع بين تلك القوى للسيطرة على هذا البحر ، لذلك عندما جاء الإسلام حافظت الدولة العربية الإسلامية على بقائه بحرا إسلاميا ،نظرا لما يمثله من أهمية استراتيجية واقتصادية ،ولحماية الأراضي الدينية المقدسة القريبة منه .ومن هذه القوى الصليبيون الذين حاولوا السيطرة عليه باحتلالهم لأيله ،ومهاجمة عيذاب ،ومحاولتهم السيطرة على المقدسات الإسلامية بالحجاز ، فتصدى لهم صلاح الدين الايوبي

(١)/نفس المرجع ص76

(٢)/ الوليعى، عبد الله بن ناصر، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص٤٩٩.

(٣)/ نفس المرجع ص52.

(٤)/ البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، (٧٣٩ه /١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (ثلاثة أجزاء) تحقيق محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل ،١٩٩٢، ص 53.

،وحافظ على الصبغة الإسلامية لهذا البحر [١].

وقد استمرت استراتيجية المحافظة على البحر الأحمر وحمايته من سيطرة القوى الأخرى خلال عصر دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) وتنفيذا لهذه الاستراتيجية اتبعت دولة المماليك سياسة واضحة لضبط امن البحر الأحمر ،تمثلت في السيطرة على بعض قوى البحر الأحمر، وإقامة علاقات مع بعضها الاخر ،وحماية الموانئ والطرق المؤدية اليها وتطبيق نظام جوازات المرور ،واغلاق البحر الأحمر امام غير المسلمين ،وتنظيم البريد في الثغور ، وارسال الحملات و التجاريد العسكرية لضبط الامن [٢].

وقد ازدادت أهمية الموانئ الغربية في ساحل البحر الأحمر بسبب اضطراب الأوضاع السياسية والأمنية علي الطريق البرس الآسيوي نسبة للصراع بين المغول و العثمانيين الامر الذي تتب عليه التركيز علي موانئ البحر الأحمر الذي تقل فيه تكاليف نقل السلع ومن ثم تطلب الأمر من دولة المماليك توفير الامن والحماية للبحر الحمر وطرقه وموانئه، فعمل المماليك علي فرض ضرائب سنوية علي تجارة المغول و الأرمن أدت الي زيادة دخل الدولة المملوكية[٣].

كذلك تظهر اهتمامات سلاطين المماليك في تنظيم البريدي ومحطاته مستخدمين في ذلك الحمام الزاجل ، كما بنوا له الأبراج في المحطات المهمة والموانئ والثغور وذلك ضمانا لسرعة وصول الأخبار ، وحفظ أمن البلاد فقد كانت مراكز الحمام الزاجل متصلة بين المدن والموانئ ومنها «قوص، واسون ،عيذاب والسويس» [٤].

كما بنت دولة المماليك الأساطيل التي تمكنت من خلالها من حماية البحر الأحمر وبسطت سيطرتها السياسية عليه الي الجنوب من اسوان ، خصوصا في عهد الظاهر بيبرس الذي كان يتفقد دار الصناعة بنفسه واضعا في الاعتبار أهمية الإسطول في الحماية وتدعيم الاقتصاد المملوكي في ظل الأخطار

(١) ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ج ٢ تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الاميرية، القاهرة 1957 ص127.

(٢) ماركو بولو، نيقولو، رحلات ماركو بوبو ترجمة عبدالعزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة طبعة ٢ ،١٩٩٥ م ، جزء ١ ، صفحة ١٧، صبرا-، عفاف العلاقات بين الشرق والغرب دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٣ ،صفحة ١٠٨-١٠٩

(٣) القلقشندي، صبح الأعشي، 8/31

(٤)القلقشندي – جزء 14 صفحة 438-437

الخارجيــة التــي كانــت تهــدد دولتــه [١]

ويتضــح ذلــك مــن خــلال مــا أورده الســخاوي ان المماليــك كان لهــم اســطول يضم خمس سفن في عيذاب لحماية الأكارم وتخــرج لكشــف الاخبــار في مــا بــين عيــذاب وســواكن[٢].

وقــد نشــأت مــدن تجاريــة عــلي الجانــب الغربــي لســاحل البحــر الأحمــر، أشــهرها القلــزم عــلي لســان البحــر الأحمــر عــلي الجهــة الشــمالية الغربيــة، كمــا اكتســبت أهميتهــا لقربهــا مــن البحر الأبيــض المتوســط فأصبحــت تربط بــين البحرين لذلــك لعبــت دورا بــارزا في التجــارة بــين الــشرق والغــرب ، وازدادت ت أهميتهــا لكونها «خزانــة معــبر مــصر ، وفرضــة الحجــاز ، ومغوثــة الحــاج»[٣].

إضافــة لذلــك نجــد مينــاء عيــذاب الــذي يقــع عــلي ملتقــي طــرق متعــددة بريــة وبحريــة تربطهــا بموانــي الســاحل الشرقــي ، كمــا تتصــل في الوقــت نفســه بميناء القصــير والقلــزم وبســواكن ودهلــك وغيرهــا ومــن حيــث الــبر تلتقي بســواكن وقــوس ووادي العلاقــي ،فأصبحــت تلــك الأماكــن مدنــا تجاريــة يؤمهــا التجــار مــن مختلــف البقــاع [٤].

وتكمــن أهميــة مينــاء عيــذاب لكثــرة ســفن الهنــد واليمــن المحملــة بالتوابــل وغيرهــا التــي تحــط رحالهــا فيــه ، وقــد وصفهــا بــن جبــير بأنهــا مــن افضــل مــراسي الدنيــا اضافــة الي ذلــك فقــد كان مينــاء عيــذان مجمعــا للتجــار بــرا وبحــراً ومرفــأ لمراكــب الحجيــج المتجهــة الي جــدة ، كمــا تــرد اليــه ســلع الهنــد والصــين عــبر مينــاء عــدن ولذلــك اســهبت المصــادر في وصــف هــذا المينــاء وأهميتــه وذلــك لقلــة الشــعب المرجانيــة في ميــاه هــذا المينــاء وموقعــه المتميــز فقــد كان يفضلــه كثــير مــن رؤوســاء المراكــب للرســوء فيــه[٥].

وممــا لا شــك فيــه ان ازدهــار مينــاء عيــذاب انمــا حــدث نتيجــة طبيعيــة لإهتمــام ســلاطين المماليــك بتأمــين طــرق الحــج الي الأراضي المقدســة، وحركــة التجارة

(١) ابن عبد الظاهر، أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين ت ٦٩٢هـ ـالروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، الرياض 1976 ص 92

(٢) السخاوي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر التبر المسبوك في ذيل السلوك مخطوط منشور الجامعة الأردنية منقول من نسخة في مجلد، محفوظة في الكتبخانة الخديوية نمره ٤٥، ص ٤٠

(٣) القحطاني، سعيد عبدالله: تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة /دارة الملك عبدالعزيز سلسلة الرسائل الجامعية١٤٧ ١٤٢٤ . ص 258

(٤) ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ: معجم البلدان ـالجزء الرابع دار صادر، ص 171، عبد الحليم، رجب محمدـ ميناء عيذاب ووادي العلاقي واثرهما على علاقة مصر والسودان ق ٩هـ تاريخ المصريين عدد 164 ص 231-227

(٥) الحالدي، شهلة بنت سعد ـ الأهمية الاستراتيجية للبحر الأجمر في العصر الأيوبي ٥٦٧-٦٤٨ هـ ،(١١٧١-١٢٥٠ م)، - دارة الملك عبدالعزيز ١٤٣٩ هـ ، ص ٢٢٩

في البحر الأحمر فقد احاطوها براعيتهم وحرسوا على تأمينها براً وبحرا.

وقد أسهم الطريق البحري من سواكن الي جدة في تنشيط الحركة التجارية بين المنطقتين إضافة الي نقل الحجاج الي جدة[١].

كما اشتهر طريق من « القصير الي موانئ اليمن « حيث كان التجار يسافرون من القصير الي زبيد ثم عدن[٢].

كذلك إزدهرت التجارة علي طول الساحل الغربي للبحر الأحمر حيث خرجت السفن من زيلع لتسير علي طول الساحل الإفريقي الي مقديشو ومنبثة وكلوة ، حيث آخر محطة أفريقية من ساحل البحر الأحمر الغربي[٣].

عوامل إزدهار التجارة في مرافئ الساحل الغربي للبحر الأحمر:

العوامل الاقتصادية:

من المعروف أن البحر الأحمر لعب دورا بارزا في التجارة العالمية وبالطبع كانت لموانئ الساحل الغربي دورا بارزا في إزدهار التجارة العالمية ومما لاشك فيه ان ثمة عوامل مختلفة ومتنوعة أسهمت مجتمعة في خلق ذلك الجو التجاري علي موانئه ومن هذه العوامل النواحي الطبيعية ، حيث تعتبر مصر حلقة وصل بين اليمن والشام من جهة وبين المغرب و أوروبا من جهة أخري ،لذلك إزدهر النشاط التجاري البحري بين تلك المناطق ، كما لعبت العوامل الإقتصادية دورا هاما في ازدهار التجارة عبر البحر الأحمر تمثلت في النشاط الاقتصادي لسكان المناطق المطلة عليه ، حيث كان اهل عيذاب مثلا يعتمدون في رزقهم علي نقل الحجاج والمسافرين ،كذلك كانت هذه المناطق تجود بالعديد من المنتجات سواء أن كانت طبيعية أم صناعية لتجارة البحر الأحمر. فالمواد الخام لعبت دورا بارزا في التجارة بين المشرق والمغرب، خاصة المواد الخام المعدنية والحيوانية جنوب مصر ووادي العلالي[٤].

العوامل الدينية:

كان للعوامل الدينية اثر مهم في تنشيط التجارة في موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر، حيث أن ميناء القلزم كان معبرا للحجاج القادمين من مصر

(١) الحميري، محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، بيروت/هيد ليبربغ ط٢،1984، ص 423

(٢) القلقشندي، صبح الأعشي، ص 537

(٣) أبن بطوطة، ابوعبدالله محمد بن عبدالله ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار تحقيق : عبد الهادي التازي ج١ الرباط اكاديمية المملكة المغربية ١٤١٧هـ ١٩٩٧م من ٢٧٠-٢٧٣.

(٤) العمايرة خالد محمد سالم ـموانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك، (٦٤٨-٩٢٣ هـ) (١٢٥٠-١٥١٧ م) ـالناشر دارة الملك عبد العزيز 1427 هـ- ص 127-126

والمغرب ،ثم انتقل الحجاج الي عيذاب أيام الحروب الصليبية وظل كذلك لدي ميئتي عام (٤٥٠ -٦٦٠ هـ) (١٠٥٨-١٢٦٢ م) ، ثم انتقل الحجيج الي السويس ومنه الي جدة[١].

كما أدت طرق الحج دورا مهما في تنشيط التبادل التجاري ،فقد قامت في محطات هذه الطرق الأسواق الكبيرة التي ينشط بها التبادل التجاري في اثناء مرور قوافل الحج فيها ،إضافة الى ذلك فان هذه المراكز وفرت اعمالا لبعض المقيمين بها مرتبطة بطرق الحج والحجاج مثل عمال المرافق لحفر البرك والابار والعيون وعمارتها وتنظيفها وصيانتها وهذا كله اسهم في النشاط التجاري على المرافئ الغربية.[٢]

العوامل السياسية

أيضا كان للعوامل السياسية دور مهم اثر في زيادة النشاط التجاري ويتضح هذا الدور من خلال حماية التجارة وتأمينها وتقرير الأنظمة والقوانين،وأنواع الضرائب والمكوس ويمكن اجمالها في ثلاث جوانب أولا تشجيع سلاطين المماليك للتجارة المحلية والخارجية وثانيا تنظيم شؤون التجارة في الموانئ وأخيرا مسألة توفير الامن الاقتصادي للبحر الأحمر [٣].

الأهمية الاقتصادية والتجارية للموانئ الغربية

كانت إيرادات الموانئ مثل المكوس والضرائب مصدرا مهما من مصادر الدخل للدولة المملوكية فقد قام الاقتصاد المملوكي على الزراعة ثم التجارة ،وبفساد النظام الاقطاعي بقيت التجارة الشرقية عماد الاقتصاد المملوكي، لذلك ارتبطت دولة المماليك بعلاقات دبلوماسية وتجارية مع الدول الاوربية [٤]،وأدى ذلك الى ازدهار موانئ ساحل البحر الأحمر الغربية التي من أهمها ميناء عيذاب الذى وصفه ابن جبير بانها من احفل مراسي الدنيا [٥].وقد ساهم استمرار العلاقات التجارية بين دولة المماليك والغرب الأوربي في ثراء دولة المماليك، وقد كانت قوافل جمهوريتي جنوة والبندقية تقوم برحلتين في السنة الواحدة ذا اضفنا لذلك فقد كان لموقع مصر الجغرافي اثر كبير في جعلها

(١) المقريزي أحمد بن علي ت٨٤٥هـ١٤٤١م ـ المواعظ بذكر الخطط والاثار ٣ أجزاء تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة 1998م ـ الجزء الأول، ص 567-566

(٢)الخالدي مرجع سابق ص 199

(٣)نفس المرجع ونفس الصفحة

(٤)صبرة، عفاف: العلاقات بين الشرق والغرب ملحقات دار النهضة العربية، القاهرة ،1983، ص 34

(٥)ابن جبير، محمد بن احمد ابن جبير الكناني الاندلسي: رحلة ابن جبير دار صادر /بيروت، ص 73

مركزا لتجارة العبور بين الشرق والغرب من خلال اشرافها على موانئ البحر الأحمر الغربية واتصالها بالبحر الأبيض المتوسط، وقد أشار لهذه الميزة ابن ظهيرة [١].

ورغم منافسة الطريق البري الاسيوي والخليج العربي لطريق البحر الأحمر الا ان هذه المنافسة سرعان ما زالت بسبب اضطراب الأوضاع السياسية والأمنية على الطريق البري الاسيوي ولظهور القرصنة في الخليج العربي ،فبقي طريق البحر الأحمر هو شريان التجارة الدولي والرئيس الذى ب غذي أوروبا بما تحتاج اليه من سلع الشرق [٢]. وقد اعتمدت موارد دولة المماليك المالية على الرسوم والمكوس التي تأخذها في الثغور البحرية على المتاجر الواصلة من الخارج وكانت هذه المكوس تؤخذ معظمها من تجار الكارميه وغيرهم من القادمين الي موانئ البحر الأحمر الغربية ، فكان بغض السلاطين في دولة المماليك قد الغوا هذه الرسوم والبعض الاخر قد اعادها ويعتقد ان اعادتها كانت ناتجة عن حاجة الدولة للا موال بسبب الظروف السياسية والعسكرية التي كانت تمر بها الدولة [٣]

وتعد قوص محطة مشهورة للتجار القادمين ببضائعهم من مينائي عيذاب والقصير كما كانت مركزا لديوان الجمرك لتحصيل الرسوم والمكوس على بضائع التجار ،اما عيذاب فعدت من الموانئ التي تحصل فيها المكوس على ما يصل اليها من بضائع التجار الكارميه من جهة اليمن والحجاز وعلى السفن القادمة من الحبشة وزنجبار [٤].

كما حصلت المكوس من الحجاج المغادرين الى جدة، ولا يجوز لاحد من الحجاج المسافرين من ميناء عيذاب والمتجهين الى جدة المغادرة قبل ان يظهر لربان المركب البراءة مما يلزمه، وقد علق ابن جبير عن استيائه مما يحدث للحجاج في المراكز الجمركية بقوله (.... ومن يعجز عن ذلك يتناول باليم العذاب بعيذاب ....الخ)[٥]

(١) م مختلف في اسمه فقيل أبو الطيب محب الدين احمد بن محمد(ت٨٨٥١هـ١٤٨٠) وقيل هو ابواسحاق برهان الدينبن على ت(١٤٨٦/٨٩١)الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة تحقيف مصطفى السقا دار الكتب القاهرة ١٩٦٩م ص ١٠١

(٢) ماركوبولو: نيقولا رحلات ماركو بولو ترجمة عبد العزيز جاويد الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ط٢ ص ١٧/١

(٣)العمايرة، خالد محمد سالم موانئ البحر الأحمر واثرها في تجارة دولة المماليك (٦٤٨هـ/٩٢٣هـ)(١٥١٧/١٢٥٠م)دارة الملك عبدالعزيز ،ص٢٤٠

(٤)المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٧اجزاء تحقيق محمد عبد القادر عطار دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧.4/ص ٣٢٨

(٥) الادريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله: نزهة المشتاق في اختراق الافاق مكتبة الثقافة

ويعكس وصف ابن جبير لكثافة الحركة التجارية التي شاهدها في عيذاب وعلى الطريق الصحراوي المؤدي اليها السياسة الاقتصادية والأمنية الحكيمة التي انتهجتها الدولة المملوكية لحماية الموانئ والطرق التجارية ،ومما لا شك فيه ان ازدهار عيذاب وغيرها من موانئ انما حدث نتيجة طبيعية لاهتمام سلاطين المماليك بتأمين طرق الحج الى الأراضي المقدسة ، وحركة التجارة في البحر الأحمر فقد احاطوها برعايتهم وحرصوا على تأمينها برا وبحرا .[١]

المحور الثالث: ـ

الصادر والوارد من السلع الي موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر:

كانت موانئ البحر الأحمر خلال العصور الوسطي محطات تجارية مهمة لمرور السلع المختلفة بين مناطق متعددة مثل الهند والصين وشبه جزيرة العرب، ويمكن تقسيم تجارة سواحل البحر الأحمر الغربية الصادر منها والوارد الى عدة مجموعات متشابهة يأتي على راسها التوابل والبهارات التي تعد أكثر السلع أهمية ورواجا.

ـــ التوابل والبهارات: ـ

حيث يعد الفلفل من أبرز أنواع التوابل واهمها وأكثرها طلبا في اوربا حتى بلغ من أهميته ان سددت به اثمان الأراضي والقروض. وتعد الهند وإندونيسيا من أشهر مناطق إنتاجه حيث سميت المليبار بأرض الهند نسبة له (بلاد الفلفل) ثم يصدر الي جميع الدنيا.[٢]

وكانت السفن الهندية المعدة لنقل الفلفل والسلع الأخرى من الموانئ الهندية ترسل الي موانى عدن وجده ومنها الى موانئ الساحل الغربي مثل مينائي آيلة والطور ثم تنقل من هذه الموانئ الى البر الى مدن مصر والشام لتصدر الي اوربا. وكان لنبات الفلفل فوائده العديدة واستخداماته الكثيرة فكان يعد هاضما للغذاء ومدرا للبول، كما استخدم في تركيب الادوية ، وحفظ الطعام وتتبيله[٣].

اما تابل القرفة (الدار صيني) فكانت أيضا من اهم السلع المصدرة

الدينية بور سعيد /مصر (د ت)ج /1/ص ١٣٥

(١)الخالدي: الأهمية الاستراتيجية، ص 157

(٢)/بتروف، الإسكندر، العلاقات التجارية بين اسيا واوربا الغربية في القرون الوسطى النظام الاقتصادي والاجتماعي، موسكو ١٩٨٧م، ص73 وياقوت الحموي، معجم البلدان ،١٩٦/٥

(٣)/القلقشندي: الصبح الاعشى، ج 5، مرجع سابق ص70، الرحلة، ص567

من الهند وسيلان والصين، والجذر الصينية، وكانت تعرف باسم الدار صيني. وتستخدم القرفة في حفظ الأطعمة وتتبيل اللحوم وتدخل في تركيب بعض الادوية وكانت اشجارها مرتفعة واهم ما فيها لحاؤها واغصانها، وقد ذكرت القرفة ضمن السلع التي كانت تستوردها من الشرق عبر عدن ومنها الي موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر.(١)

وكان القرنفل من بين التوابل التي اشتد طلب الاوربيين عليها وقد اشتهرت الهند وجرز الصين بزراعته وانتاجه واشجاره شبيهه بأشجار الياسمين، وزهرة غليظ اسود وتجمع ثماره بعد سقوطها على الأرض ثم تنقع في الماء وتجفف وتباع للتجار.(٢)

ومن التوابل التي شاع استخدامها في العصور الوسطى الزنجبيل، وقد زادت أهميته لاستخدامه في تركيب الادوية وذلك لكونه علاجا لأمراض القصبة الهوائية إضافة لاستخدامه في الطعام وتحضير الخمور وحفظها واهم البلاد المنتجة له الهند وسواحلها.(٣)

ويمكن ان يضاف الى هذه التوابل المهمة أصناف اخري كانت تستورد من الشرق عبر موانئ البحر الأحمر الغربية مثل القافلة (٤)والخلنجان (٥)وجوز الطيب (٦)، وسائر أنواع التوابل والبهارات الثمينة التي كانت تستخدم عادة في تتبيل الأطعمة وحفظها ، وصناعة الادوية .(٧)

ـــ سلع العقاقير الطبية: ـ

الى جانب التوابل والبهارات كانت بعض السلع تستخدم بصفه رئيسة في تركيب العقاقير الطبية، منها الروند والكافور والاهليلج وغيرها.

ويعد الكافور اهم هذه السلع، واشتهرت بإنتاجه الهند والجزر الهندية ويصدر الى اوربا. ونبتة الاهليلج من فصائل ثمار الخوخ وتستخدم لعلاج المعدة والامعاء وتصدرها أيضا من ميناء كلُه بالهند الي عدن ومنها

(١)/ابن بيطار ضياء الدين عبدالله بن احمد ت ٦٤٦هـ ١٢٤٨م : الجامع لمفردات الادوية والأغذية ، ص٨٤/٨٣، الدمشقي، محاسن التجارة، مرجع سابق ص٥٩

(٢)/ الإدريسي نزهة المشتاق ج1 ص89/88

(٣)/ابن بطوطة الرحالة، الرحالة، ص569

(٤) /ابن خرذابة، عبيدالله بن عبدالله ت ٣٠٠ هـ /٩١٢م المسالك والممالك، ليدن مطبعة بريل ١٩٨١م ، ص٧٠

(٥)/الإدريسي، نزهة المشتاق، 54/1، ص88

(٦)/شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي ت ٧٢٧هـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ليبزج 1923م.، ص١٥٣

(٧)/الإدريسي، نزهة المشتاق، 54/1، ص88

للغـرب الأوربـي عـبر سـاحل البحـر الأحمـر الغربـي[١].

امـا الرواند فهـو أحـد السـلع الرئيسـة في صناعـة الادويـة ومـن انواعـه الصينـي والزنجـي والخرسـاني ويسـتخدم كعـلاج للعديـد مـن الامـراض منهـا الكلي والكبـد والمعـدة وتحتاجـه اوربـا فيصـدر اليهـا عـبر مـصر مـن موانـئ السـاحل الغربـي للبحـر الأحمـر.[٢]

ـــ البخور والعطور: ـ

مـن أنواعهـا عـود النـد والمسـك وخشـب الصنـدل والعنـبر والبخـور واللبـان ومعظمهـا يتـم اسـتيرادها مـن الهنـد والصـين عـبر موانـئ البحـر الأحمـر، ويأتـي المسـك عـلي راس قائمـة المـواد العطريـة ، وهـو انتـاج حيوانـي يؤخـذ مـن ظبـاء المسـك وترحـل عـبر مينـاء عـدن ومنهـا للسـواحل الغربيـة للبحـر الأحمـر الي اوربـا .[٣]

كذلـك مـن اهـم السـلع التـي يتـم نقلهـا مـن مناطـق انتاجهـا العنـبر ويوجد بكثـره في الهنـد ويسـتخرج مـن الحيوانـات البحريـة كالأسـماك ومـن اهـم الجـذر المصـدرة لـه جزيـرة سرنديـب يصـدر لعـدن ومنـه الى الغـرب الأوربـي كذلـك كانـت المراكـز الغريبـة مـن سـاحل البحـر الأحمـر تنتـج العنـبر مثـل مدغشـقر وزنجبـار وتصـدر لا وربـا.[٤]

ولشـهرة العنـبر وكثـرة الطلـب عليـه ظهـرت سـوق متخصصـه لبيـع العنـبر في القاهـرة وهـي سـوق العنبريـن وكانـت لـدى النـاس رغبـة زائـده في شرائـه والترفـه بـه، واتخـذت منـه المخـدات والسـتور والمسـابح وغيرهـا .[٥]

كذلـك الصنـدل الأبيـض حيـث يحتـوي عـلى عطـر نفـاذ، وكان يصـدر عبر مينـاء كلُـه وينتـج مـن جبـال الهنـد وجـزر الصـين وتوفـرت منـه سـبعه أصنـاف ذكرهـا القلقشـندي، مـن هـذه الفئـة العـود الهنـدي وبعـد مـن نفيـس الطيـب، ومـن انواعـه الكلخـي والقمـاري وهـو أفضـل الأنـواع وعـدً القلقشـندي مـن انواعـه ثمانيـة عـشر نوعـا واشـتهرت بإنتاجـه الهنـد وكشـمير وجـاوة وجميـع هـذه المنتـج يصـدر الى اوربـا.[٦]

(١)/ الادريسي، نزهة المشتاق ،٥٤/١، ص٨٩
(٢)/ابن بيطار، الجامع، ص 84
(٣)/ الادريسي، نزهة المشتاق، 137/1، ص50
(٤)/ القلقشندي، صبح الاعشى، 2، /131
(٥)/المقريزي ، الخطط ، 600/2
(٦)/القلقشندي، صبح الأعشى، ح/ 134ـ137

ـــ الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة: ـ

من السلع التي كان يتم تصديرها عبر موانئ البحر الأحمر الغربية نوع من الأحجار الكريمة يعرف بالياقوت وتوفر بصورة كبيرة في جزيرة سيلان كما توفر في الوديان والجبال بكثرة وتؤخذ هذه الحجارة وتعطى للحكاكين، فيحكونها ويستخرج الياقوت من جوفها. وكان لا يسمح للتجار بالبحث عنه الابعد حصولهم على تصريح خاص من الملك، كما أشار القلقشندي الى طريقة اخري للحصول على الياقوت وهي البحث عنه في أسفل الاودية حيث تكون الامطار قد جرفته من أعالي الجبال.(١)

والي جانب الياقوت وجد في جزيرة سيلان الماس والدر والبلور والسنباذج (٢). اما العقيق فمصادره الهند والسند وانواعه كثيره اجودها وأكثرها ثمنا الأحمر وكان يصدر عبر الموانئ الهندية الى الغرب الأوربي عبر البحر الأحمر.(٣) ومن الأحجار الكريمة أيضا اللؤلؤ وكانت اشهر مصائده في بحر فارس وفي جزيرة زنجبار الواقعة في بحر الذيخ ووجدت مقاصات اللؤلؤ في البحر الأحمر بالقرب من عيذاب ودهلك . (٤)

وجميع هذه الأحجار الكريمة واللائي صدرت من الشرق من ميناء هرمز وعدن لموانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر ومنها بالقوافل البرية للقاهرة.(٥)

اما المعادن النفيسة فاهمها الذهب في جزر زنجبار وجزر القمر، إضافة الى معدن الفضة، وكان التجار يجلبون المجوهرات والاحجار الكريمة واللائي من مختلف الاقطارلكثرة رغبة السلاطين في دولة المماليك في اقتنائها.(٦)

---

(١)/، القلقشندي، صبح الأعشى ،١٠٨/٢ وبن بطوطة: الرحلة ص ٥٩٩

(٢)/ هو حجر كالفولاذ تجلي به السيوف والجواهر

(٣)/فارتيان، رحلات، ص102

(٤)/الحميري، الروض المعطارفي خبر الأقطار ، ص٢٤٤

(٥)/ابن الوردي، أبو حفص عمر بن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب دار الشرق العربي، حلب ١٩٩١ص77،78.

(٦)/أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية /بيروت 1992 ،9/135

ـــ سلع أخرى: ـ

ومـن السـلع التـي كان يصدرهـا الـشرق عـبر موانـئ البحـر الأحمـر المنسـوجات الحريريـة، وطـرز مـن الديبـاج والحريـر الصينـي والثيـاب المتخـذة مـن الحشـيش، والثيـاب القطنيـة المخملـة، وكانـت السـفن تحمـل سـنويا المنسـوجات المختلفـة لتصـدر لمختلـف انحـاء العالـم فـكان بعضهـا يعـبر موانـئ السـاحل الغربـي للبحـر الأحمـر، كمـا كانـت هنالـك سـلع اخـري منهـا الاخشـاب المتنوعـة كأخشـاب الابنـوس والسـاج والخـيرزان التـي اسـتخدمت في الاثاثـات والتحـف وغيرها كذلـك السـيوف الهنديـة والعـاج كذلـك جلـود الحيوانـات كجلـود النمـور والثـيران الي جانـب الطيـور كالببغـاء والفيلـة والزرافـات التـي تقـدم كهدايـا للسـلاطين الي جانـب العبيـد والجـواري والمسـك والتحـف وغيرهـا .[١]

كذلـك مـن خـلال موانـئ السـاحل الـغ ربـي للبحـر الأحمـر صـدرت سـلع الحبشـة وشرق افريقيـا واهمهـا الذهـب والفضـة والنحـاس والرصـاص والحديـد وحجـر المغناطيـس والزمـرد والعـاج والاخشـاب وجلـود الحيوانـات والذبـل .[٢] واذا جـاز جعـل الرقيـق والجـواري مـن ضمـن السـلع ، فقـد كانـت الحبشـة مصـدر الرقيـق الي جانـب الجـواري المشـتراة مـن الهنـد والحبشـة ويصـف الادريـسي طريقـة حصـول التجـار عـلي رقيـق الحبشـة ان بعـض التجـار يقومـون بسرقتهـم ومـن ثـم بيعهـم في ارض مـصر ومنهـا لا وربـا . [٣]

وتجـدر الإشـارة الي ان سـلاطين دولـة المماليـك اكثـروا مـن شراء المماليـك البيـض ودفعـوا للتجـار أرباحـا طائلـة تشـجيعا لهم عـلى احضارهـم وكان السـلاطين يهدفـون مـن وراء ذلـك لترتيبهـم ثـم تجنيدهـم في الجيـش فعلموهـم الفروسـية.[٤]

لـم يقتـصر دور موانـئ البحـر الأحمـر في التجـارة العالميـة عـلى اسـتيراد السـلع مـن الهنـد والصـين وبـلاد فـارس وشرق افريقيـا، وتصديـره الى اوربـا انمـا شـهدت هـذه الموانـئ حركـة تصديـر السـلع مـن مختلـف المناطـق الواقعـة عـلى جانبـي البحـر الأحمـر ، وتبادلـت السـلع بينهـا ، فكونـت بذلـك حلقـة وصـل بـين الـشرق والغـرب مـن جهـة ، والمناطـق الداخليـة المطلـة عـلى سـواحل البحـر الأحمـر مـن جهـة اخـري .[٥]

اهـم صـادرات مـصر كانـت الزمـرد مـن اهـم السـلع الصـادرة الى ملـوك

(١)/المقريزي، السلوك، 5/396/397

(٢)/هو عظم ظهر السلحفاة

(٣)/ الادريسي، نزهة المشتاق، 1/46

(٤)/أبو محاسن، النجوم الزاهرة ص/127ـــ128

(٥)/الخالدي، شهلا، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر، ص248

الشرق، في الهند والصين وعرف بالزمرد البحري اما الزمرد المغربي فكان يصدر الي المغرب من الفرنجة والاندلس والصقالبة والروس وهم يفضلون هذا النوع ويتنافسون فيه .[١] وكذلك صدرت مصر المنسوجات القطنية والكتانية وحجر الشب الذي يستخدم في الصباغة وكان يصدر الى جميع البلدان .[٢]

وفي اطار التجارة المحلية بين موانئ البحر الأحمر كان يصدر من موانئ مصر الي اليمن عدد من السلع أهمها الدقيق والسكر وزيت الزيتون والعسل [٣]

من خلال ما سبق يتضح مدى ما شهدته موانئ البحر الأحمر من حركة دائبة في الصادر والوارد سواء كان ذلك على مستوى التجارة الدولية او التجارة المحلية وكمية السلع التي تبودلت في هذه الموانئ وانواعها، وهذا جعلها من اهم مظاهر ازدهار التجارة في البحر الأحمر في عهد المماليك.

وهكذا يمكننا القول ان دولة المماليك كانت في حركة دائبة في الصادر والوارد سواء كان على المستوى التجاري العالمي ام الداخلي كما تبادلت هذه الموانئ نقل المسافرين والحجاج، وخدمت حركة النقل البحري فيما بينها، ومع موانئ الدول الأخرى، وبشكل خاص في شرق افريقيا واسيا.

الخاتمة: ـ

ختم البحث بنتائج أهمها: ـ

١. خدمت الموانئ حركة التجارة قبل الإسلام واستمرت بهذا الدور خلال العصر الإسلامي وبشكل خاص عصر دولة المماليك،

٢. أدركت دولة المماليك أهمية البحر الاحمرفى حركة التجارة الدولية،

٣. تعدد أنواع السلع الصادر والوارد عبر موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر والعلاقات التجارية بين موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر وموانئ جنوب شرق اسيا وموانئ جنوب شرق افريقيا وسواحل الجزيرة العربية.

٤. كانت الحركة التجارية بين موانئ البحر الأحمر وموانئ المحيط الهندي

(١)/ البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز: المسالك والممالك تحقيق ادريان فان ليوفن واندري فيري، ج١، تونس، الدار العربية للكتاب،١٩٩٢ ص225

(٢)/ الخالدي، شهلا، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر، ص٢٢٥

(٣)العمايرة، خالد محمد سالم، مرجع سابق، ص222

وبحـر العـرب مزدهـرة لان موانـئ البحـر الأحمـر كانـت همـزة الوصـل في تصدير تجـارة الـشرق الى الغـرب الأوربـي.

٥. كان لتجـار كارم إثـر مهـم في حركـة التجـارة الشرقيـة عـبر موانـئ البحـر الأحمـر. وكان لهـذه الفئـة مكانتهـا الاقتصاديـة والاجتماعيـة في دولـة المماليـك.

٦. انتـشرت مراكـز التحصيـل الجمركيـة في الموانـئ، وعـلى الطـرق البريـة والنهريـة. ولـم تقـل نسـبة المكـوس عـن العـشر الى جانـب رسـوم إضافيـة.

٧. كانت المعاملات التجارية في أسواق الموانئ نقدا بالدينار الذهبي.

٨. تمثلـت اسـتراتيجية دولـة المماليـك السياسـية لحمايـة البحـر الأحمـر وموانئـه في عـدة أمـور، منهـا مـد النفـوذ السـياسي الي الحجـاز واليمـن وبـلاد النوبـة.

٩. إقامـة الأبـراج والخانـات العديـدة عـلى الطـرق المؤديـة الي الموانـئ، وفي الموانـئ نفسـها، وتزويـد هـذه الأبـراج بالحاميـات العسـكرية لحمايـة الموانـئ وطرقهـا.

١٠. انعكسـت الأهميـة الاقتصاديـة لموانـئ البحـر الأحمـر بشـكل واضـح عـلى دولـة المماليـك. فكانـت عائـدات التجـارة عـبر موانـئ البحـر الأحمـر تمثـل الرافـد الرئيـس لخزينـة دولـة المماليـك.

ـ توصيات أهمها: ـ

١. ان الدراسـات حـول البحـر الأحمـر بصـوره عامـة والموانـئ بصـورة خاصـه تحتـاج لمـا يتصـدى لإعـادة تناولهـا باسـهاب وتفصيـل.

٢. ان تتبني الجامعات مقترح إعادة كتابة تاريخ البحر الأحمر

٣. يجـب الاسـتفادة القصـوى مـن قـراءة تاريـخ البحـر الأحمـر بعمـق خاصـه موانـئ السـاحل الغربـي ودعـم الإيجابيـات ونبـذ السـلبيات

المصادرالاولية: ـ

١. أبـو الطيـب محـب الديـن احمـد بـن محمـد (ت٨٨٥١هـ/١٤٨٠) وقيـل هـو ابواسـحاق برهـان الدينبـن عـلى ت (٨٩١/١٤٨٦) الفضائـل الباهـرة في محاسـن مـصر والقاهـرة تحقيـف مصطفـى السـقا ، القاهـرة دار الكتـب ١٩٦٩م

٢. البكـري، أبـو عبيـد اللـه بـن عبـد العزيـز: المسـالك والممالـك تحقيـق ادريـان

فـان ليوفـن وانـدري فـيري، ج١، تونـس، الـدار العربيـة للكتـاب،١٩٩٢.
٣. البغـدادي، عبـد المؤمـن بـن عبـد الحـق، (٧٣٩هـ /١٣٣٨م)، مراصـد الاطـلاع عـلى أسـماء الأمكنـة والبقـاع (ثلاثـة أجـزاء) تحقيـق محمـد البجـاوي، بـيروت، دار الجيـل ،١٩٩٢.
٤. ابـن بيطـار ضيـاء الديـن عبدالله بـن احمـد ت ٦٤٦هـ: الجامـع لمفـردات الادويـة والأغذيـة ،١٢٤٨م
٥. أبـن بطوطـة، ابوعبدالله محمـد بن عبـد الله ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م تحفـة النظار في غرائـب الامصـار وعجائـب الاسـفار تحقيـق: عبـد الهـادي التـازي ج١ الربـاط اكاديميـة المملكـة المغربيـة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م
٦. ابـن جبـير، محمـد بـن احمـد ابـن جبـير الكنانـي الاندلـسي: رحلـة ابـن جبـير/ بـيروت دار صادر
٧. الحمـيري، محمـد بـن عبـد المنعـم ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥ الـروض المعطـار في خـبر الأقطـار، تحقيـق احسـان عبـاس، بيروت/هيـد ليبربـغ ط١٩٨٤،٢،
٨. ابـن خردذابـة، عبيدالله بن عبدالله ت ٣٠٠ هـ /٩١٢م المسـالك والممالـك، ليدن مطبعة ابريـل ١٩٨١م
٩. الادريـسي ،أبـو عبدالله محمـد بـن محمـد بـن عبدالله :نزهـة المشـتاق في اختراق الافـاق مـصر، مكتبـة الثقافـة الدينيـة بور سـعيد .
١٠. السـخاوي محمـد بـن عبـد الرحمـن بـن محمـد بـن ابـي بكـر التـبر المسـبوك في ذيـل السـلوك مخطـوط منشـور الجامعـة الأردنيـة منقـول مـن نسـخة في مجلـد، محفوظـة في الكتبخانـة الخديويـة. ا
١١. شـيخ الربـوة، شـمس الديـن أبـو عبـد الله الدمشـقي ت ٧٢٧هـ نخبـة الدهر في عجائب الـبر والبحـر، ليبـزج ١٩٢٣م
١٢.١٢/ابـن عبـد الظاهـر، أبـو الفضـل عبدالله بـن رشـيد الديـن ت ٦٩٢هـ – الـروض الزاهـر في سـيرة الملـك الظاهـر، تحقيـق ونـشر عبدالعزيـز الخويطـر، الريـاض ١٩٧٦
١٣.١٣/القلقشـندي، احمـد بـن عـلى (ت٨٢١هـ/١٤١٨)، صبـح الاعشى في صناعة الأنشـاء، (أربعـة عشرجـزءا)، ج ٣، بيروت، دار الفكـر ١٩٨٧ .
١٤. المقريـزي أحمـد بـن عـلي ت٨٤٥هـ١٤٤١م – المواعـظ بذكـر الخطـط والاثـار ٣ أجـزاء تحقيـق محمـد زينهـم ،مكتبـة مدبـولي ،القاهـرة ١٩٩٨م – الجـزء الأول

١٥. أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية ١٩٩٢

١٦. ابن الوردي، أبو حفص عمر بن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب دار الشرق العربي، حلب ١٩٩١

١٧. ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ج ٢ تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الاميرية، ال قاهرة١٩٥٧

١٨. ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ: معجم البلدان – الجزء الرابع بيروت دار صادر

١٩. الوليعي، عبد الله بن الناصر، معجم الأماكن الجغرافية في البحر الأحمر، المجلد الثاني، الرياض: دار الملك عبد العزيز،٢٠١٨هـ

ـــ المراجع العربية والأجنبية

١. الحاج، عبد الرحمن حسب الله، العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان، منذ ظهور الإسلام وحتى ظهور الفونج ١٥٠٥م، امدر مان المطبعة العسكرية ،٢٠٠٥م

٢. الخالدي، شهلة بنت سعد – الأهمية الاستراتيجية للبحر الأجمر في العصر الأيوبي ٥٦٧-٦٤٨ هـ ،(١١٧١-١٢٥٠ م)، - دارة الملك عبدالعزيز ١٤٣٩ هـ

٣. زين، نعيمة محمد، أهمية الموانئ السودانية عبر البحر الأحمر خلال العصر الإسلامي، كتاب غير دوري، القاهرة، مركز الدراسات السودانية، العدد ٤٦

٤. ضرار، محمد سليمان صالح، امير الشرق، عثمان دقنه، ط١، الخرطوم، الدار السودانية للكتب

٥. صبرة، عفاف: العلاقات بين الشرق والغرب، القاهرة ملحقات دار النهضة العربية ،١٩٨٣

٦. العمايرة خالد محمد سالم –موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك، (٦٤٨-٩٢٣ هـ) (١٢٥٠-١٥١٧ م) –الناشر دارة الملك عبد العزيز ١٤٢٧ هـ

٧. القحطاني، سعيد عبد الله: تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة /دارة الملك عبد العزيز سلسلة الرسائل ال جامعية١٤٧ ١٤٢٤هـ

٨. ماركـو بولـو، نيقولـو، رحـلات ماركـو بوبـو ترجمـة عبدالعزيـز جاويـد، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب –القاهـرة طبعـة ٢ ،١٩٩٥ م ، جـزء ١ ،

٩. بـتروف، الإسـكندر، العلاقـات التجاريـة بـين اسـيا واوربـا الغربيـة في القـرون الوسـطى النظـام الاقتصـادي والاجتماعـي، موسـكو ١٩٨٧م

البَحر الأَحْمَر الثَرْوة المتجدِّدةُ عبْر العُصُور
(رؤية اقتصادية من مَنْظُورٍ تاريخيٍّ)

د. نوف بندر البنيان
أستاذ مساعد
بجامعة حائل كلية الآداب والفنون قسم العلوم الاجتماعية
برنامج التاريخ

ملخص البحث

يتصدر البحر الأحمر قائمة البحار العالمية بموقعه الاستراتيجي متوسطًا بين قارتي آسيا وأفريقيا؛ وكونه حلقة وصل رئيسة بين شرق العالم وغربه، ونقطة تلاقٍ مهمة لخطوط التجارة العالمية منذ القدم.

وقد حظي هذا البحر باهتمام كبير في العالم القديم؛ فقد مثّل طريق الوصول إلى تجارة الشرق، وهو ما دفعنا لتقديم هذه الورقة، ونهدف منها إلى:

- تسليط الضوء على مكامن القوة الاقتصادية التي يتمتع بها البحر الأحمر.
- تكوين رؤية مستقبلية مستنبطة من مكانة البحر الأحمر الاقتصادية عبر التاريخ
- وضع خطة مشتركة بين دول حوض البحر الأحمر لتجديد المراكز التجارية القديمة التابعة لهذه الدول.
- إبراز أهمية الاتحاد الاقتصادي بين دول حوض البحر الأحمر الإسلامية.
- وتخلص هذه الورقة إلى عدة نتائج، منها:
- أن الاتحاد الاقتصادي بين دول حوض البحر الأحمر سيسهم إسهامًا كبيرًا في إعادة مكانته التجارية التي فقدها منذ اكتشاف رأس الرجاء الصالح في القرن ١٥م.
- أن تاريخ موانئ دول حوض البحر الأحمر الإسلامية هو الأصل الاشتقاقي لنمو هذه الموانئ اقتصاديًّا.
- إن الإمكانيات الجغرافية لموانئ وجزر حوض البحر الأحمر الإسلامية قابلة للتطوير.
- والله العلي القدير أسأل أن تكون هذه الدراسة سبيلًا لوحدة صف العالم الإسلامي؛ لمواجهة خطر الاستعمار الذي يحوم حول حماه. وبالله التوفيق.

الكلمات المفتاحية: البحر الأحمر- رؤية اقتصادية.

Abstract

The Red Sea comes in the top of the list of global seas, with its strategic location in the Mediterranean between the two continents, Asia and Africa, in addition to the fact it is a major link between east and west of the world, and an important convergence for international trade lines since ancient times.

A great attention has been given to this sea in the ancient world as it represented the way to reach the East's trade, and that is what prompted us to present this paper, which aims the following:

- shedding the light on the economic strengths of the Red Sea.
- Creating a futuristic vision drawn from the Red Sea›s economic position throughout history.
- Drawing a joint plan among the Red Sea basin countries to renew the old commercial centers of these countries.
- Revealing the significance of the economic union among the Islamic countries of the Red Sea Basin.
- This paper has come to the conclusion of several results, including:
- The economic union among the countries of the Red Sea Basin will contribute greatly to restoring its commercial position which it has lost since the discovery of Cape of Good Hope in the ١٥th century AD.
- The history of the ports of the Islamic countries of the Red Sea Basin is the derivative origin of the economic growth of these ports.
- The geographical potential of the Islamic Red Sea basin ports and islands can be developed.
- Finally, this study aspires to be an attempt to unite the Islamic world to confront the danger of colonialism that is hovering around it. May God bless

Key words: Red Sea. Economic vision.

مقدمة

يتصدر البحر الأحمر قائمة البحار العالمية منذ العصور القديمة بموقعه الإستراتيجي، متوسطًا بين قارتي آسيا وأفريقيا، ويعد حلقة الوصل الرئيسة بين شرق العالم وغربه، وتندرج أهميته عبر التاريخ من نقاط التلاقي لخطوط التجارة العالمية. والبحر الأحمر هو الذراع الغربي المتفرع من المحيط الهندي، ويقع على ساحله الشرقي كيان المملكة العربية السعودية، والجمهورية اليمنية وعلى سيفه الغربي جمهورية مصر العربية وجمهورية السودان وأريتريا وجيبوتي، وعند رأسه الشمالي الشرقي تقع المملكة الأردنية الهاشمية ودولة

فلسطين. كما يعد البحر الأحمر قديمًا ممرًّا مائيًّا ذا ثقل في الحركة التجارية، ويرجع ذلك لكونه الممر المائي الوحيد أو الشريان البحري المعروف خلال تلك الفترة، وهو الرابط بين بلدان الشرق الأدنى والغرب آنذاك، واستمر الوضع لفترات زمنية وتاريخية من العصر القديم حتى القرن٧هـ / ١٥م، وهي فترة توهج حركة الكشوف الجغرافية، والبحث عن الطرق البديلة لهذا الممر الحيوي الناقل للحركة التجارية بين الشرق والغرب، ونظرًا لزيادة الحركة التجارية فيه خلال تلك الحقب التاريخية، أصبحت عملية السيطرة عليه محورًا للصراع والنزاع بين القوى العظمى آنذاك سواءٌ البيزنطيون في الغرب أم الساسانيون في الشرق.

وقد أولت الدول الإسلامية خلال العصر الوسيط هذا البحر اهتمامًا بالغًا للمحافظة على كيانها ووحدتها السياسية من جهة, وتأمين طرق الحجيج من جهة أخرى، مما جعله يحظى بمكانة وأهمية حضارية، وقد أدى ذلك إلى دخول حكام بعض الدول في العديد من الصراعات الحربية والحملات العسكرية بشقيها البري والبحري، وكذلك التحالفات العسكرية، مما ترتب عليه عقد الاتفاقيات والمعاهدات السياسية لعدم تخطي حدود خصوصية هذا البحر لكونه بمثابة بحيرة إسلامية منذ انتشار الإسلام في ربوع شبه الجزيرة العربية والبلدان المحيطة بالبحر الأحمر على امتداد جانبيه الشرقي والغربي، لذا ظل محتفظًا بمكانته وقيمته الاقتصادية، خاصة التجارية التي أرهقت الغرب الأوروبي في محاولة السيطرة عليه للوصول إلى تجارة الشرق، حتى اكتشف الطريق البحري التجاري البديل لحركة السفن التجارية، وهو طريق رأس الرجاء الصالح الذي أحدث تحولًا اقتصاديًّا في مستقبل التجارة الأوروبية منذ أواخر القرن ١٥م. وتبع ذلك ركود ملحوظ على العديد من الموانئ التي كان لها شأن في العصر الوسيط.

وتكمن أهمية هذه الورقة في أنها تسلط الضوء على الموانئ والجزر المطلة على البحر الأحمر من الناحية الاقتصادية؛ وذلك لدورها الريادي في المجال الاقتصادي العالمي، مما تنعكس نتائجه على دول حوض البحر الأحمر الإسلامية المشتركة في خط تقسيم المياه البحرية والمطلة بسواحلها على البحر الأحمر.

وليس ثمة شك في أن إيجاد وحدة عربية إسلامية بين دول حوض البحر الأحمر، سيسهم إسهامًا كبيرًا في دعم اقتصاد تلك الدول على المستوى المحلي والعالمي، والذي يواكب التطور الهائل والتحولات الاقتصادية على مستوى دول العالم في الوقت الراهن.

وتهدف الورقة إلى:

تسليط الضوء على مكامن القوة الاقتصادية للموانئ والجزر المشرفة على مياه البحر الأحمر ودورها التجاري. تبني رؤية مستقبلية تسهم في رفع المستوى الاقتصادي لدول حوض البحر الأحمر الإسلامية.

وضع صورة للتكامل الاقتصادي المتوقع حدوثه بعد اتحاد دول حوض البحر الأحمر الإسلامية اقتصاديًّا.

وستنطلق هذه الدراسة بمنهجية (تتبعيه تاريخية)، تُعرَض من خلالها مكامن القوى الطبيعية والاقتصادية للبحر الأحمر؛ تبني عليها الباحثة رؤية اقتصادية حديثة مستفادة من التاريخ الذي مرت به بعض المدن المطلة على حوض البحر الأحمر في الفترات التاريخية المتعاقبة، مستعرضة الأهمية الاقتصادية للبحر الأحمر، منعطفة على مجمل العلاقات التاريخية بين موانئ الساحل الشرقي والغربي للبحر الأحمر، محددة مجالات التفاعل الاقتصادي بين الموانئ المطلة على حوض البحر الأحمر. وسيشتمل البحث على العديد من الملحقات المتضمنة الخرائط، والبيانات، وخاتمة تقدم أبرز النتائج والتوصيات. وتسأل الباحثة الله العلي القدير أن يوفقها في الوصول إليها إنه سميع مجيب.

الإطار النظري:

البحر الأحمر مضيق طويل يمتد بين «باب المندب في جنوبه الشرقي وخليج السويس في شماله الغربي»، وهو الذراع الغربي المتفرع من المحيط الهندي، والممتد موازيًا للخليج العربي من جهة الغرب متوسطًا قارتي آسيا من الشرق وقارة أفريقيا من الغرب، وعرف عبر التاريخ بعدة مسميات وفقًا لموقعه من السواحل أو المدن التي تطل عليه؛ فأطلق عليه ابن خلدون اسم «بحرالقلزم»(١)، كما عرف بالبحر الفرعوني(٢)،وعرفه ابن خرداذبه بقوله: «البحر الشرقي الكبير، فيه يركب التجار من القلزم إلى الجار وجُدة»(٣)، ويذهب المقدسي إلى تسميته «بالبحر الفارسي، لأنّه أتى على هذا البحر حين كان فيه معظم صناع السفن من الفرس»(٤)، أما المسعودي فيجعله «خليجًا يمتد من البحر الحبشي، فينتهي إلى مدينة القلزم، وبحر الهند هو البحر الحبشي»(٥)، وسماه الهمذاني

موقع البحر الأحمر بالنسبة إلى قارات العالم القديم (آسيا، أفريقيا)

بحر الحجاز عند ساحل المدينة(٦), وبحر اليمن عند سواحل اليمن(٧), لكنّ بعض الكتاب المحدثين يربط اسم البحر الأحمر بسمياته الطبيعية، وينسب صفة الأحمر إلى «الطحالب البُنِّية المائلة للحمرة التي أخذت تتزايد لتغطي مساحات كبيرة من هذا البحر، وأعطته اسمه المعروف»(٨), وقيل سمي بالبحر الأحمر اختصارًا لاسمه القديم بحر الملك الأحمرErythraean)) (٩) فقد ذكر المؤرخ الإغريقي اغاتار خيدس (Agathar Chide) أنّ "أريتريا كان اسمًا للبحر الأحمر، وتعني بالفارسية بحر الملك الأحمر وهو الملك الفارسي الذي حكم إمبراطورية فارسية قديمة"(١٠). وقيل سبب تسميته بالأحمر بسبب لون الجبال الحمراء الموجودة على شاطئه الغربيّ، وفي اعتقادٍ آخرَ بسبب شعب المرجان الأحمر، والطحالب، والعوالق ذات الصبغة الحمراءِ(١١). وتميل الباحثة إلى هذا الرأي استنادًا إلى الخواص الطبيعية التي تميز بها هذا البحر من كثرة الشعاب المرجانية الحمراء في أعماقه. وتبلغ مساحة البحر الأحمر ١٧٨ ألف ميل مربع، ويبلغ طول سواحله من الشمال من خليجي العقبة والسويس إلى الجنوب ٣٠٦٩ ميلًا، ومتوسط اتساعه ١٧٠ ميلًا، ويضيق كلما اتجهنا شمالًا أو جنوبًا وأكثر مناطقه اتساعًا ١٩٠ ميلًا، وتمتد بين مصوع في أرتيريا على الساحل الأفريقي، وجازان على ساحل الجزيرة العربية جنوب الحجاز، وأضيق مناطقه ٤٠ ميلًا بين عصب في أرتيريا والمخا في اليمن، وينتهي جنوبًا بباب المندب(١٢).

ويعدّ البحر الأحمر أخدودًا مائيًّا، يفصل بين قارتي آسيا وإفريقيا(١٣)، وترتبط أهميته الإستراتيجية بموقعه الجغرافي المؤثِّر على العلاقات الإقليمية والدولية. فهو يتوسّط قارات العالم القديم الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا، ويشكّل «همزة وصل استراتيجية لكثير من الطرق المائية»(١٤), بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، كما يجاور منطقة الشرق الأوسط التي تستمد تاريخها من كونها مركز الحضارات القديمة ومهد الديانات السماوية الثلاث. فحدوده تتصل شمالًا وجنوبا ببحار ومحيطاتٍ مهمّةٍ، ويتصل من خلال مضيق باب المندب وخليج عدنٍ مع المحيط الهنديّ جنوبًا، ويتصل من خلالِ قناة السويس بالبحر الأبيض المتوسّط شمالًا، كما يحدّه خليج العقبة وشبه جزيرة سيناء. وتقع على طول

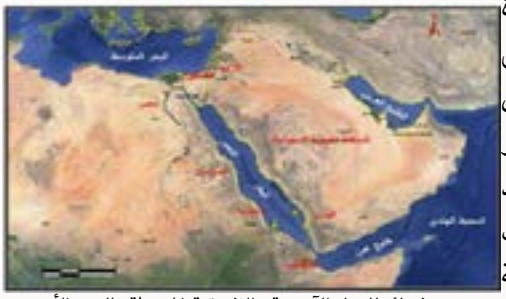

مصور فضائي للدول الآسيوية والإفريقية المحيطة بالبحر الأحمر

البحر الأحمر ثمـــانِ دولٍ، فعلى الســـواحل الشرقيّة تقع المملكة العربية الســـعودية والجمهوريـــة اليمنية، وعلى طول الســـاحل الغربـــيّ تقع جمهورية الســـودان، أمّا على الســـواحل الشـــماليّة فتقع دولة فلســـطين والمملكة الأردنية الهاشـــمية وجمهورية مـــصر العربية، وعلى الســـاحل الجنوبـــيّ تقع إرتيريـــا وجمهورية جيبوتي, وتبلغ نســـبة الشـــواطئ العربية ٩٠,٢ بالمئة من إجمالي ســـواحل البحر الأحمر، ويضـــم أكثر مـــن ٣٧٩ جزيرة، إضافـــة إلى مضيق باب المنـــدب وقناة الســـويس, وقد كان لذلك بالغ الأثر في دعم الواقع الســـياسي للبحر بالنســـبة للدول العربية المطلة عليه بشـــكل خاص والعالم الإســـلامي بشـــكل عام. ويشكّل خليج العقبة الطرف الشـــمالي الشرقي للبحـــر الأحمر، «ويبلغ طولـــه ١١٠ أميال وعرضه بين ٨ أميال و١٧ ميـــلًا، وأعمق نقطة عند الوســـط تصـــل إلى ٤٦٠٠ قدم»(١٥). وتُقَسِّـــم جزيرتا تيران وصنافير مدخـــل هذا الخليج إلى ثلاثة ممرات مائية تســـمى «مضائق تـــيران»، بينها واحد صالح للملاحـــة يفصل بين جزيرة تيران وســـيناء، ويشرف على خليج العقبـــة كل من المملكـــة العربية الســـعودية والمملكة الأردنية، والأراضي الفلســـطينية وجمهوريـــة مصر العربية، كما يشـــكّل خليج الســـويس الطـــرف الشـــمالي الغربي للبحـــر الأحمر، ويمتـــد بطول مئتي ميـــل، ويتراوح عرضـــه بين ١٨ و٢٠ ميلًا وعمقـــه بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ قدم، ويتصـــل بالبحر الأبيض المتوســـط عن طريق قناة الســـويس، وتقع عنـــد مدخله جزر «أم قمر وشـــدوان وجوبـــال»(١٦). وبالمقابل يعد باب المنـــدب مفتاح البحر الأحمـــر الجنوبي، ويبلغ عرضـــه ٢٠ ميلًا، وتُقَسِّـــمه جزيرة بريـــم اليمنية إلى ممرين، ويعـــد الممر الغربي المنفـــذ الصالح للملاحـــة. وتكمن أهمية البحـــر الأحمر في تأثيره الشـــديد والمباشر على حركة التجـــارة المحلية والإقليمية والدوليـــة، منذ القدم. وجـــاء افتتاح قناة الســـويس عام ١٨٦٩م ليجعل من البحـــر الأحمر أقـــصر وأسرع ممر بحري بين الشـــرق والغرب، ويصبح بديـــلًا عن طريـــق رأس الرجاء الصالـــح الطويل في حركـــة التجارة الدوليـــة. ولعل أهم ما يجعـــل البحر الأحمر محـــط أنظار الدول الاســـتعمارية الكبرى، كان تحوّله إلى «ممر مائي تجتازه أهم ســـلعة اســـتراتيجية (النفـــط)، بالمقابل تمر فيـــه المنتجات الصناعيـــة الغربية التي تـــم تبادلها مقابل المواد الأوليـــة الآتية من العالم الثالث»(١٧) في «آســـيا وأفريقيـــا بأرخص التكاليف وأقصر الأوقـــات»(١٨). أمّا من الناحية السياســـية، فقد كان البحـــر الأحمر هدفًا حيويًّا يدخل في سياســـات الدول الكبرى والشـــعوب المطلة عليـــه، ومنذ القدم كان التنافس المبـــاشر بين اليمن والحجاز والأحباش في الســـيطرة عليـــه يعكس صورة الصراع البيزنطي الفارسي آنذاك. وبعد انحســـار الاســـتعمار الإيطـــالي والفرنسي والإنجليزي عنـــه، أصبحت مصالـــح بعض الـــدول المطلة عليه، مثل الســـودان

والأردن وإريتريـــا، مرتبطـــة حصريًّـــا به كمنفذ بحـــري وحيد تطـــل منه على العالم، وثمـــة دول أخرى مشـــاطئة له تملك منافـــذ بحرية أخـــرى مثل المملكة العربيـــة الســـعودية، وجمهورية مصر العربيـــة، ودولة فلســـطين. وتاريخيًّا وقع البحر الأحمر في خضـــم الصراع الدولي بـــين القوتين العظميين آنذاك الساســـانية في الـــشرق والبيزنطية في الغرب, وبعد افتتاح قناة الســـويس العـــام ١٨٦٩م ,وقع البحر الأحمر مباشرةً تحت تأثير سياســـات دول أوروبا الاســـتعمارية التوســـعية في حينه، وهي بريطانيا وفرنســـا وإيطاليـــا، ولكن خروج الولايـــات المتحدة والاتحاد الســـوفيتي (ســـابقًا) من الحـــرب العالمية الثانيـــة دولتين عظميـــين، جعلهما يحلان مكان هذه الـــدول الاســـتعمارية تدريجيًّا في الشرق الأوســـط، ويدخلان في نطـــاق الصراع والتنافس عـــلى البحر الأحمر، لتجســـيد نفوذهمـــا في هذه المناطق والاســـتفادة من مزاياها الإســـتراتيجية والسياســـية والجغرافية والاقتصادية.

وقـــد اكتســـبت الـــدول الواقعـــة عـــلى البحـــر الأحمـــر أهميّـــة سياســـيّة تتبـــع إســـتراتيجيّة الموقـــع، فهـــي تتحكّـــم بممـــرّ مهـــم يصـــل الـــدّول ببعضهـــا، ومـــن ثـــم فهـــي تتحكّـــم بالملاحـــة الدوليّـــة.

كما تحظى شـــواطئه الغربيـــة الواقعة ضمـــن أراضي المملكـــة العربية الســـعودية الوجهة الدينية لجميع دول العالم الإســـلامي، بمكانـــة عالية، فتحتل موانئهـــا الواقعة على البحـــر الأحمر أهمية عظمـــى؛ ويعد ميناء جدة الإســـلامي أهمها، كمـــا يعد ميناء المخـــا التابع للجمهوريـــة اليمنية من أقـــدم وأهم المراكز التجاريّة الواقعة على ســـواحل البحـــر الأحمر الغربية. وتتمثّـــل المنطقة الممتدة على طول ســـاحل البحر الأحمر لمصر بمحافظـــةٍ تدعى محافظة البحـــر الأحمر(١٩). وهي محافظة تابعـــة لإقليم جنوب الصعيـــد، وتعدّ من أكـــبر المحافظات في مصر، وتتصل حدودها جنوبًا مع جمهورية الســـودان، ومحافظة الســـويس شـــمالًا، كما تشـــترك حدودها مع محافظة أسيوط وســـوهاج وقنا وأســـوان غربًا، ومن الشرق البحر الأحمر.

وتكمن أهميّة البحـــر الأحمر في محافظـــة البحر الأحمر بالثروة الســـمكيّة التي تحصل عليهـــا المحافظة من خلال امتـــداد المصايد على الشـــاطئ, ويقع على البحر الأحمر ميناء بورتســـودان، الذي يعدّ أكبر وأشـــهر الموانئ في الســـودان(٢٠), كما تتصـــل الأردن بالبحر الأحمـــر من خلال منطقـــة العقبة، التـــي تعدّ المنفذ المائيّ الوحيد لهـــا مع دول العالـــم(٢١). وللعقبـــة أهميّة تاريخيّـــة، فتاريخها يعود لأكثر من ٥٠٠٠ ســـنة، وتضـــمّ العديد مـــن المناطق التاريخيّـــة والأثريّة الشـــاهدة على عراقة المنطقة. كما أنّ للعقبة أهميّة ســـياحيّة لـــلأردن، فهي منطقة ذات مناخ معتدل دافئ شـــتاء، وتعدّ شـــواطئ العقبة مناســـبة لممارســـة مختلف

الأنشـــطة المائيّة, وله أهمية تجارية، فهو الميناء الذي تســـتقبل فيـــه الأردن النفط من الدّول والغـــاز الطبيعيّ تحديدًا من مـــصر، وتصدّر منه الخامـــات كالبوتاس والفوسفات(٢٢).

ولجمهوريـــة جيبوتي ميناء رئيس يقـــع على مدخل البحـــر الأحمر جنوبًا، ويمـــدّ الدولةَ بإيـــراداتٍ مهمّةٍ من خلال تجـــارة الترانزيت ونقـــل البترول، ويطل على البحـــر الأحمر مينـــاء إيلات التابـــع لدولة فلســـطين، الواقع عـــلى الجهة الشـــماليّة لخليج العقبة التابـــع لدولة فلســـطين. ونظرًا لهذا الارتبـــاط العالمي بالبحـــر الأحمر بين الـــدّول والمناطق المهمّة، يعـــدّ ذا أهميّة كبـــيرة في العديد من الجوانب التاريخية والسياســـية والاقتصادية والطبيعية بشـــكل عام، فقد نشـــأت حضـــارات وإمبراطوريّات على ســـواحله، وكانَت لـــه أهميّة كبيرة لـــدى العرب قديمًا(٢٣).

أمـــا اقتصاديًّا؛ فمخـــزون النّفطِ في البحـــر الأحمر يعطيـــه أهميّة كبيرة، بالإضافة إلى الثـــروة الملحيّة والســـمكيّة، ومختلف أصنافِ الحيوانـــاتِ والنباتات البحريّـــة، كاللؤلؤ والمرجان والمحار والإســـفنج. ويعد ثروة طبيعيـــة مقارنة بحجم الأمطار الموســـمية التي تغـــذّي الجانب الزراعـــيّ للدول المطلةِ عليـــه، كما أنّ مياه البحر الأحمر تُســـتخدم مصدرَ مياهٍ للاســـتخدام البشريّ والزراعـــيّ. ونتيجة لذلك فقد حظي البحر الأحمر بأهمية سياســـية واســـتراتيجية واقتصاديـــة منذ العصور التاريخية القديمة, فشـــعوب المناطق التى تســـكن حوله, عرفوا فيـــه ميزة الربط بين الساحل الآســـيوي عند شـــبه الجزيرة العربية والســـاحل الأفريقي عند مصر, ثم إلى شـــمال أفريقيا وعند الســـودان, ومن ثم إلى قلب القـــارة الأفريقية, وعرفوا فيـــه كذلك ميـــزة الربط بين المحيـــط الهندي جنوبًـــا والبحر الأبيض المتوســـط شـــمالًا, وهذه أقـــصر طريق للملاحـــة، ومن ثم للتجـــارة, ومن ثم نـــشر النفوذ الســـياسي لهذه الشـــعوب من خلاله, والثابـــت وثائقيًّا وتاريخيًّـــا أن هذه الأهمية الإســـتراتيجية والميزات السياســـية والاقتصاديـــة التى يتميز بهـــا حوض البحر الأحمر, قد عرفت منـــذ ٤٠٠٠ عام, ولقد كانـــت الريادة في كشـــف أهمية الإبحار عبر البحر الأحمـــر ترجع إلى العـــرب والفراعنـــة(٢٤), الذين كانت أســـاطيلهم البحريـــة تصل حتى القـــرن الأفريقي (الصومـــال وأريتريا والســـودان), كما أن فضل تحديد معالـــم الملاحة في البحر عمومًـــا يرجع إلى الفينيقيـــين, وهم الملاحون المهـــرة في عصور ما قبـــل التاريخ, خاصة خـــلال رحلاتهم البحرية لاستكشـــاف الشـــواطئ الإفريقيـــة الطويلة قبل الميـــلاد بأكثر من ٥٠٠ عام عـــلى الأقل, وخلال كل هذه المحاولات ســـواء العربيـــة أم الفرعونيـــة أم الفينيقية لتحديد مســـارات الملاحة في البحـــر الأحمر, كان الهدف الاقتصادي والســـياسي واضحًـــا ومحدّدًا عند

أولئك الذين قاموا بهذه الكشوفات للقرن الإفريقي, ويكشف ذلك الصراعات بين الشعوب القديمة في مصر وشبه الجزيرة العربية وسواحل إفريقيا, وبين دويلات العصور الوسطى, أو بين إمبراطوريات الاستعمار الأوروبي في القرن ١٩م, المتمثلة في بريطانيا وفرنسا والبرتغال وإسبانيا, أو بين القوى العظمى في عهد الحرب الباردة الاتحاد السوفيتي (السابق) والولايات المتحدة الأمريكية في ظل صراعها مع القوى الصاعدة في عالمنا المعاصر.

وتشكّل جزر البحر الأحمر قيمة استراتيجية بالنسبة إلى الدول المطلة عليه، ولعل أهميتها تكمن في انتشارها وموقع بعضها الإستراتيجي المسيطر على مداخله، حيث «يمكن استخدام معظمها للأغراض العسكرية»(٢٥), بوصفها «نقاطًا تكتيكية أو قواعد انطلاق للسيطرة على الملاحة فيه»(٢٦).

وشكلت جملة الموانئ والجزر التي تمتع بها البحر الأحمر تاريخًا حافلًا للدول التابعة لها، التي عملت على حراسة هذا البحر لحفظ أمنها السياسي والاقتصادي، فتضافرت عدة عوامل ساعدت تلك الدول في مهمتها؛ فقد أفادت من مميزات البحر الأحمر الجغرافية في تقييد الحركات العسكرية وتحديد حرية المناورة فيه مثل: «عرض هذا البحر المحدود فضلًا عن افتقاره إلى العمق الملاحي، ووجود المخاضات وتقلّب الرياح، والسواحل الهشة والمنحدرات العميقة، والتلال المخفية تحت الأعماق، والشعاب المرجانية، وحرارة الطقس وجفافه، ثم الافتقار إلى المرافئ(٢٧) العميقة»(٢٨). ولطالما ربطت موانئ(٢٩) البحر الأحمر الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر بالموانئ الواقعة على الساحل الغربي منه، بعلاقات تاريخية منذ القدم؛ فقد كان للجانب الديني والاقتصادي الدور الأكبر في تشكيل تلك العلاقات, وقد ارتبط سكان السواحل البحرية على ساحل البحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربي بالبحر ذهابًا وإيابًا منذ القدم طلبًا لرزقهم اليومي، خاصة أن هذه السواحل كثيرة الجدب؛ إذ لا تتوافر فيها أسباب المعيشة الهانئة بعيدًا عن أجواء ومخاطر البحار، زد على ذلك قصر المسافة بين الساحلين العربي والإفريقي في بعض مناطق البحر الأحمر وخليج عدن، مما شجع أبناء تلك المناطق على الترحال إلى تلك الديار، بالرغم من خطورة البحار المحيطة ببلاد العرب(٣٠).

وإذا ما تتبعنا تاريخيًّا تلك العلاقات ابتداء من الدور التجاري الكبير لقريش؛ فقد كان لأهل الحجاز باع طويل في هذا المجال؛ إذ مارسوا ركوب البحر، واهتموا أكثر بالتجارة البرية، وقد كانت لهم صلات تجارية عبر البحر بمصر والحبشة، ويدل على ذلك قول الطبري: «وكانت أرض الحبشة متجرًا لقريش يتجرون فيها، يجدون فيها رفاعًا من الرزق وأمنًا ومتجرًا

حسـنًا»(٣١). وهذا يـدل على وجود رحـلات بحرية لأهل الحجاز بفعل النشـاط التجـاري البـارز لقريش حتـى أصبحت مكة محطـة تجارية مهمـة للقوافل البرية القادمة من الشـام أو اليمن، وسـاحلها مكانًا لرسـو السـفن، حتى أشرق نور الإسـلام على الجزيـرة العربيـة منبثقًا من مكـة البيت الحـرام، فاتخذ اسـتخدام البحر الأحمر هدفًـا آخر إضافـة إلى الهدف التجـاري، ألا وهو نشر الديـن والعقيدة، والفـرار من أذى مشركـي قريش، فكانت الهجرة إلى الحبشـة عبر البحر الأحمر من الشـعيبة الميناء الحجازي إلى السـاحل الإفريقي في السـنة الخامسـة للبعثة النبوية الشريفـة، وكانت هـذه الهجرة مفتاحًا لـدور جديد لموانئ البحر الأحمر. وأسـهمت في توطيد الإسـلام في تلك المناطـق، وكل ذلك كان عبر موانـئ البحر الأحمر، كما أسـهمت التجـارة والتجار العرب بـدور رائد في نشر الإسـلام عبر سـواحل البحر الأحمـر في إفريقيا بعامة وشرقهـا بخاصة.

وورد في معاهـدة المصطفى ﷺ مـع صاحب «آيلة العقبة» تأمين المسـلمين لأهـل آيلة وسـفنهم وسـياراتهم في البحر والبر، بـل ومن كان معهـم من أهل الشـام وأهل اليمن، وأهـل البحر (ويقصد أهل الحبشـة) وانتهـت المعاهدة إلى أنه لا يحـل أن يمنعوا مـاء يردونه، ولا طريقًـا يريدونه من بـر أو بحر. فهذا الصلح يشـير إلى أن سـكان آيلة «العقبة» وأهـل اليمن وأهل الحبشـة يرتادون الموانئ الوسـطى للحجـاز وباقي موانئ البحـر الأحمر(٣٢).

وفي عهد الخلفاء الراشـدين رضي اللـه عنهم انطلقت الفتوحات الإسـلامية شـمالًا وشرقًا وغربًا، وتسـاقطت أمام جيوش المسـلمين جيوش الفرس والروم، وكانـت غالب فتوحات المسـلمين برية لا بحريـة، ومع توسـع الفتوحات في عهد عمر بـن الخطاب- رضي الله عنـه - اجتهد بعض القادة في ركـوب البحر لمطاردة وتتبع أعداء الإسـلام، إنمـا خوف الخليفة عمـر بن الخطـاب - رضي الله عنه- على المسـلمين جعله يمنعهم من ركوب البحـر(٣٣). وبعد الفتح الإسـلامي لمصر عـام ٢١هـ، وانطـلاق الفتوحات في القـارة الإفريقية أصبح البحـر الأحمر بحيرة إسـلامية شرقًا وغربًا، وأصبح دوره يقتـصر على الدور التجـاري، ونقل الحجاج والمسـافرين، أو الهجرات العربية عـبر موانئه إثر الصراعـات والنزاعات الداخلية بين المسـلمين بعد عهـد الخلفاء الراشـدين رضـوان الله عليهـم. وقد قاوم الأمويـون بعض هجمـات القراصنة ليصبح طريـق البحر الأحمر آمنًـا تجاريًّا وبحيرة إسـلامية، واسـتمر هذا الدور حتى قامـت الدولة العباسـية عام١٣٢هـ، فتحول الثقـل التجاري إلى منطقة الخليـج وبلاد الرافدين، وتراجـع دور الحجاز ومصر، ولم يعد لهما إلا الجزء اليسـير مـن التجارة الشرقية حتـى انتقال الدولة «الفاطميـة» في مصر، والتي أعـادت إلى البحر الأحمر نشـاطه التجاري(٣٤).

ومن أشـــهر الطرق البحريـــة المرتبطـــة بالحجاز طريق بحـــري يمتد من الشرق الأقـــصى إلى البحر الأحمر، وله فرعـــان يأخذ أحدهما جهة الشـــمال، ويعبر ســـيناء إلى دمشـــق حتى يصل موانئ البحر المتوســـط، وفرعه الآخـــر يتجه عبر صحراء ســـيناء إلى النيل فالقاهـــرة، ومنها إلى الإســـكندرية ومنهـــا إلى أوروبا؛ وطريق آخـــر ينطلق مـــن الصين بحـــرًا إلى الهند متحـــدًا مع طريـــق الخليج العربـــي، والطريق الســـابق الممتد من الـــشرق الأقصى إلى البحـــر الأحمر، ويقع على هذا الطريـــق عدة موانـــئ صينية وهندية من أشـــهرها خانفـــو (كانتون)، وزيتون، وكينســـاي بالصـــين، وهندية مثـــل الملابار، ومدن جوجـــيرات، وكمباي، وديـــد، وكاليقوط، وجوا، وكولون وشـــول، وكانـــا نور، وســـوراث حتى جزيرة ســـيلان؛ ووصلت الســـفن الصينية عابرة إلى جُـــدة في البحر الأحمـــر مما أدى إلى نشـــاط التبادل التجاري بـــين العرب والصـــين والهند حتى أوائـــل القرن ١٠هـ، وازدادت رحـــلات العرب التجارية إلى الصـــين, وعرف هذا الطريق باســـم (طريق الحريـــر البحري) (٣٥).

ومنـــذ النصف الثاني من القـــرن ٧هـ/١٣م بعد الغزو المغولي لبلاد المســـلمين تعطـــل الطريق التجاري البري عبر أواســـط آســـيا، وأصبح طريـــق البحر الأحمر أكثـــر أهمية وإقبـــالًا وتدفقًا تجاريّـــاً(٣٦). وتزايـــد عدد التجار العـــرب إقبالًا على التجارة الـــشرق آســـيوية، واتخذوا من خانفـــو قاعدة لتبادلهـــم التجاري، وحركتهـــم التجارية، منطلقين من مراكزهم الأساســـية على الخليـــج العربي، ومن ثم انتقل النشـــاط إلى البحـــر الأحمر مبـــاشرة، وأصبحت موانـــئ البحر الأحمر تتصل مبـــاشرة بموانئ الصين، فكانـــت تنطلق المراكب العربية تحمل المنســـوجات الحريريـــة والكافور والمســـك والتوابل(٣٧). وبقيت ســـفن التجـــارة الشرقية من الصـــين والهند وبـــلاد العرب تقطع هـــذا الطريـــق قرونًا طويلة حتـــى نهاية القـــرن ١٥م أوائل القـــرن ١٠هـ, وبعد ســـيطرة البرتغال على الســـواحل العربية الإفريقية والآســـيوية تمكنوا من القضاء عـــلى الملاحة والتجـــارة العربية، وفُقدت الســـفن العربية، وبخاصة بعد عـــام٩٢٣هـ/ ١٥١٧م(٣٨). وامتـــدادًا لهذا الطريق البحري عـــبر البحر الأحمـــر كانت هناك عدة طـــرق من الناحيـــة الإفريقية، فقد كان طريـــق عيذاب(٣٩) على ســـاحل البحـــر الأحمر الإفريقي يصـــل إلى قوص، ومنهـــا إلى فندق الكارم بالفســـطاط في بحـــر النيل، وكذلك طريـــق القصير(٤٠) في جهة الشـــمال من عيـــذاب، وكانـــت تصل إليه بعـــض المراكـــب لقربه من قـــوص، ومنها تنقـــل البضائع إلى قوص ثم فنـــدق الكارم بالفســـطاط ثم في بحر النيل إلى موانئ البحر المتوســـط (الإســـكندرية ورشـــيد ودميـــاط)، وطريق ثالث يعرف بطريـــق الطور وهو ســـاحل جانب الـــرأس الداخل في بحـــر القلزم بين

عقبة آيلة، وبين بَرّ الأراضي المصرية، ومال إليه أصحاب السفن لقربه من بر الحجاز، وكثرة المراسي فيه، وطريق رابع هو طريق السويس بالقرب من بلدة القلزم الخربة، وهو من ثم أقرب السواحل إلى القاهرة والفسطاط(٤١). وأصبحت بذلك منطقة الحجاز بموانئها ومدنها المقدسة مُستقطب التجارة الشرقية، وأصبحت مكة والمدينة أسواقًا تجارية، وكذلك أصبح موسم الحج موسمًا تجاريًّا كبيرًا للمسلمين، واهتم الخلفاء الراشدون بموانئ البحر الأحمر الحجازية كالجار(٤٢) وجُدة(٤٣) في عهدي عمر وعثمان -رضي الله عنهما -مع انطلاقة الفتوحات الإسلامية, وأصبح البحر الأحمر أو «بحر الحجاز» كما كان يطلق عليه مؤرخو العصور الوسطى بحيرة إسلامية خالصة(٤٤)، وقد منع الحكام المسلمون دخول غير المسلمين إلى هذا البحر(٤٥), واهتمت الدول الإسلامية المتعاقبة على الحجاز ومصر بتجارة البحر الأحمر الذي عاد عليها بازدهار اقتصادي كبير، وكما سبق الحديث عن عهد الراشدين واهتمام عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- بميناء الجار وجلب المؤن من مصر إلى الحجاز، كذلك الحال بالنسبة للأمويين، فقد ازدهرت تجارة البحر الأحمر في عهدهم، وخاصة التجارة الشرقية، فعملوا على إنشاء المحطات التجارية على الساحل الشرقي لإفريقيا لتأمين مسار هذه التجارة(٤٦). إلا أن تجارة البحر الأحمر أظهرت تراجعًا واضحًا خلال العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ، ومال العباسيون لاتخاذ الخليج العربي طريقًا تجاريًّا لهم لجلب تجارة الشرق إلى عاصمتهم، كما أن ثورة «محمد ذو النفس الزكية» في الحجاز قد أدت إلى إجراءات المنصور القاضية بردم خليج أمير المؤمنين بين النيل والبحر الأحمر، وإغلاق ميناء الجار، وانحصر الإبحار في البحر الأحمر على عدد محدود من السفن الصغيرة تقوم بنقل البضائع الشرقية من عدن إلى مصر(٤٧).

وظهر دور حكومات مصر جليًّا في الإشراف على تجارة البحر الأحمر منذ سيطرة الطولونيين على مقاليد الأمور في مصر من عام ٢٥٤هـ، حتى انهيار دولة المماليك وسيطرة البرتغاليين على تجارة المحيط الهندي في القرن ١٠هـ أواخر القرن ١٥م؛ فاهتم أحمد بن طولون بالنشاط الاقتصادي في مصر، وأعد أسطولًا كبيرًا لحماية السفن التجارية من قراصنة البحر، فعادت هذه السياسة عليهم بمكاسب كبيرة، وفرضوا الضرائب على التجارة الداخلية والخارجية، وازدهرت الأوضاع في مصر اقتصاديًّا بسبب التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر، وتمثل ذلك في العملة القوية للطولونيين(٤٨).

واستمرت تجارة البحر الأحمر تساهم في ازدهار الأوضاع الاقتصادية في مصر في عصر الإخشيديين ٣٢٣ -٣٥٨هـ، الذين واصلوا سياسة الطولونيين، وازداد

توسع نشاط التجار العرب والفرس واليهود زمن الإخشيديين، وامتلأت أسواق الفسطاط بالسلع الشرقية وخاصة العنبر(٤٩).

وحل العهد الفاطمي ٣٥٨-٥٦٧هـ الذي ازدهرت فيه التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر، وتمتع اليهود بمكانة كبيرة لدى الفاطميين(٥٠). وتمثلت التجارة الشرقية التي تحدثت عنها وثائق الجنيزة فيما عُرف بتجارة الكارم أو الكارمية (٥١). وفي هذا العهد تعرضت موانئ الحجاز بدءًا من آيلة (العقبة) لغزو صليبي، تصدت له القوات الأيوبية بكل قوة، وعاد البحر الأحمر بحيرة إسلامية. واقتفى خلفاء صلاح الدين أثره في الحفاظ على البحر الأحمر بحرًا إسلاميًّا، وقامت موانئ البحر الأحمر الغربية والشرقية مثل عدن وجدة وعيذاب وآيلة (العقبة) بدور رائد في تجارة الشرق(٥٢).

وفي العهد المملوكي٦٤٨-٩٢٣هـ تنافس على اغتنام مكاسب التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر ثلاث قوى سياسية، حكام المماليك في مصر, وحكام الحجاز «الأشراف»، وحكام اليمن من الرسوليين ثم الطاهريين، وقد كان يفترض أن يحدث التعاون والتنسيق بين هذه القوى لتحقيق التكامل التجاري بينهم غير أن ما حصل كان بعكس ذلك تمامًا، فقد وقعت عدة صراعات سياسية وعسكرية أدت إلى اضطراب حال التجار وتنقلهم في موانئ البحر الأحمر الغربية والشرقية؛ بحثًا عن الميناء الأكثر أمنًا واستقرارًا، متجهين من عدن إلى جدة إلى ينبع إلى عيذاب(٥٣). وبقيت جدة عاصمة التجارة الشرقية بلا منازع طيلة العهد المملوكي حتى اختفت بجوارها الموانئ الأخرى، بل انتهت تمامًا مثل عيذاب والقصير(٥٤).

وللحفاظ على طريق البحر الأحمر وخاصة من بعد محاولة الصليبيين غزو الحجاز مُنع دخول الفرنج للبحر الأحمر؛ حماية للأراضي المقدسة في الحجاز، وخشية من القضاء على تجارة المسلمين عبر البحر الأحمر، وأيضًا خشية من قيام تحالف مسيحي بين الحبشة وأوروبا، إلا أن حكام مصر وفي فترات معينة سمحوا للإيطاليين بعبور البحر الأحمر بإذن خاص، غير أنه اكتشف وجود تحالف بين ملك الحبشة إسحاق والفونسو الخامس ملك أراغون للقيام بحملة صليبية عام ٨٣٢هـ، فأغلق البحر الأحمر في وجه الأوروبيين، إلا أن محاولات الأوروبيين لدخول البحر الأحمر لم تنقطع حتى قدوم الغزو البرتغالي في القرن ١٠هـ(٥٥).

وتزايد نشاط البرتغاليين التجاري في الهند، وسيطروا على تجارة التوابل، بعد رحلة البرتغالي هنري الملاح عام ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م(٥٦).

ومن خلال استعراض الباحثة لتاريخ الصراع السياسي الاقتصادي لحوض

البحـر الأحمـر فإنهـا تسـتنتج رؤيـة مسـتقبلية مبنيـة عـلى تاريـخ ذلـك الـصراع؛ إذ إن معطيـات ذلـك الـصراع تحتـم عـلى دول حـوض البحـر الأحمـر الإسـلامية اليـوم أخـذ الـدروس المسـتفادة مـن ذلـك التاريـخ لتحقيـق أهدافهـا الاقتصاديـة، والنهـوض باقتصادهـا عـبر منصـات التفاعـل الاقتصـادي، معتمـدة عـلى مكامـن القـوة الجغرافيـة والثـروات التـي يمتلكهـا البحـر الأحمـر.

ونظـرًا لارتبـاط الاقتصـاد بالمجتمـع الـذي يبنـي ذلـك الاقتصـاد فـلا بـد مـن تحقيـق فكـرة الاقتصـاد التضامنـي الاجتماعـي التـي نـادى بهـا مركـز الدراسـات الدبلوماسـية والإسـتراتيجية(٥٧)؛ فالاقتصـاد هـو المركـب التنظيمـي الـذي يرسـم الطريـق لهـذا التفاعـل بـين المجتمـع.

لـذا بـات مـن الـضروري إيجـاد نظـام اقتصـادي يكفـل مسـتقبل دول حـوض البحـر الأحمـر؛ وذلـك عـبر مجموعـة مـن القواعـد الاقتصاديّـة، التـي تعتمـد عـلى أحـكام قانونيّـة، وتنظّـم البيئـة الاقتصاديـة بينهـم. وتطبيـق ذلـك عـلى واقـع دول حـوض البحـر الأحمـر الإسـلامية مـن وجهـة نظـر الباحثـة ليـس بالصعـب، في حـال توافـر عـدة عوامـل تتضمـن: الإيمـان بـضرورة الوحـدة والتعـاون، ووحـدة الهـدف، وتعزيـز الثقـة بقدراتهـا البشريـة.

وعليـه تصـوغ الباحثـة مفهـوم المجـال الاقتصـادي الـذي تبنـي عليـه رؤيتهـا المسـتقبلية لرفـع المسـتوى الاقتصـادي لـدول حـوض البحـر الأحمـر بأنـه: الحيـز الـذي يجمـع العديـد مـن التعامـلات الاقتصاديـة بـين دول الحـوض في سـبيل رفـع المسـتوى الاقتصـادي لكيانهـا.

ولأن الاقتصـاد الـدولي الإطـار الـذي يجمـع المعامـلات الاقتصاديـة بـين دول العالـم، ويهتـم بالعلاقـات التجاريـة بـين الـدول وقدرتهـا عـلى المنافسـة والتبـادل التجـاري فيمـا بينهـا، وتوضيـح أوجـه التعـاون بـين الـدول ونتائـج هـذا التعـاون وتأثـيره عـلى سـكانها، فإنـه يعـد مصـدرًا لحـراك اجتماعـي بـين الـدول قبـل أن يكـون اقتصاديًّـا، خاصـة إذا مـا كان بـين دول تعرضـت عـبر تاريخهـا للاسـتعمار الـذي أثـر في اقتصادهـا لسـنوات طويلـة.

ومـن وجهـة نظـر الباحثـة فـإن مجـالات التفاعـل الاقتصـادي بـين دول الحـوض تعتمـد عـلى جانبـين، همـا: الموقـع الجغـرافي والأهميـة التاريخيـة مـن جهـة والمـوارد الاقتصاديـة مـن جهـة أخـرى. وقـد اسـتعرضت فيمـا سـبق مـا يختـص بالجانـب الأول؛ وتسـتهل حديثهـا عـن المـوارد الاقتصاديـة بعـرض ثـروات دول الحـوض التـي يعـد وقوعهـا عـلى البحـر الأحمـر أكـبر مـورد اقتصـادي لهـا؛ فالبحـر الأحمـر بوصفـه قـوة اقتصاديـة يختـزن في أعماقـه ثـروات طبيعيـة حيـة وغـير حيـة متنوعـة, فدرجـة الحـرارة والموقـع الجغـرافي المحصـور بـين القـارات

جعلت من البحر الأحمر موطنًا لعدد كبير ومتنوع جدًّا من الكائنات الحية المختلفة، التي تحتاج إلى درجة حرارة عالية ومياه ضحلة بجانب السواحل؛ لذا فهو موطن لأكثر من ٢٥٠ نوعًا من المرجان؛ إذ يحوي أنواعًا من الشعاب المرجانية في العالم. كما يحتوي على ١٢٠٠ نوع من الأسماك، بينها ٢٠٠ نوع تقريبًا تعيش في البحر الأحمر فقط. ويعد البحر الأحمر بحرًا غنيًّا بالمستحاثات «الكائنات غير الحية المتحجرة»، ويعود أسباب كثرة المستحاثات والحفريات السيليكونية في البحر الأحمر إلى البراكين النشطة قديمًا داخله أو في محيطه. وبسبب هذه البراكين يوجد العديد من أنواع الصخور والمعادن داخله، مثل المغنيسيوم والبترول والفلسبار والفضة والأملاح والرصاص والقصدير والنحاس وغيرها من المعادن المهمة, بالإضافة إلى الثروات الطبيعية غير الحية؛ إذ تشير الدراسات والأبحاث التي أنجزت في البحر الأحمر إلى وجود أنواع عديدة من الثروات المعدنية والبترولية في قاع البحر الأحمر وخلجانه وجزره وسواحله؛ وتتركز أهم الثروات المعدنية في البحر الأحمر وخليج العقبة في الأغوار الحارة ذات الملوحة العالية, والمحصورة بين خطوط الأعماق التي تصل إلى ألف متر تقريبًا, وتلك التي تتراوح أعماقها بين(١٠٠٠-٢٥٠٠) متر تقريبًا وتمتد في وسط البحر الأحمر(٥٨), فالمواد الذائبة في ماء البحر مصدر للمعادن, غير أن مياه البحر تحتوي على أجسام ذائبة كثيرة غير ملح الطعام نذكر منها على وجه الخصوص: أملاح الماغيزيا التي قد تكتسب في المستقبل غير البعيد أهمية اقتصادية قصوى(٥٩). وهناك ثروات مصاحبة للرسوبيات الحديثة؛ إذ تعد المنتجات المعدنية التي تحتاج إليها الأقطار النامية للاستخدام المحلي المباشر قليلة نسبيًّا إذا ما قورنت بالمعادن التي تنتج أساسًا بغرض التصدير؛ وباستثناء الماء المستخدم لأغراض الري والشرب تعد مواد البناء كالصخور والرمل والأسمنت أهم المواد الخام بالنسبة إلى الإنسان, وفي هذا الصدد تعد الرسوبيات السائبة المتصلة بمنخفض البحر الأحمر غنية بالرمال، كما تعد الصخور البركانية الحمية منجمًا ضخمًا مهمًّا للمواد المستخدمة في صناعة مواد البناء, وتعد الثروات المصاحبة للصخور البركانية بما فيها الطاقة الحرارية الأرضية من أهم الثروات غير الحية؛ فقد صحب التحركات البركانية المستمرة نشاط حراري، ونتج عن ذلك كميات كبيرة من الغاز المشبع بالمعادن الذي تسرب عبر التصدعات الموجودة في الطبقات القريبة من مناطق النشاط البركاني, واختلط بالمواد المشبعة بالكربونات, وقد نتج عن هذا ترسيب معادن الرصاص والزنك والمنجنيز وتوجد بالفعل مناجم لهذه المعادن في مناطق القصر وشريط برنيس الساحلي ووسط جزيرة

سيناء وجبل دحلان في المملكة العربية السعودية ومنطقة حلايب على الساحل السوداني»(٦٠), وهناك ثروات صخور العصر المايوسيني(٦١) الرسوبية بما فيها المواد الهايدروكربونية، الطبقات السميكة لرسوبيات المايوسيني في قاع حوض البحر الأحمر التي تكون مصادر محتملة ليست فقط للملح والجبس والكبريت لكن أيضا للبوتاس والمعادن المشابهة, وقد قامت الهيئة السعودية السودانية بحفر استكشافي للطبقات والمسح السيزمي(٦٢) الذي قامت به ؛يشير إلى أن التعاقب المايوسيني للبحر الأحمر يتميز بوجود بنيات وخصائص حجرية تناسب التجمعات الهيدروكربونية, كما يحتوي على معادن صناعية ومعادن نفيسة مصاحبة للرسوبيات المتواجدة في مناطق الينابيع الساخنة في أخاديد المحور المركزي(٦٣). كما يوجد في البحر الأحمر ثروات طبيعية حية، من أهمها (الثروة السمكية) التي ساعدت في وجودها مجموعة عوامل طبيعية أثرت في إنتاج الثروة السمكية؛ فالبحر الأحمر من البحار المنعزلة أو المغلقة, فهو لا يتصل بالمسطحات المائية المفتوحة, إلا من خلال فتحة في أقصى جنوبه, هي باب المندب, الذي يبلغ أقصى اتساع له٢٧كم, ولا يزيد عمق مياهه عن ١٠٠ متر, وعن طريق هذه الفتحة تتصل مياه البحر الأحمر بمياه خليج عدن والمحيط الهندي؛ مما أثر في حركة المياه به تأثيرًا نسبيًّا، وهو بذلك يكون حوضًا ضيقًا طويلًا, وتلعب الأحوال البيئية للبحار دورًا كبيرًا في نمو الكائنات الدقيقة التي تمثل الغذاء الرئيس للأسماك, التي يطلق عليها, البلانكون, إذا كانت نباتية, أو الزيلانكتون, إذا كانت حيوانية, وتتوقف خصوبة البحار على كمية هذه الكائنات, البلانكونية, التي تتواجد في وحدة الحجوم من الماء(٦٤), وتتضافر مجموعة العوامل الطبيعية من رياح وحرارة وحركتي المد والجزر في دعم الإنتاج السمكي. أما بالنسبة إلى درجات الحرارة في مياه البحر الأحمر، فإنها تقع بين دائرتي عرض ٣٦-١٢ -٣٠ درجة شمالًا، وتعد المنطقة جنوبي دائرة عرض ١٨ درجة شمالًا من أعلى جهات العالم حرارة؛ وعلى ذلك فدرجة حرارة المياه السطحية عادة عالية على مدار السنة, وتظهر درجة التباين الشديد في المناطق الضحلة, وترتفع درجة حرارة الهواء كلما اتجهنا جنوبًا ويعد من أسخن المناطق في العالم(٦٥), وثم مجموعة عوامل بشرية مؤثرة في إنتاج الثروة السمكية، نذكر منها: توافر الأيدي العاملة التي تمارس مهنة الصيد في تحصيل الرزق اليومي.

وتعد الموارد الاقتصادية لأي دولة حجر الأساس الذي يقوم عليه اقتصادها، فقد أنعم الله – عز وجل-على دول حوض البحر الأحمر بالعديد من الموارد الاقتصادية التي إذا اجتمعت فيما بينها قدمت تكاملًا اقتصاديًّا رفيع المستوى.

فبالإضافة إلى كون البحر الأحمر هو في حد ذاته ثروة؛ فإن كل دولة من دول حوض البحر الأحمر تمتلك العديد من الثروات التي تدعم المجال الاقتصادي؛ وابتداءً بالمملكة العربية السعودية فإنها تمتلك أقوى مورد اقتصادي عالمي متمثل في آبار النفط المغمورة في أراضيها؛ إذ تمتلك ٢٥٪ من الاحتياطيات المؤكدة من النفط في العالم، وتصنف بوصفها أكبر دولة مصدرة للنفط، وتلعب دورًا قياديًّا في منظمة أوبك(٦٦). كما تمتلك خامس أكبر احتياطيات مثبتة من الغاز الطبيعي(٦٧). وتعد «قوى عظمى للطاقة» بامتلاكها ثالث أكبر قيمة إجمالية مقدرة من الموارد الطبيعية. وهذا أدى بدوره إلى ريادتها في المجال الصناعي. كما تمتلك جمهورية مصر العربية العديد من الموارد الاقتصادية المتمثلة في المعادن التي تتنوع من حيث النوع والكم(٦٨)؛ وتتركز موارد جمهورية السودان في ثروته الحيوانية والتي تقدر فيه أعداد حيوانات الغذاء (أبقار - أغنام - ماعز - إبل) بحوالي ١٠٣ ملايين راس (٣٠ مليون رأس أبقار، ٣٧ مليون رأس أغنام، ٣٣ مليون رأس ماعز، ٣ ملايين رأس من الإبل)، إضافة إلى٤ ملايين رأس من الفصيلة الخيلية، و٤٥ مليونًا من الدواجن وثروة سمكية تقدر بحوالي ١٠٠ ألف طن للمصائد الداخلية و١٠ آلاف طن للمصائد البحرية، إلى جانب أعداد كبيرة مقدرة من الحيوانات البرية(٦٩). والعديد من المنتوجات الزراعية؛ وتعد سلة غذاء العالم نظرا لوفرة المياه والتربة الصالحة للزراعة(٧٠). وتمتلك المملكة الأردنية الهاشمية موارد طبيعة، من أهمها: الفوسفات، الغاز الطبيعي، البترول، الصخر الزيتي، كذلك اليورانيوم وغيرها. وتعد مصادر الثروة المعدنية من أهم عوامل التطور الاقتصادي والاجتماعي في الأردن، ويوجد في الأردن معادن وصخور صناعية اقتصادية والمعادن الطينية والنحاس وأملاح البحر والفوسفات والبوتاس الصخري والترافرتين والأحجار وغيرها من المعادن الغنية(٧١). وتمتلك الجمهورية اليمنية أكبر مخزون احتياطي من الجرانيت والرخام على مستوى الشرق الأوسط، ويعد من أجود أنواع الرخام على مستوى العالم بالإضافة إلى الجرانيت، فأرضها خصبة بالمعادن الأخرى عالية النقاوة والمهمة من معادن البازلت واللفت والدولاميت، بالإضافة إلى معدني الذهب والفضة، وبنسب مرتفعة جدًّا، هذا بالإضافة إلى احتياطيات عالية من معادن الرصاص والزنك، والعديد من المعادن الخاصة بصناعات الأسمنت تخولها لتصبح من أولى الدول في صناعة هذه المادة في الشرق الأوسط, وتتصدر اليمن قائمة البلدان المصدرة للبن الذي بدأت تجارته حول العالم عن طريق اليمن(٧٢).

ومن خلال ما سبق تستنتج الباحثة أن مجالات التفاعل الاقتصادي بين

دول حوض البحر الأحمر تعد القوة المركزية لها، وتؤهلها لقيادة الاقتصاد العالمي إذا ما اتحدت؛ فالبحر الأحمر يقع في قلب شبكة معقدة من التفاعلات والمصالح العالمية، وهو ما يحتم على الدول المطلة على البحر الأحمر أن تتكاتف فيما بينها؛ فالتكاتف هو الوسيلة الرئيسة التي يمكن من خلالها حمايته من الدخلاء والمخربين, وهذا لا يمكن أن يحدث إلا من خلال قيام وحدة تضم الدول المطلة عليه أمنيًّا واقتصاديًّا؛ وليس ثمة شك في أن ربط دول حوض البحر الأحمر بمعاهدات أمنية واقتصادية يصب في مصلحة تلك الدول, ويمكن من حمايته من أجل النهوض. ومن جهة أخرى سيفتح هذا التكاتف آفاقًا كثيرة تسهم في تطوير وتنمية موانئ البحر الأحمر بشقيه الشرقي والغربي، وسيفسح المجال لشبكة خطوط بحرية مواكبة للعصر الحديث؛ متمثلة في العبارات البحرية والقطارات البحرية والمشاريع السياحية المشتركة, ومن ناحية أخرى يسهم في تجديد الموانئ التاريخية التي كانت تسهم إسهامًا كبيرًا في نقل حجاج بيت الله الحرام مثل ميناءي عيذاب والقصير وغيرهما, مما يسهم في إنعاش المناطق التابعة لها اقتصاديًّا وتخفيف الضغط على الموانئ المستخدمة حاليًا, وتوفير فرص عمل لكثير من الأيدي العاملة في تلك المناطق. وتعاون الدول المطلة على البحر الأحمر له دور مهم في توثيق الروابط بين الشعوب التي تعيش على أرضها.

وتشيد الباحثة بمبادرة المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، التي أعلن عنها يوم الأربعاء ١٢ ديسمبر ٢٠١٨م، والتي نادت بالاتفاق على فكرة تأسيس كيان لدول البحر الأحمر لتحقيق الاستقرار في المنطقة، وتعزيز الأمن والاستثمار والتنمية لدول حوض البحر الأحمر، وحماية التجارة العالمية وحركة الملاحة الدولية؛ ويهدف إلى حماية التجارة العالمية وحركة الملاحة الدولية, ويسهم في إيجاد تناغم في التنمية بين الدول في هذه المنطقة الحساسة، ومن ثم يسهم في منع أي قوى خارجية من العبث في هذه المنطقة الحساسة. وستسهم هذه المبادرة بإذن الله في دعم مستقبل دول حوض البحر الأحمر خصوصًا والعالم الإسلامي عمومًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

خاتمة

تخلص هذه الورقة عن البحر الأحمر الثروة المتجددة عبر العصور إلى عدة نتائج يمكن الإلماع إليها مجملًا في النقاط الآتية:

١. أن تاريخ موانئ دول حوض البحر الأحمر الإسلامية هو الأصل في نمو هذه الموانئ اقتصاديًّا.

٢. أن الإمكانات الجغرافية لموانئ وجزر حوض البحر الأحمر الإسلامية قابلة للتطوير.
٣. ضرورة تكثيف الجهود نحو تحقيق الوحدة والتعاون بين الدول المشاطئة للبحر الأحمر لحمايته الأمنية من جهة، ورفع المستوى الاقتصادي لها من جهة أخرى.
٤. أن مستقبل دول حوض البحر الأحمر الاقتصادي لا يمكن أن ينجح إلا بتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول المطلة عليه.
٥. أن مجالات التفاعل الاقتصادي بين دول حوض البحر الأحمر تؤدي إلى زيادة التفاعل الثقافي والاجتماعي بين تلك الدول، كما أن هذا الحوض يسهم في إحداث حضارة مميزة تحت مسمى حضارة دول حوض البحر الأحمر.
٦. أن تبني قادة دول حوض البحر الأحمر للرؤية المستقبلية سيسهم في تحقيق كيان تلك الدول، بما يضمن حمايتها من الأطماع الخارجية.

وتوصي الباحثة بما يأتي:

١. تكثيف الأبحاث العلمية في مجال تطوير موانئ وجزر حوض البحر الأحمر لعرض الرؤى ومناقشتها على طاولة حوار تجمع العديد من المهتمين بمشاريع التطوير لتبادل الخبرات وانطلاق المشاريع التنموية.
٢. فسح المجال للشركات الاستثمارية العالمية والمحلية للمساهمة في تطوير موانئ وجزر حوض البحر الأحمر.
٣. إنشاء هيئة مشتركة لتطوير الموانئ والجزر المطلة على البحر الأحمر.
٤. تسهيل إنشاء مدن جديدة تعمل كظهير حيوي للموانئ المهملة المطلة على البحر الأحمر.
٥. دعم المشاريع التي تجمع بين الدول المشاطئة للبحر الأحمر دعمًا يسهم في تشكيل وحدة عربية تستطيع مواجهة الواقع السياسي الذي يَدْهَمُ المنطقة.
٦. إنشاء مجلس تعاون يجمع بين دول حوض البحر الأحمر الإسلامية ودعم مبادرة المملكة العربية السعودية والعمل بقلب واحد.
٧. العمل على إيجاد حراك تفاعلي بين دول حوض البحر الأحمر، في المجالات المسموح بها، مثل المواصلات البحرية، والرحلات الاستكشافية، بضوابط تكفل حقوق كل دولة من الدول.
٨. تخصيص مؤتمر سنوي للدول المشاطئة للبحر الأحمر لطرح القضايا والدراسات التي تُعْنَى بهذه المنطقة الحيوية وتعزيز اقتصادها وتاريخها، على أن يكون بشكل دوري بين تلك الدول.

وأخيرًا، تسأل الباحثة الله العلي القدير أن يجعل ما قدمته في هذه الورقة خالصًا لوجهه الكريم؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله وتوفيقه.

الهوامش

- ابن خلدون الإمام عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ): مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجودي، ط٢، المكتبة العصرية، (صيدا-بيروت، ١٩٩٦)، ص٥١. والقلزم مرفأ مصري قديم (السويس حاليًا) كانت تنطلق منه الملاحة في البحر الأحمر.
- ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ): رحلة ابن جبير، دار صادر (بيروت، د ت) ص٤٩.
- ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله: «المسالك والممالك»، وضع فهارسه الدكتور محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨ ص٦١ و١٣١.
- المقدسي: «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، مكتبة مدبولي، ط٣، ١٩٩١، ص١٨.

٦- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ): «مروج الذهب ومعادن الجوهر», عني بتنقيحه وتصحيحه شارل بلاّ، منشورات الجامعة اللبنانية، (بيروت: ١٩٦٥)، ج١، ص١٢٥ و١٢٧.

- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت بعد٣٤٤هـ): صفة جزيرة العرب, تحقيق محمد الأكوع, دار الآفاق العربية, (القاهرة: ٢٠٠١م), ب ط, ص٧٨
- المصدر السابق, ص٧٨.
- جرجس، أجيه يونان: "البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربي والصراع العالمي», مكتبة غريب، (القاهرة، ١٩٧٩) ص٢٣.
- الزيلعي, أحمد عمر: مكة وعلاقاتها الخارجية(٣٠١-٤٨٧هـ), الرياض: ١٩٨١م, ط ١, ص١٧٢.
- القوصي عطية: «تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية»، دار النهضة العربية، (القاهرة ١٩٧٦)، ص١٠.
- سعيد, إبراهيم حسن: البحرية في عصر سلاطين المماليك, دار المعارف (القاهرة:١٩٨٣م), ب ط, ص١٢٢.
- مدني, محمد عمر: البحر الأحمر واتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار, ندوة البحر الأحمر, ص١٦٥.
- القوصي, عطية: تجارة مصر في البحر الأحمر، دار الكتب العربية (القاهرة:١٩٧٦م),ب ط، ص١٠.
- السلطان عبد المحسن عبد الله، :البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٤م

- ص ٣٣.
- السلطان عبد المحسن عبد الله: البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، ص٢٨.
- محمود، توفيق: البحر الأحمر في الاستراتيجية الدولية، مجلة السياسة الدولية، السنة ١٥، العدد ٥٧، (القاهرة ١٩٧٩)، ص ٢٧-٣٧.
- المرجع السابق، ص٢٨-٢٩.
- قدورة، عماد: حول أمن عربي للبحر الأحمر»، مجلة دراسات إستراتيجية، تصدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد ٢٢، ط١، ١٩٩٨، ص١٤.
- أحمد: بابكر عبدالله حسين العاقب: التنمية الاقتصادية لمحافظة البحر الأحمر، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان:١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م, ص٥.
- رستم، جمال عبد الرحمن يسن، أمن البحر الأحمر في بيئة إقليمية ودولية متغيرة، ديسمبر ٢٠١٣م، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد ٥٠، ص٥٣.
- غوانمة، يوسف: آيلة (العقبة) والبحر الأحمر وأهميتهما الإستراتيجية، دار هشام (إربد: ١٩٨٤م) ط١, ص١٣.
- المرجع السابق، ص١٤.
- للاستزادة انظر: سالم, عبدالعزيز: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي, مؤسسة شباب الجامعة, (الإسكندرية:١٩٩٣م).ب ط, ص٨.
- المرجع السابق, ص٩.
- نعناعة, محمود: إسرائيل والبحر الأحمر، مكتبة خانجي، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص٣٠-٣٣.
- محمود, محمود توفيق: البحر الأحمر في الإستراتيجية الدولية, ص٣٠.
- المرافئ جمع مرفأ وهو: موضع ساحلي هيأته عوامل جغرافية وجيولوجية وطبيعية مختلفة, فيظهر في بعض المناطق في صورة منطقة مياه محمية وصغيرة تمثل مأوى مؤقتًا (Haven). انظر: الرويثي، محمد بن أحمد: الموانيء السعودية على البحر الأحمر, دار المدني (القاهرة:١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م), ط٢, ص١٨١.
- لسلطان عبد المحسن عبدالله، «البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي», ص٢٧-٣٤.
- موانئ جمع ميناء port وهو: المكان الذي تقوم فيه الاستعدادات والتسهيلات لنقل البضائع أو المسافرين من السفن وإليها بصفة منتظمة.

وقيل هو مكان على الشاطئ مزود بالتجهيزات لنقل البضائع من السفن وإليها, ويشتمل الميناء الحديث على أحواض السفن (Docks) التي بها عدد من الأرصفة (Wharves), لكل منها عمق كاف من الميناء ويحيط بها مجموعة من مخازن الشحن والتفريغ (Sheds) ومخازن للبضائع العامة (Warehouses) ومزودة بروافع وأونشات وغيرها. انظر: الرويثي، محمد بن أحمد: الموانئ السعودية على البحر الأحمر, دار المدني (القاهرة:١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) ط٢, ص١٨١.

- شهاب، حسن صالح: فن الملاحة عند العرب، دار العودة، (بيروت:١٩٨٢م) ط١, ص٢٩.
- الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر (بيروت:١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ط٢,ج٢, ص١٣٢.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني (بيروت:١٩٩٩م),ج١, ص٢١١.
- للاستزادة, انظر: ابن خلدون: العبر,ج١, ص١١.
- العبيدي: عبد العزيز بن راشد، التجارة والملاحة في البحر الأحمر في عصر المماليك، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، الرياض، ص١٢٦.
- ـ على لي تشين تشونغ: آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ، المجلة العربية للثقافة، السنة التاسعة عشرة ـ العدد الثامن والثلاثون، ذو الحجة، ١٤٢٠هـ ـ مارس (آذار) ٢٠٠٠م، ص١٥٢.
- ـ عبد العليم: أنور، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، المجلس الوطني للثقافة والآداب ,(الكويت :١٩٧٩م) ط١,ص٧٢.
- المرجع السابق، والصفحة نفسها.
- السليمان, علي بن حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، مكتبة الإنجلو المصرية, (القاهرة: دت), ص٩٨.
- تقع عيذاب على الساحل الغربي للبحر الأحمر في أقصى الساحل الجنوبي لمصر المطل على البحر الأحمر على مقربة من الحدود المصرية السودانية, انظر: ياقوت, الحموي: معجم البلدان، ج٤, ص١٧١, وقد لعبت عيذاب دورًا تاريخيًّا حيث كانت نقطة انطلاق الدعوة الإسلامية منذ خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وتواتر ورود المسلمين عليها, للاستزادة, انظر: سالم، سيد عبدالعزيز: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي, ص٤١.

- يقع ميناء القصير إلى الشمال من عيذاب, ويعد أقرب موانئ البحر الأحمر إلى قوص، التي تعد من أهم المدن التجارية على نهر النيل, وتقطع المسافة بينهما في ثلاثة أيام, وقيل في خمسة, وتعد الميناء الثاني لمصر على البحر الأحمر من حيث الأهمية, لقربها من قوص وبعد عيذاب عنها, وقد برزت أهميتها في العصرين الأيوبي والمملوكي مع عيذاب كمركز تجاري, انظر: ياقوت, معجم البلدان, ٤/٣٦٧.
- غوانمة, يوسف: أيلة (العقبة) والبحر الأحمر وأهميتها التاريخية والإستراتيجية دار هشام, (إربد: ١٩٨٤م)، ط١ ص٥٣٢.
- الجار بالراء المهملة : ويطلق عليه ميناء الجابر (المندثر)، وهي بمثابة قرية كثيرة القصور، كثيرة الأهل، على شاطئ البحر فيما يوازي المدينة المنورة، وكان إلى فترات زمنية قريبة ميناء للمدينة المنورة، ونزل به بعض المهاجرين إبان بداية الدعوة الإسلامية إلى الحبشة، وكانت ترفأ إليه السّفن من مصر وأرض الحبشة، ومن البحرين والصين؛ ونصفها في جزيرة من البحر، ونصفها في الساحل. وبحذائها قرية في جزيرة من البحر، تكون ميلًا في ميل، لا يعبر إليها إلّا في السّفن، انظر: البكري الأندلسي، عبد الله بن عبد العزيز(ت٤٨٧هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا, دار الكتب (بيروت: ١٤٠٣هـ) ط ٣، ص٣٥٦-٣٥٥.
- ميناء جُدة, ميناء مهم يقع على الضفة الشرقية من البحر الأحمر, ومن حيث التسمية فقد قيل: إن الجدُ شاطئ البحر, المقدسي: «جُدة مدينة على البحر, منه اشتق اسمها»، ويذكر في موضع آخر «هي والجار كانتا فرضتي الدنيا, وخزانتي مصر, ومركز قبض المكوس», انظر: المقدسي, أحسن التقاسيم, ص٨١.
- حسنين, ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي, منشور في كتاب البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية, سمنار للدراسات العليا للتاريخ الحديث, القاهرة, جامعة عين شمس,١٩٨٠م, ص١٠٦.
- المرجع السابق, ص١١١-١٢٠.
- موريس: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق:د ت,ب ط، ص٢٧٦.
- جورج حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة: يعقوب بكر, مكتبة الإنجلو المصرية (القاهرة: ٢٠١٤م) ص٢٢٧.
- موريس: الجغرافيا التاريخية، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، ص٢٧٨.

- حسنين محمد ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ص١١٣.
- ومما يؤكد ازدهار التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر ما ورد من خطابات ومراسلات في وثائق الجنيزة التي عُثر عليها في (سينا جوج) معبد اليهود بالفسطاط بالقرب من القاهرة سنة ١٨٨٩ـ١٨٩٠م، ومجموعة أخرى في مقبرة البساتين بالقرب من القاهرة في سنة ١٨٩٧م، ونقلت معظم هذه الوثائق إلى مكتبات أوروبا وأمريكا انظر: سالم، سيد عبد العزيز: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية:١٩٩٣م) ب ط، ص٣٠ـ٣١.
- هم مجموعة من كبار التجار عملوا في تجارة الهند والشرق الأقصى في التوابل وغيرها انطلاقًا من المحيط الهندي، وقد اختلف في أصل مسمى الكارمية، ونشأتهم أيضًا، للاستزادة، انظر: سالم، سيد عبد العزيز: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ص٣٣.
- محمد أمين صالح: تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، (البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة)، جامعة عين شمس، (القاهرة، ١٩٨٠)، ص١٦٥.
- المرجع السابق, ص١٦٧.
- ٥٦- السليمان, علي: علاقة مصر بالحجاز زمن سلاطين المماليك, رسالة ماجستير, جامعة القاهرة،١٩٧٠م، ص١٦٥- ١٦٨.
- محمد أمين صالح: تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، ص ١٧٥.
- فهمي, نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة: ١٩٧٣م، ص١٧١.
- مركز الدراسات الإستراتيجية والديبلوماسية: هي مؤسسة بحثية تغطي مجالًا إقليميًّا واسع النطاق، يشمل دول المغرب العربي والفضاء الإفريقي والمجال المتوسطي، مع الاهتمام بالشأن التونسي، وللمركز مقران رئيسيان بلندن وتونس... ويعمل المركز على تقديم مساهمات جادة في مجال البحوث الإستراتيجية والأمنية والاقتصادية والدبلوماسية. انظر: مقال: الاقتصاد التضامني والاجتماعي- الحدود والآفاق, مركز الدراسات الدبلوماسية والإستراتيجية, ٢٢٠٣-٢٠١٩م https://www.csds-center.com/article.
- هيئة المساحة الجيولوجية السعودية: جزر المملكة العربية السعودية في البحر الأحمر والخليج العربي, ص٦٠.
- زكي, مصطفى: ثروات البحر الأحمر, مجلة الخليج العربي, مجلة علمية

يصدرهـا مركـز دراسـات الخليـج العربـي بجامعـة البـصرة بالجمهوريـة العراقيـة, العـدد ¾- ١٩٨٤, المجلـد السـادس عـشر ص١٠٣.

- مصطفـى, زكـي: الثـروات غـير الحيـة في البحـر الأحمـر, أبحـاث نـدوة البحـر الأحمـر المنعقـدة بمعهـد الدراسـات الدبلوماسـية, الريـاض, ١٩٨٥م, ص١٠٣.
- العـصر المايوسـيني هـو: الميوسـين أو الميوسـيني Miocene هـي فـترة جيولوجية مـن المقيـاس الزمنـي الجيولوجـي تمتـد مـن ٢٣,٠٣ مليـون إلى ٥,٣٣٢ مليـون سـنة مضـت, وهـو أحـد العصـور التـي مـرت بهـا الكـرة الأرضيـة، والتـي نتـج عنهـا الكثـير مـن التغـيرات الجغرافيـة.
- المسـح السـيزمي هـو: أداة عمليـة لتحديـد التكويـن الجيولوجـى تحـت سـطح الأرض، وذلـك مـن خـلال جهـاز يقـوم بإصـدار موجـات صوتيـة لباطـن الأرض للبحـث عـن التجاويـف الصخريـة ومـا تحويـه مـن مكامـن نفطيـة أو غـاز والتأكـد مـن وجودهـا.
- زكي، مصطفى: الثروات الغير حية, ص١٠٣.
- الشـهاوي، مختـار عـلي: الثـروة السـمكية في المملكـة العربيـة السـعودية تطبيقات عـلى المنطقـة العربيـة, مجلـة كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية, جامعـة الملـك عبدالعزيـز, كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية, مجلـد٤, ١٩٨٤، ص١٩٩.
- المرجع السابق, ص٢٠٠.
- أوبـك :منظمـة الـدول المصـدرة للنفـط, وهـي منظّمـة عالميـة تضـم اثنتـي عـشرة دولـة تعتمـد عـلى صادراتهـا النفطيـة اعتمـادًا كبـيرًا لتحقيـق مدخولهـا. ويختـصر اسـمها إلى منظمـة الأوبـك ويعمـل أعضـاء الأوبـك لزيـادة العائـدات مـن بيـع النّفـط في السّـوق العالميـة.
- للاسـتزادة انظـر: حميـدة, عبدالرحمـن: جغرافيـة الوطـن العربـي, دار الفكـر المعاصر(بـيروت: ١٩٩٧م), ط٢, ص٣٥١-٣٥٢.
- للاسـتزادة انظـر: طعمـة, عاطـف محمـد، الفوسـفات في مـصر: دراسـة موجـزة في جغرافيـة المـوارد الاقتصاديـة، جامعـة القاهـرة، كليـة الآداب، ٢٠٠٨، ص٧.
- للاسـتزادة انظـر: الشـامي، صـلاح الديـن عـلي: السـودان دراسـة جغرافيـة، دار المعارف,(الإسـكندرية: د ت) ب ط,ص٣٥٨-٣٦٠
- للاستزادة انظر: المرجع السابق, ص٣٣٩-٤٠٠.
- للاسـتزادة انظـر: البحـيري, صـلاح الديـن: الأردن دراسـة جغرافيـة, منشـورات لجنـة تاريـخ الأردن (عمّـان:١٩٩٤م), ط٢,ص٣٨-٤١.
- للاستزادة انظر: حميدة, عبدالرحمن، جغرافية الوطن العربي, ص٣٩٧-٤٠١.

قائمة المصادر والمراجع

- **أولًا- كتب المصادر:**
- البكرى الأندلسي, عبد الله بن عبد العزيز(ت٤٨٧هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع, تحقيق: مصطفى السقا, دار الكتب (بيروت: ١٤٠٣هـ)
- ابن جبير, محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ): رحلة ابن جبير، دار صادر (بيروت, د. ت).
- الحموي, أبو عبدالله ياقوت بن(ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان, دار صادر(بيروت١٩٨٦م) ب ط, ج٢.
- ابن خرداذبه، أبي القاسم عبيد الله (ت: المسالك والممالك، وضع فهارسه الدكتور محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر, دار الكتاب اللبناني (بيروت: ١٩٩٩م), ج١.
- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، ط٢، المكتبة العصرية، (بيروت:١٩٩٦).
- ابن رسته, أبو علي أحمد بن عمر, (ت٢٩٠هـ): الأعلاق النفيسة, (بريل, ليدن,١٨٩١م).
- ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد المغربي: بسط الأرض في الطول والعرض, تحقيق: خوان قرنيط خنييس, مطبعة كريما ديس, (تطوان:١٩٥٨م) ب ط.
- الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر (بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ط٢، ج٢.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، عُني بتنقيحه وتصحيحه شارل بلاّ، منشورات الجامعة اللبنانية، (بيروت: ١٩٦٥)، ط١.
- المقدسي, محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت٣٨٠هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العرب, (بيروت: ١٩٨٧م). ب ط.
- الهمداني, الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت بعد٣٤٤هـ) :صفة جزيرة العرب, تحقيق: محمد الأكوع، دار الآفاق العربية, (القاهرة: ٢٠٠١م), ب ط.

ثانيًا- المراجع العربية:

- البحيري, صلاح الدين: الأردن دراسة جغرافية, منشورات لجنة تاريخ الأردن (عمّان: ١٩٩٤م), ط٢.
- الرويثي, محمد بن أحمد: موانئ السعودية في البحر الأحمر, دار المدني (القاهرة

:١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)ط٢.
- الزيلعي, أحمد عمر: مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١-٤٨٧هـ), (الرياض:١٩٨١م), ط١.
- السليمان, علي بن حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية, (القاهرة: د ت).
- السلطان, عبد المحسن عبد الله: البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٤م.
- القوصي, عطية، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦م.
- جرجس، أجيه يونان: البحر الأحمر ومضايقه بين الحق العربي والصراع العالمي، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٩.
- جورج حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة: يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة:٢٠١٢م) ط١.
- حميدة, عبدالرحمن: جغرافية الوطن العربي, دار الفكر المعاصر (بيروت:١٩٩٧م), ط٢.
- ربيع, حسنين محمد: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، منشور في كتاب البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية, سمنار للدراسات العليا للتاريخ الحديث, (القاهرة: جامعة عين شمس,١٩٨٠م).
- سالم, عبد العزيز: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي, مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية:١٩٩٣م).
- سعيد, إبراهيم حسن: البحرية في عصر سلاطين المماليك, دار المعارف (القاهرة: ١٩٨٣م), ب ط.
- شهاب, حسن صالح: فن الملاحة عند العرب, دار العودة, (بيروت:١٩٨٢م) ,ط١.
- صلاح الدين الشامي، موانئ السودانية (دراسة تاريخية جغرافية)، إشراف الإدارة العامة للثقافة والتربية والتعليم الإقليم الجنوبي، مكتبة مصر، (القاهرة، ١٩٦١م).
- طعمة, عاطف محمد، الفوسفات في مصر: دراسة موجزة في جغرافية الموارد الاقتصادية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ٢٠٠٨م.
- عبد العليم، أنور: الملاحة وعلوم البحر عند العرب. المجلس الوطني للثقافة والآداب ,(الكويت :١٩٧٩م) ط١
- غوانمة, يوسف: آيلة (العقبة) والبحر الأحمر وأهميتهما الإستراتيجية، دار هشام (إربد:١٩٨٤م)ط١.
- فهمي, نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ١٩٧٣م).
- محمد أمين صالح: تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، (البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة)، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠.
- نعناعة, محمود: إسرائيل والبحر الأحمر، مكتبة خانجي، القاهرة، ١٩٧٤م.ب ط.
- ثالثًا- المراجع الأجنبية المترجمة:

- موريس: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق.
- د ت, ب ط.
- رابعًا- الرسائل العلمية:
- أحمد, بابكر عبدالله حسين العاقب: التنمية الاقتصادية لمحافظة البحر الأحمر, رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان:١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- سعيد, إبراهيم حسن: البحرية في عصر سلاطين المماليك, دار المعارف (القاهرة:١٩٨٣م), ب ط.
- السليمان, علي بن حسين: علاقة مصر بالحجاز زمن سلاطين المماليك، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م.
- العبيدي: عبدالعزيز بن راشد، التجارة والملاحة في البحر الأحمر في عصر المماليك، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
- خامسًا- المقالات والأبحاث والدوريات:
- رستم، جمال عبد الرحمن يسن: أمن البحر الأحمر في بيئة إقليمية ودولية متغيرة، ديسمبر ٢٠١٣م، مجلة الدراسات الإفريقية العدد ٥٠.
- شديد، كمال: البحر الأحمر في الميزان العربي والعالمي، مجلة الدفاع، العدد ١٢١، مؤسسة الأهرام، (القاهرة، آب/ أغسطس١٩٩٦).
- الشهاوي, مختار علي: الثروة السمكية في المملكة العربية السعودية تطبيقات على المنطقة العربية, مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز, كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد٤، ١٩٨٤.
- علي لي تشين تشونغ: آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ، المجلة العربية للثقافة، السنة التاسعة عشرة ـ العدد الثامن والثلاثون، ذو الحجة، ١٤٢٠هـ ـ مارس (آذار) ٢٠٠٠م.
- قدورة، عماد: حول أمن عربي للبحر الأحمر، مجلة دراسات إستراتيجية، تصدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد ٢٢، ط١، ١٩٩٨م.
- محمود، محمود توفيق :البحر الأحمر في الإستراتيجية الدولية، مجلة السياسة الدولية، السنة ١٥، العدد ٥٧، القاهرة ١٩٧٩.
- مصطفى, زكي: ثروات البحر الأحمر, مجلة الخليج العربي، مجلة علمية يصدرها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة بالجمهورية العراقية, العدد ¾- ١٩٨٤,المجلد السادس عشر.
- مدني, محمد عمر: البحر الأحمر واتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، ندوة البحر الأحمر, ص١٦٥.
- مقال: الاقتصاد التضامني والاجتماعي- الحدود والآفاق, مركز الدراسات الدبلوماسية والإستراتيجية،٢٢٠٣-٢٠١٩م.https://www.csds-center.com/article